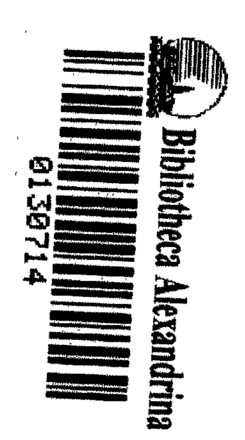
الدكتور علي الوردي
استاذ متمرس
بجامعة بغداد

لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث

الجزء السادس

من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢٤



الدكتور علي الوردي
أستاذ متمرس
بجامعة بغداد

لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث

الجزء السادس

من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢٤

المقدمة

يشمل هذا الجزء أربعة أعوام مابين ١٩٢٠ و ١٩٢٤ ، وتلك فترة ذات اهمية بالغة في تاريخ العراق الحديث ، لانها الفترة التي تأسست فيها الحكومة العراقية ، واستقرت قواعد الحكم فيها على نمط معين . وأود أن أعيد هنا ماكنت قد ذكرته في مقدمة الجزء الاول من هذا الكتاب ، هو أني لست مؤرخا وان قصدي من سرد الحوادث التاريخية ان اكشف من ورائها خصائص المرحلة الاجتماعية التي مر بها العراق . ولهذا قد يلاحظ القارىء في هذا الجزء ،كما لاحظ في الاجزاء السابقة ،كثيرا من التفاصيل الجزئية والطرائف التي لايهتم بذكرها المؤرخون عادة ، غير انها من الناحية الاجتماعية ذات اهمية لا يستهان بها لانها تكشف عن طبيعة القيم والعادات السائدة في فترة معينة من الزمن ، وعن مستوى التفكير الذي كان عليه الناس حينذاك .

ولابد لي هنا من أن اتحدث باختصار عن المصادر التي اعتمدت عليها في دراسة تلك الفترة . فقد اعتمدت في الدرجة الاولى على بحوث المؤرخين ، ولكنني اعتمدت على مصادر أخرى أذكرها كما يلي :

(١) **الوثائق البريطانية** : وهي تتضمن المراسلات السرية التي كانت تجري بين الحكومة البريطانية ومعتمديها في الخارج كالسفراء والقناصل والمندوبين والمقيمين وغيرهم . وكانت الحكومة البريطانية لاتسمح نشر تلك الوثائق الا بعد انقضاء خمسين سنة عليها ، ثم خفضت المدة مؤخرا الى ثلاثين سنة . وقد وضعتها في دائرة خاصة بها في لندن مفتوحة للباحثين اسمها « دائرة الوثائق العامة » . وكنت قد زرت هذه الدائرة في صيف ١٩٧٣ واطلعت على الكثير من اضابيرها ، كما استحصلت على نسخ من البعض منها . ولا اكتم القارىء اني وجدت فيها من الاسرار ماجعلني

أغير رأيي في كثير من القضايا التي كنت واثقا من صحة رأيي فيها قبلئذ •

(٢) **رسائل المس بيل :** فقد كانت هذه الآنسة تتولى منصب السكرتيرة الشرقية للمندوب السامي في العراق ، واعتادت ان تسجل ذكرياتها في رسائل تبعثها الى أمها أو ابيها او احد أقربائها واصدقائها • وقد نشر قسم من رسائلها في عام ١٩٢٧ ـ على أثر وفاتها ـ ثم تبين ان هناك قسماً آخر من رسائلها بقي مكتوماً غير مسموح له بالنشر ، وظل هذا القسم طي الكتمان حتى عام ١٩٦١ ، حيث نشر في جزئين كبيرين • والواقع ان هذا القسم المنشور أخيرا يحتوى على اسرار لاتقل اهمية او غرابة عن اسرار الوثائق البريطانية • واني افضل رسائل المس بيل على الوثائق البريطانية من بعض الوجوه واعتبرها أصدق تصويرا للواقع ، فالوثائق تكون عادة ذات أسلوب رسمي جاف ولا تمس الاحداث الا من جانبها الشكلي • أما رسائل المس بيل فهي حية مليئة بالحرارة وتعطينا كثيرا من الصور النفسية والاجتماعية التي يندر أن نجد لها مثيلا في الوثائق • وهذا هو السبب الذى جعلني كثير الاعتماد على رسائل المس بيل والاقتباس منهـا في هذا الجزء •

(٣) **الرسائل الجامعية :** وهي الاطروحات التي قدمها بعض طلبة الدراسات العليا في جامعة بغداد وغيرها للحصول على شهادة الماجستير أو الدكتوراه في التاريخ • واعترف ان هذه الرسائل افادتني في تأليف هذا الجزء فوائد لاتثمن ، وخاصة رسائل قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة بغداد •

(٤) **مذكرات الساسة العراقيين :** وهي كثيرة اذ هم تفوقوا فيها على زملائهم في الاقطار العربية الاخرى • وهذه المذكرات قد تتناقض في ذكر الاحداث ولكن تناقضها يعطينا وجهات نظر مختلفة حول الاحداث، وقد يساعدنا على فهم بعض خفاياها• ويجب ان لاننسى ان بعض البريطانيين

الذين شاركوا في احداث تلك الفترة قد سجلوا مذكراتهم ايضا ، واعطونا بذلك وجهات نظر اخرى •

(٥) **احاديث المسنين الذين عاصروا تلك الفترة :** وهم كثيرون ولكنهم مع الاسف يتناقصون بمرور الايام • والواقع ان احاديث هؤلاء لايستغنى عنها لفهم الاحداث الماضية والكشف عن بعض الزوايا المهملة منها • وفي رأيي أن احاديث المسنين الاميين قد تكون انفع للباحث من احاديث المتعلمين احيانا • فالمتعلم قد يحاول ان يصور الاحداث بالصورة التي تلائم اتجاهاته الفكرية أو تحزبه السياسي، أما الامي فهو حين يتكلم عن الاحداث يأتي بها كما شاهدها من غير تزويق ، وان روايته قد تكون سطحية ساذجة انما هي قد تكشف عن بعض النواحي الخفية من الاحداث ـ تلك النواحي التي لايهتم بذكرها المتعلمون عادة •

(٦) **الجرائد المحلية القديمة :** ولا حاجة بنا الى ذكر اهمية هذه الجرائد في دراسة الاحداث الماضية ، ولهذا حرصت البلاد الراقية على حفظ مجموعات جميع الجرائد القديمة وتمكين الباحثين من الاطلاع عليها بسهولة ، ومن المؤسف اننا لم نهتم بحفظ الجرائد الا مؤخرا • وقد بذلت بعض مؤسساتنا الثقافية ـ كمكتبة المتحف والمجمع العلمي والمكتبة المركزية والمركز الوطني للوثائق والمكتبة الوطنية ـ جهودا كبيرة في شراء مجموعات الجرائد المتيسرة لدى بعض الاشخاص ، ودفعت فيها اثمانا باهضة ، ولكنها على الرغم من ذلك لم تستطع الحصول عليها كاملة • وقد يجد الباحث الآن صعوبة في العثور على الجريدة التى يطلبها في بعض الاحيان •

الوثائق العراقية : فلدينا الآن دائرة للوثائق العامة باسم « المركز الوطني للوثائق » ، ولكن هذه الدائرة جديدة اذ لم يبدأ بتأسيسها الا في عام ١٩٦٣ ، وهي تضم نحو نصف مليون اضبارة جمعت من مختلف دوائر

الدولة ، وأهمها أضابير البلاط الملكي • ولكن هذه الدائرة تعاني مع الاسف نقصا شديدا في الاختصاصيين والموظفين ، وقد تكومت فيها الاضابير في غرف غير مناسبة بحيث يخشى عليها من التلف ، وقد تلف الكثير منها فعلا • لاننكر انها الآن في وضع افضل جدا من وضعها القديم• وعلمت مؤخرا ان الحكومة خصصت ثلاثةملايين دينار لبناء مجمع وثائقي ، ونحن نرجو أن يتم البناء في وقت قريب • فالوثائق ثروة علمية لاتثمن • وقد أتيح لي أن اطلع على بعض اضابير البلاط الملكي ، ولا سيما تلك الاضابير التى تخص الفترة التي أبحث فيها ، فوجدت فيها من الامور ما يذهل • ولو أن جميع الوثائق العراقية أصبحت ميسورة للباحثين لانكشفت بذلك صفحات مجهولة ذات اهمية كبرى من تاريخ العراق الحديث •

حول قواعد النحو :

كنت في مقدمة الجزء الرابع من هذا الكتاب قد انتقدت النحو العربى وطالبت بتقليص قواعده لانها كثيرة لافائدة فيها • وقد أحدث هذا الانتقاد رد فعل لدى الكثيرين من القراء • ولا بد لي هنا من توضيح موقفي من النحو مرة أخرى •

أرجو ان يعلم القارىء اني لست الوحيد في المطالبة بتقليص قواعد النحو ، فهي في الواقع ضرورة حضارية ملحة شعر بها الكثيرون • وقد أشارت الى ذلك جريدة « العلم » المغربية في ٣٠ آذار ١٩٧٤ حيث قالت ما نصه « النحو لازال رغم جهود اكثر من نصف قرن غير ميسر ولا زال حتى الآن موضوع أخذ ورد ، لذلك وجه اتحاد المجامع اللغوية العربية الدعوة الى كل من مصر وسوريا والعراق لعقد ندوة في القاهرة خلال العام الحالي لمناقشة موضوع تيسير النحو » •

لست أدرى ماذا حل بهذه الدعوة ، وهل تم عقد الندوة أم لا • واني على أي حال أعتقد اعتقادا جازما بان بقاء النحو على حاله مضر كل الضرر

بمسيرتنا الحضارية ويؤدي الى كثير من التبذير في جهودنا الفكرية دون ان ينفعنا شيئاً • وقد قال لي أحد المختصين بالنحو ان ثلاثة ارباع القواعد النحوية التي تدرس الآن في المدارس يمكن ان تلغى من غير ان ينتج عن ذلك أي ضرر • والواقع اني لا أفهم لماذا هذا التعصب للنحو عند بعض مثقفينا مع العلم ان معظم القواعد النحوية انما اختلقها النحاة المرتزقة في العصر العباسي وما بعده لكي يجعلوها أداة للتمايز الطبقي ، أي لكي تتمكن الطبقة المترفة من التحذلق في لغتها بحيث يصعب على السوقة مجاراتهم فيها[1] •

لا انكر ان القواعد النحوية موجودة في جميع لغات العالم ، وليس في العالم لغة من غير نحو ، انما تتفاوت اللغات فيما بينها في مبلغ مافي نحوها من سهولة او صعوبة • واني فيزيارتي لبولندا مؤخرا وجدت لغتها تتميز بقواعد نحوية في غاية الكثرة والتعقيد ، ولكن الذي لاحظته ان البولنديين لايشعرون بصعوبة كبيرة فيها اذ هي قواعد مطبقة في اللغة الدارجة التي يتكلم بها الناس في حياتهم اليومية ، وينشأ عليها الطفل فيتعود عليها وتصبح عنده بمرور الزمن كأنها طبيعية • وهنا منشأ الفرق بينها وبين قواعد نحونا ، فان الطفل عندنا لاينشأ عليها بل هو يتعلمها في المدرسة فقط ، وهو بعد اداء الامتحان فيها ينساها ، ولهذا لانجد بين متعلمينا من يستطيع الخطابة ارتجالا مع المراعاة التامة لقواعد النحو الا نادرا • واذا ظهر مثل هذا الشخص فانه يشعر كأنه يملك موهبة ثمينة جدا ، وهو قد يسرع الى الصعود الى منصة الخطابة في كل مناسبة ، او بغير مناسبة احيانا ، لكي يظهر « عبقريته الفذة » للناس •

اني ـ كما يعلم القارىء ـ كنت قد صممت على مخالفة قاعدتين من

---

(١) بحثت هذا الموضوع باسهاب في كتابي « اسطورة الأدب الرفيع » المطبوع في عام ١٩٥٧ ، فليراجع •

قواعد النحو التي تدرس في مدارسنا وهما : (١) اعراب اسماء الاعلام الحديثة كفيصل وأبو الحسن ومحمد علي ، (٢) حذف الياء من الاسماء المنقوصة كسامي وكافي وراضي وساري ، والغريب ان بعض النحويين جاؤوني يقولون ان هاتين القاعدتين قد أجاز النحاة القدامى مخالفتهما وانك لم تأت بشيء جديد . فكان جوابي لهم : اذا كان ماتقولونه صحيحا فلماذا اذن تدرس هاتان القاعدتان في المدارس ؟ ولماذا يرسب التلميذ اذا خالفهما ؟ ان هذا معناه ان النحاة الحديثين أكثر تزمتا وتعصبا من القدامى . ولست أدري متى ينقذ الله الامة من هذه المحنة ؟!

شكر :

لابد لي في هذه المناسبة من ابداء الشكر للذين اعانوني في تأليف هذا الجزء ، وقد فاتني أن اشكرهم في الاجزاء السابقة ، وأخص بالذكر منهم القائمين بشؤون مكتبة كلية الآداب ، والمكتبة المركزية ، ومكتبة المتحف، والمركز الوطني للوثائق ، والمكتبة الوطنية ، ومكتبة المجمع العلمي، ومكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب ، ومكتبة قسم الاجتماع في كلية الآداب . كما أشكر الشيخ مهدي الخالصي الصغير على اعارته اياي جميع الوثائق والمذكرات المخطوطة التي في حوزته . وأشكر السادة الافاضل : سلمان الصفواني وسامي خوندة وعبدالرزاق الفضلي واحمد الراوي وعبدالحميد الياسري وصائب شوكت وعبدالهادي الظاهر ، والمرحومين احمد زكي الخياط ومهدي البصير ، على السماح لي بالاطلاع على مذكراتهم او التحدث الي عن بعض الاحداث التي شهدوها . فالى هؤلاء جميعا ، والى غيرهم ممن لاتحضرني أسماؤهم في هذه الساعة ، أقدم شكري الجزيل .

الفصل الاول

انشاء الحكومة العراقية

أشرنا في الجزء الخامس من هذا الكتاب[1] الى ان السر برسي كوكس قد استدعي الى لندن في ٦ حزيران ١٩٢٠ - وكان يومذاك وزيرا مفوضا لبريطانيا في طهران - للتشاور معه حول انشاء ادارة موقتة في العراق • وبينما كان كوكس في طريقه الى لندن نشبت الثورة في العراق• وحين وصل الى لندن وجد فيها ضجة حول الثورة • يقول كوكس في تقرير له :

« عند وصولي الى لندن بعد بضعة ايام وجدت الرأى العام البريطاني قد اضطرب كثيرا من الوضع الذى وصلت اليه الامور في العراق ، وحصل هياج شديد لدى فريق من الصحف البريطانية اذ هي أخذت تطالب الحكومة بوجوب الجلاء عن العراق وايقاف الخسائر التى تتكبدها هناك • وكانت الحكومة البريطانية نفسها مضطربة جدا من جراء البرقيات المقلقة التى كانت ترد اليها من بغداد ، وكان هناك خلاف كبير في الرأى حول الخطة المثلى التى يجب اتباعها وعلى أي حال فقد كان واضحا ان الثورة يجب ان تقمع قبل اتخاذ اية خطة في العراق • وأصبح السؤال الذى يشغل البال هو ماذا نفعل بعد عودة الاستقرار الى العراق، هل نوقف خسائرنا ونترك الانتداب ونجلو عن العراق أم ننصب حكومة وطنية - اذا كان في الامكان نجاح مثل هذه الحكومة ؟ ولما سئلت عن رأيي في الموضوع بصفتي الضابط الموجود في الموضع الذى تجرى فيه الاحداث ، كان جوابى ان الجلاء عن العراق لايمكن التفكير به ، اذ ان ذلك لايؤدى فقط الى التخلي

---

(١) تأجل طبع الجزء الخامس لعدم استكمال البحث فيه ، وسوف يصدر قريبا - ان شاء الله •

عن العراق وعن سبعة او ثمانية ملايين باون من رؤوس الاموال المستخدمة من قبلنا في العراق ، انما يعد في الوقت نفسه خرقا كبيرا لجميع التعهدات التي قطعناها على انفسنا للعرب اثناء الحرب العالمية ، كما ان البلاد ستعود الى الفوضى والى الحكم التركي حالما نترك العراق • واخيرا فان جلاءنا عن العراق سوف يثير الكراهية النشطة ضدنا لدى السكان الذين غدرنا بهم ، وسوف نحتاج عندئذ الى فرقة عسكرية اخرى لتأمين جلائنا من البلاد • اما عن السؤال حول احتمال النجاح في نصب حكومة وطنية فكان جوابي ان الامر يستحق المجازفة فيما اذا اعتبرناه الخيار الوحيد بدلا عن الجلاء ، ولو اني لست واثقا من ذلك كل الثقة • وبعد مناقشات طويلة سئلت هل انا مستعد لتحمل عبء انشاء الحكومة الوطنية في العراق فيما اذا استقر الرأي على ذلك ، فأجبتهم بالايجاب ...»(٢) •

توديع واستقبال :

وافقت الحكومة البريطانية على اقتراح كوكس واناطت به مهمة انشاء حكومة وطنية في العراق • وفي ٢٠ آب ١٩٢٠ غادر كوكس بريطانيا بحرا ترافقه زوجته وثلاثة رجال لمساعدته في مهمته كان فيلبي احدهم •

وبينما كان كوكس في طريقه الى العراق كان السر أرنولد ويلسون الذي كان يشغل منصب الحاكم السياسي العام فيه بالوكالة يستعد لمغادرته• وفي ١٩ ايلول اقام السيد طالب النقيب ببغداد حفلة توديعية لويلسون ألقى فيها جميل صدقي الزهاوي كلمة اطرى فيها على خدمات ويلسون للعراق وذم الثورة والثوار ، كما ألقى السيد طالب كلمة أخرى بمثل هذا المعنى• وقام ويلسون أخيرا فشكر صاحب الدعوة والحاضرين وأبدى اسفه على عدم تمكنه من اتمام خدمته للعراق •

---

(2) Lady Bell (The Letters of Gertrude Bell) - London 1947 - P 426-427.

وفي اليوم التالي أقيمت حفلة اخرى في دائرة السكك الحديدية ألقى فيها ويلسون كلمة طويلة سجل نصها في مذكراته وفيها نسب سبب الثورة اولا الى السياسة البريطانية التى شجعت القومية في العراق دون ان ترسل أوامر محددة لانشاء حكومة محلية في الوقت المناسب ، وثانيا الى زعماء المعارضة الذين وصفهم بقلة التبصر والتعصب والفوضوية(٣) .

وفي ٢٤ ايلول غادر ويلسون بغداد بالقطار الى البصرة ، ثم غادرها بعده السيد طالب من اجل استقبال كوكس . وفي مساء ١ تشرين الاول وصل كوكس وحاشيته الى البصرة ، وكان في استقبالهم حشد كبير من الناس وفي مقدمتهم ويلسون والسيد طالب. وفي اليوم التالي اقيمت حفلة كبرى في جدائق البصرة احتفاءا بكوكس حضرها الشيخ خزعل . وفى مساء اليوم نفسه اقام السيد طالب وليمة فخمة في قصره المطل على شط العرب في السبيليات . وفى تلك الوليمة اهدى اعيان البصرة سيف شرف لويلسون بمناسبة مغادرته العراق ، كما خطب عبداللطيف المنديل ومزاحم الباججي في الثناء على الخدمات التى اسداها ويلسون فى العراق . وقد سجل ويلسون في مذكراته جزءا من خطاب الباججى ننقل فيما يلي نبذة منه :

« ويؤسفني جدا أن تؤدي حماقات الافراد العرب الى ازعاج الامة البريطانية في مهمتها المشرفة . لقد ارتكبت هذه الاعمال بسبب أحلام لايمكن تحقيقها من جهة ، ولمصالح شخصية من جهة اخرى . ان الحركة الحالية ـ يقصد الثورة ـ ليست عربية خالصة ، انما هي حركة يختلط بها عنصر اجنبي كان مع الاسف الشديد ناجحا في استغلال الشهرة والثروة والدماء العربية لمنفعته الخاصة من اجل اضعاف مركز بريطانيا العظمى في بلاد اخرى . فلا تغتروا بالمظاهر التى هى خداعة في الغالب

(3) Wilson (Loyalties) - London 1932 - vol. 2, P. 318-320.

ولا سيما في الشرق • ولا تعتبروا الثورة الحالية التى تقوم بها بعض القبائل البدوية ثورة وطنية حقة تنشد الاستقلال اذ لايمكن ان تعتبر مثل هـذه الحركة ممثلة لشعور المجتمع كله • ان الاسر المتنفذة فى بغداد لاتعطف على حركة خربت بلادها • ان هذه هى مشاعر الناس الذين لآرائهم وزنها ، وهم يتلهفون الى نقل ما يفكرون ويشعرون به الى اولئك الذين يطالبون في بريطانيا بالانسحاب من هذه البلاد • فهم لايستطيعون ان يدركوا ان الانسحاب لايعني أقل من انتهاك حرمة القانون وتدمير الشعب وما يعقب ذلك من انتشار الفوضى في انحاء البلاد الامر الذى قد ينطوى على نشوب حرب آسيوية لايمكن لبريطانيا ان تقف في معزل عنها»[٤] •

وفى صباح اليوم التالى اصطف حرس الشرف على رصيف الميناء لتوديع ويلسون • يقول فيلبي في مذكراته عن ويلسون : « وقد جـرى لي حديث معه قبل الرحيل فوجدته مستاءا استياءا مرا من سير الامور بوجه عام ، ومن نظام الحكم الجديد المقترح على الاخص ، حيث ان ذلك كان يعني انتهاء احلامه المزوقة عن العراق كدرة لامعة في التاج البريطانى •وفي الاخير كان الاسف يغمرني عندما رأيته يرحل ، حيث ان مزاياه العظيمة التى لامناقشة فيها قد تبددت من اجل انحراف بالى في الرأى ، وان البناء الذى حاول تشييده قد انهار فأصبح انقاضا بالية على مسمع منه • والخيبة من هذا القبيل لاسبيل الى الرحمة فيها •••»[٥] •

بين فيلبي والسيد طالب :

مكث كوكس في البصرة بضعة ايام ، وذهب بالطائرة الى الناصرية والعمارة والقرنة وقلعة صالح ، حيث تداول مع وجهاء المدن ورؤسـاء

(4) Ibid - vol. 2, p. 321.

(٥) جون فيلبي (ايام فيلبي في العراق) ـ ترجمة جعفر خياط ـ بيروت ٩٥٠ ـ ص ٣٨ـ٣٩ •

العشائر حول المهمة التى جاء من أجلها • وبعد ان اتم مداولاته غـــادر البصرة مع حاشيته بباخرة نهرية متوجها الى بغداد ، وكان في صحبتـه بالباخرة السيد طالب النقيب •

جرى في الباخرة التقاء وحديث خاص بين فيلبي والسيد طالـب ، وكان فيلبي قد تعرف على السيد طالب قبل هذا في الاسكندرية بمصر ، وعندما التقيا الآن في الباخرة اخذ السيد طالب يبوح له بسره وهو انـه يطمع ان يكون ملكا على العراق تحت الرعاية البريطانية • وقد احتفظ فيلبي بهذا السر فلم يبح به لاحد حتى لرئيسه كوكس •

ويخيل لي ان فيلبي كان في ذلك الحين يريد ان يقوم بدور كالدور الذى قام به لورنس في الحجاز اثناء الحرب • ولعل فيلبي كان يبحث عن شخصية عراقية تساعده في اداء هذا الدور على نحو مافعل فيصل مـع لورنس • ومن الممكن القول ان فيلبي وجد ضالته في شخصية السيـد طالب • ان فيلبي بعبارة اخرى ربما كان يطمح ان ينال شهرة عالمية من طراز الشهرة التى نالها لورنس في مغامراته في البلاد العربية • تتبين هذا مما كتبه فيلبي في مذكراته في وصف السيد طالب على اثر اجتماعه بـه في الباخرة ، فهو يقول في ذلك ما يلي :

« والحقيقة هى انني كان لي أمل كبير في مستقبله ، حيث كان من الواضح أنه ابرز شخصية في العراق في الذكاء وقوة الشخصية ، لكنه كان على جانب كبير من الطيش والغرور ولذا كان مرهوب الجانب عنـد الناس ومكروها من معظمهم • واذا كان في الامكان الاستفادة من مزاياه الحميدة واستخدامها استخداما تاما فاني كنت اتكهن له ان دوره سيكون ادارة مصائر العراق المستقل لعدة سنوات تأتي في ارجح المناصب التـي تحتمهـا الظـروف والاحـوال ـ كمنصب رئيس وزارة مثلا أو رئيس جمهورية • ومنذ ذلك الحين أخذت أدربه على الاضطلاع باحد هذين

الدورين ويجب عليّ ان اعترف هنا انه كان تلميذا ذا اهلية وقابلية بشرط ان تكون اليد التي تدربه فيها شيء قليل من الود والصداقة . وربما كنا قد نجحنا معه لولا ان تقف في سبيل ذلك بعض الظروف الخاصة..»(٦)

والغريب انه في الوقت الذي كان فيه فيلبي قد اكتشف السيد طالب وصمم على تدريبه ، كانت المس بيل في بغداد قد بدأت تتخوف من السيد طالب وتحاول تهديمه . والمظنون ان ساسون حسقيل هو الذي جعلها تتخوف من السيد طالب ، فقد كان هذا الرجل يمقت السيد طالب كل المقت، وكانت المس بيل من جانبها شديدة الاعجاب بساسون حسقيل وتأثر بآرائه .

كتبت المس بيل في ١٠ تشرين الاول تقول انها اجتمعت بساسون حسقيل قبل بضعة ايام وجرى بينهما حديث لطيف حول السيد طالب حيث قال لها بصراحة : ان الناس يكرهون السيد طالب ولكنهم يتظاهرون بحبه خوفا منه ، ولهذا فهم اذا علموا بان الانكليز يؤيدونه وافقوا على ذلك ظاهرا بغض النظر عما يكنونه في قلوبهم نحوه . ويروى ساسون لها قصة شاهدها بنفسه عندما كان هو والسيد طالب عائدين الى البصرة بباخرة واحدة في أواخر العهد العثماني فيقول : صدقيني ياخاتون ان اهل البصرة خرجوا كلهم الى المحمرة لاستقبال السيد طالب ، وقد كانوا كلهم بلا استثناء يبغضونه ويرهبونه ، فكان اشدهم بغضا له اكثرهم اظهارا للود له، فلقد كانوا يومذاك خائفين منه ، وسيكونون كذلك في هذا اليوم(٧) .

لم تحب المس بيل ان يصل السيد طالب الى بغداد وهو في صحبة كوكس ، ذلك لان السيد طالب عند وصوله مع كوكس سيبذل جهده لكي

---

(٦) المصدر السابق — ص ٣٩ — ٤٠ .

(7) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2. P. 170-171.

يظهر كأنه يتملقه ويقدمه الى الجمهور تحت رعايته • ولهذا ابرقت المس بيل الى كوكس تقترح عليه أن يرسل السيد طالب الى بغداد قبله • وقد فعل كوكس ما اقترحته عليه المس بيل حيث مكث هو وحاشيته في الكوت يوما واحدا وارسل السيد طالب الى بغداد بالقطار • وكان القطار يومذاك موجودا بين الكوت وبغداد •

وصول كوكس :

وصل كوكس وحاشيته بالقطار في ١١ تشرين الاول ، في الساعة الخامسة والنصف مساءاً، وقد أعد لهاستقبال فخم في محطة باب الشيخ ، وكان على رأس المستقبلين السيد طالب والجنرال هالدين • فاطلقت المدافع سبعة عشر طلقة وعزفت الموسيقى العسكرية مقطوعة « يحمي الله الملك » والمقصود بها الملك جورج الخامس طبعا •

وبعدما تم تقديم المستقبلين الى كوكس تقدم الشاعر جميل صدقي الزهاوى فألقى قصيدة من ثلاثة واربعين بيتا مدح فيها الانكليز وذم الثورة• وهذه ابيات نموذجية منها :

عد للعراق واصلح منه ما افسدا
وابثث به العدل وامنح أهله الرغدا

ان العراق لمسعود برؤيته
أباً له من بلاد العدل قد وردا

ارأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا
اثارة الشر فيه وهو ما قصدا

ظنوا الهدى في الذى جاؤوه من عمل
وقد يكون ضلالا ما يعد هدى

قالوا عسى أن تنيل الشعب ثورته
سعادة غير أن الشعب ما سعدا

فيـــالها فتنـــة عميـــاء ثائـــرة

قد عذبت من بنيهـــا الروح والجســـدا

احـــــزم بناس رأوا في أرضهـــم فتناً

فلم يكونوا لمن قاموا بها ســـنداً[٨]

وبعد ان انتهى الزهاوى من قصيدته ألقى كلمة في ذم الثورة ، وكان من جملة ما قاله : « ... قد زال ايها الاب المشفق بعدك الامن الـــذى وطدته في ربوع العراق وأخذت الفتن والاضطرابات والمخاوف وياللاسف تحل مكانه فتعبث بالراحة التامة ... »[٩] .

ولمـــا انتهى الزهاوى من كلمته تكلم كوكس فقال : « ياجميـــل أفندي ، ويا ايها المندوبين . ان دولة انكلترا ارسلتني للمساعدة والاتفاق مع اشراف ورؤساء العراق لنحصل على الغاية المطلوبة للطرفين ، وتأليف الحكومة العربية حكومة مستقلة بنظارة دولة انكلترا ، ولقد جئت لهـــذا المقصد ، ولكن مازال الاغتشاش مستمرا ، طبعا لايمكن العمل ، وانا حاضر عندما تحصل الفرصة وهذا شيء بيدكم »[١٠] .

يبدو ان الاستقبال لم يجر على ما يرام ، وقد أشارت المس بيل الى ذلك في احدى رسائلها حيث قالت ان حفلة الاستقبال التى جرت فـــي المحطة أغضبت الكثيرين من وجهاء بغداد ورؤساء العشائر الذين كانوا مدعوين اليها ، فقد جاء بعض هؤلاء اليها في دائرتها فى اليوم التالي يشكون اليها من الاهانة التى لحقت بهم هناك اذ لم يسمح لدخول المحطة الا لعدد

---

(٨) ابراهيم الوائلي (ثورة العشرين في الشعر العراقي) ـ بغداد ١٩٦٨ ـ ص ١٥٣ ـ ١٥٨ .

(٩) جريدة (العراق) ـ في عددها الصادر في ١٢ تشرين الاول ١٩٢٠ .

(١٠) عبدالرزاق الحسني (الثورة العراقية الكبرى) ـ صيدا ١٩٧٢ ـ ص ٢٥٢ .

قليل من المدعوين ، أما اكثرهم فقد حشروا خارج السياج في الغبار فلم يتمكنوا من مصافحة السر برسى كوكس • وقد قال لها شيخ محترم من رؤساء العشائر وهو في اشد الغضب : « اننا جئنا حباً وطاعة ولكننا عندما حاولنا الاقتراب من صاحب الفخامة دفعونا بعيدا » • وقد حصل هذا حتى لاخوة النقيب[١١] • وتعلق المس بيل على ذلك قائلة : « ومما زاد في الطين بلة ان الشخص الذى فعل هذا بالمدعوين هو الميجر ديلي أى نفس الرجل الذي اعتبره الجميع المسؤول شخصيا عن ثورة الفرات العشائرية »[١٢] •

الانكليز الغاضبون :

أصبح كوكس منذ وصوله الى بغداد يلقب بـ « المندوب السامى » وكان قبلئذٍ يلقب بـ « الحاكم السياسى العام » • وكان القصد من ذلك الاشارة الى انه لم يعد حاكما على العراق بل اصبح مندوبا عن بريطانيا لانشاء حكومة وطنية فيه •

عين كوكس المس بيل في وظيفة « السكرتيرة الشرقية » له • وأخذت المس بيل بالتعاون مع فيلبي تعمل على اعداد قائمة تضم اسماء مائة من الوجهاء لمقابلة كوكس ، كما اعدت قائمة اخرى بأسماء بعض الخاصة الذين يجب ان يتداول كوكس معهم تداولا شخصيا حول نظام الحكم المنوى اقامته في العراق • وقد أشارت جريدة « العراق » الى الاجتماع الذى عقده كوكس مع الخاصة ، وكان قد جرى في صباح ١٣ تشرين الاول ، حيث تكلم فيه كوكس حول تشكيل حكومة مؤقتة ، فقام السيد ابراهيم الراوى فتكلم في وجوب معاونة الحكومة البريطانية ، ثم قام الشيخ كاظم الدجيلي فألقى كلمة مطولة شرح فيها سبب القلاقل الحالية ــ يقصد أحداث الثورة ــ وقال انها نشأت من جراء عدم التفاهم الذى أحدثه

(11) Lady Bell (op. cit.) - P. 455-456.

(12) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 173.

المتطرفون من الجهتين ، فلو ان الفريقين تساهلا وتفاهما لكان في ذلك سعادة العراق ..[١٣].

بينما كان كوكس يقوم بمداولاته كانت هناك فئة كبيرة من الموظفين الانكليز في العراق غير راضية عن هذه المداولات وعن السياسة الجديدة التي شرعت الحكومة البريطانية باتباعها في العراق . يقول آيرلاند في هذا الصدد : ان كثيرا من الموظفين الاداريين كانوا يرتابون من تشكيل حكومة عربية حتى انهم كانوا لايخفون مشاعرهم في معارضتها ، فقد كان أكثرهم مؤيدين وموالين لويلسن ولرأيه في الدور الذي يجب أن تقوم به بريطانيا في العراق ولم يكن في وسعهم قبول وجهة النظر الجديدة التي جاء بها كوكس[١٤] .

لقد كان هؤلاء الانكليز المعارضون لخطة كوكس متشبعين بما يسمى برسالة الرجل الابيض في تمدين الشعوب ، فقد كان رأيهم ان العراقيين لو اتيح لهم الاستقلال التام في حكم انفسهم لاكل بعضهم بعضا ، ولهذا أصبح من واجب بريطانيا أن تستمر فى حكم العراق مدة كافية الى ان يتعود العراقيون على الحياة المدنية الحديثة ويتركوا عاداتهم القبلية القديمة في الغزو والثأر وسفك الدماء .

صدر في لندن فى عام ١٩٢٣ كتاب يمثل وجهة النظر هذه لمؤلف اسمه توماس ليل كان موظفا في العراق في تلك الايام ، فهذا الرجل لايكتفي بالقول ان العراقيين غير اكفاء للحكم بل يعمم القول على المسلمين كلهم ، وعلى الشيعة منهم بوجه خاص . فهو يقول في مقدمة كتابه ما نصه : « انى مقتنع اقتناعا قويا نتيجة اطلاع شخصي دقيق ان الدين

(١٣) جريدة « العراق » ــ في عددها الصادر في ١٧ تشرين الاول ١٩٢٠ .

(١٤) فيليب آيرلاند (العراق ــ دراسة في تطوره السياسي) ــ ترجمة جعفر خياط ــ بيروت ٩٤٩ ــ ص ٢١٧ .

الاسلامي ليس تقدميا ، وانه ذو أثر مضعف للشخصية ومخرب لكل نزعة في المواطنة او التماسك الاجتماعي او الطموح القومي . وقد دفعني هذا الاقتناع الى القول بان الرجل المسلم ، وخاصة الرجل الشيعي ، لابد ان يبقى لسنوات عديدة غير لائق تماما للحكم الذاتي ، وهو انما يطلب الحكم الذاتي لانه يجد فيه فرصة لكي يتخلص من القانون والنظام »(١٥) .

ويوجه ليل اللوم الى كوكس واعوانه الذين اخذوا يشوهون سمعة ويلسون ويعدون سياسته السبب الاكبر في الثورة . ان ليل يعتبر ويلسون رجلا عظيما ، ويعزو سبب الثورة الى ان العشائر هي في ثورة دائمة ضد كل حكومة ، وانها قد وجدت نفسها في عهد ويلسون تخضع للنظام لاول مرة في تاريخها . ويقول ليل ان الثورة كان المفروض ان تحدث قبل الوقت الذى حدثت فيه فعلا وان سبب تأخرها يعود كله الى الجهود الدائبة التى بذلها ويلسون . ثم يقول ليل : « ليس هناك رجل يستحق التأييد الصميمي من ابناء بلاده كالسر ارنولد ويلسون ، ولكنهم مع ذلك تخلوا عنه مرة بعد اخرى . فافترى عليه أولئك الذين هم في انكلترا ، وحتى أولئك الذين كانوا يعملون سابقا تحت رئاسته .. ان من سوء الحظ ان تشجع الهيئة الجديدة ـ يقصد بهم كوكس واعوانه ـ مشاعر الناس ضد ادارة السر أرنولد ويلسون . فكان من اول اعمال هذه الهيئة استدعاء السويدى الملوّث ... واصدار العفو عن الذين عاقبهم ويلسون . أما الذين هربوا خوفا من العقاب فقد طلب منهم العودة . وخففت الضرائب على الجميع ، فأخذ العرب يلهجون عاليا بمديح الحكومة » . ويقول ليل ان هذه السياسة الجديدة في تخفيف الضرائب ، ولا سيما على الشيوخ الذين قادوا الثورة ، سوف يكون لها أثرها على دافع

---

(15) Thomas Lyell (The Ins and Outs of Mesopotamia) - London 1923- P. 7.

الضريبة البريطانى دون ان يكون وراءها أي مبرر • ثم أبدى ليبل ألمه مما قام به احد المتحمسين من اعوان كوكس حين تكلم امام جمع من البغداديين فانتقد ويلسون بشكل طائش من غير ان يتوقف لحظة ليفكر في تأثير هذا الكلام على الاذهان الشرقية[١٦] •

استمر كوكس سائرا في طريقه غير مكترث بمعارضة هؤلاء • فقد كان يعلم مالا يعلمون • يقول آيرلاند : « لما كان السر برسى كوكس مقتنعا بان الحالة تتطلب اما تأسيس حكومة عربية او اخلاء البريطانيين للبلاد فقد مشى في طريقه برغم المناقشة التى اثيرت في الدوائر لرسمية »[١٧] •

اختيار رئيس الوزارة :

استقر رأى كوكس على ان يعمل في أول الامر على تشكيل وزارة موقتة ، أما موضوع اختيار الامير او الملك للبلاد فقد أجله الى ما بعد ذلك •

أن المشكلة الاولى التى واجهت كوكس في هذا الشأن هى : من الذى ينبغي أن يتولى رئاسة الوزارة الموقتة المنوى تشكيلها ؟ • وقد اتجه تفكير كوكس في البداية الى ترشيح السيد طالب لرئاسة الوزارة ولكن المشاورات التى أجراها مع مستشاريه جعلته يغير رأيه[١٨] •

كان من رأي كوكس ومستشاريه ان أفضل من يمكن ان يتولى رئاسة الوزارة هو نقيب اشراف بغداد عبدالرحمن الكيلانى ، ولكن المشكلة هل يقبل النقيب ان يفعل ذلك ؟

---

(16) Ibid (op. cit.) - P. 204-210.

(١٧) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) ـ ص ٢١٧ •

(١٨) المصدر السابق ـ ص ٢١٨ •

كان النقيب يومذاك في الثامنة والسبعين من عمره ومصابا بداء المفاصل ، وكان فوق ذلك زاهدا بالدنيا ومناصبها ، وقد اعتاد ان يصف نفسه بـ « الدرويش » ، اضف الى ذلك انه كان يعتبر قبوله المناصب في ظل الحكم البريطاني مما يحط من مكانته الدينية في نظر اتباعه المنتشرين في العالم . وقد ذكرت المس بيل في تقرير لها كتبته في عام ١٩١٩ انها عرضت عليه امارة العراق عامئذٍ فرفض ذلك بشدة . فهى تقول فى هذا التقرير : انها زارته في بيته في ٦ شباط ١٩١٩ وبعد حديث طويل معه وجهت اليه هذا السؤال : « اذا اقتضت الضرورة لاسباب سياسية لايمكن التكهن بها مقدما ، أن ينصب على رأس الدولة العراقية أمير من الامراء فهل يسعكم قبول هذه المسؤولية بمعونتنا وتعضيدنا لكي تتجنب انتخاب احد الامراء من الحجاز ؟ » فكان جوابه وهو مصحوب بتأكيد شديد : « كيف يمكنك القاء مثل هذا السؤال عليّ ؟ أنا درويش فهلا تعصمنى عادتى هذه ؟» وأخذ يؤشر بالاشارة المعروفة بتحريك جبته السوداء ، ثم استمر قائلا : « ان صيروتى رئيسا سياسيا للدولة هى ضد أشد مبادىء عقيدتي تأصلا ، ففي أيام جدى عبدالقادر اعتاد الخلفاء العباسيون استشارته كما تطلبين أنت وزملاؤك مشورتى الآن ، لكنه لم يكن يوافق على الاشتراك في الشؤون العامة . وسوف لا اوافق أنا ولا أي احد من احفاده على ان نفعل ذلك . هذا جوابي من الوجهة الدينية ، لكنى سأعطيك جوابا يستند على اسباب شخصية . فانني متقدم في السن . وأرغب في أن اقضي الخمس او الست سنوات التى بقيت من حياتى في الدرس والتأمل ، حيث انهما مشغوليتى المستديمة » . وبعد سكوت قليل قال رافعا صوته : « سوف لاأتراجع عما قلته الآن حتى اذا كان فى ذلك انقاذ العراق من الدمار التام »(١٩) .

---

(١٩) مس بيل (فصول من تاريخ العراق القريب) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ٤٨٠ـ٤٨٠ .

مهما كان الحال فقد قرر كوكس ان يجرب حظه وان يذهب الى النقيب بنفسه يعرض عليه رئاسة الوزارة • وقد ذهب اليه فعلا فى يوم ٢٣ تشرين الاول • تقول المس بيل : انها بينما كانت جالسة فى دائرتها مع فيلبي في ذلك اليوم اذ دخل عليها السر برسى كوكس وهو يلهث من التهييج وهتف قائلا : « نعم ، لقد قبلها ! » ، وتعلق المس بيل على ذلك قائلة :« وهكذا حصل اول نجاح ، ولم يكن هناك غير السر برسي قادرا على القيام به ، والحق ان اقناع النقيب بان يشارك في الامور العامة شيء قريب من المعجزة • ان فرح السر برسي بهذا النجاح كان مساويا لفرحنا نحن ، فبقينا نصف ساعة نتطاير من الفرح ونمجد النقيب كما نمجد المندوب السامى »[٢٠] •

يواجهنا هنا سؤال مهم : كيف تمكن كوكس من اقناع النقيب بتحمل مسؤولية رئاسة الوزارة • أو بعبارة اخرى ماهو السبب الذى جعل النقيب يرضى بتولى رئاسة الوزارة في عام ١٩٢٠ بينما كان فى العام الماضي يرفض امارة العراق رفضا باتا ؟

اننا لانجد في جميع المصادر التى بين ايدينا ما يكشف لنا عن سر هذا التحول العجيب في موقف النقيب ، وهو سر جدير بالباحثين أن يدرسوه ويميطوا اللثام عنه •

تشير بعض القرائن الى ان كوكس انما استطاع اقناع النقيب عن طريق ضربه على بعض الاوتار الحساسة في قلبه • فالمعروف عن النقيب انه كان يمقت الثورة والقائمين بها مقتا شديدا كما كان يمقت المجتهدين الذين ايدوا الثورة بفتاويهم • وكان كذلك يشمئز من وضع مقاليد الحكم في ايدي كل من هب ودب من الناس بل يرى وضعها فى ايدى الاشراف

(20) Lady Bell (op. cit.) - P. 460.

من ابناء الاسر وذوي النسب والحسب • والمظنون ان كوكس عندما ذهب الى النقيب يحادثه في أمر تشكيل الوزارة اخذ يضرب على مثل هذه الاوتار الحساسة ، وربما ذكر له ان قيامه بتولى المسؤولية أمر واجب عليه يفرضه الشرع والعرف وانه أذا لم يفعل كان مقصرا في واجبه نحو بلاده ومعتقده الديني• ويخيل لي ان كوكس قال له محذرا انه اذا لم يقبل تولي المسؤولية فسيضطر هو الى وضعها في أيدى اناس من الفئة التى يمقتها مقتا شديدا ، وسيكون في ذلك خراب البلاد • يقول آيرلاند : ان كوكس ناشد النقيب بواجبه نحو البلاد وألمح له عن المطامح الشخصية لدى الآخرين ومدى الضرر الذى سوف يقع من جرائها اذا لم يتول هو تشكيل الوزارة(٢١) :

اختيار الوزراء :

بعد أن رضي النقيب بتولى رئاسة الوزارة ظهرت مشكلة اخرى هي اختيار اعضائها ، ولم تكن تلك بالمشكلة الهينة في تلك الظروف • فقد كان بعض الرجال المعروفين لايقبلون بالاشتراك بالوزارة لاعتقادهم انها تحط من سمعتهم في نظر الناس ، كما ان رجالا آخرين كانت لهم أسباب اخرى تمنعهم من دخول الوزارة • وتحدثنا المس بيل في رسائلها عن الصعوبة التي جابهتها في اقناع بعض الرجال المرشحين • فهي تقول مثلا عن جعفر العسكرى الذي رشح لوزارة الدفاع ، وكان قد عاد من سوريا منذ ايام قليلة ، انه جاء اليها يسألها عن رأيها فيما اذا كان اشتراكه في الوزارة سيحطم سمعته الوطنية لان الوزارة سيعتبرها الناس لعبة انكليزية ، فقامت اليه المس بيل تلومه بشدة على هذا القول ، وظلت تحاوره حتى اقنعته بالقبول(٢٢) •

وبعد جعفر العسكرى جاء دور السيد طالب فهو قد رشح لوزارة

---

(٢١) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) ـ ص ٢١٩ •
(22) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 175.

الداخلية ، ولكنه كان ممتعظا يشعر ان ذلك اهانة له لانه لايستطيع ان يكون ذا مرتبة ثانوية حتى ولو بالنسبة للنقيب نفسه ، فحاولت المس بيل بالتعاون مع فيلبي اقناعه ، ولم يقتنع الا بعد ان طلب منهم ان يعلنوا انه يأتي بعد النقيب في المرتبة مباشرة ، فاذا تمرض النقيب او مات حل محله ، وعلى اى حال فهو يريد ان تمنح له ارفع التشريفات ويحاط بحرس شخصي كبير(٢٣) ، ويقول فيلبي في مذكراته : انه كان في ذلك الوقت على اتصال دائم بالسيد طالب حيث اشار عليه بالصبر واوصاه بالاذعان لخطط كوكس من اجل ان يتم تشكيل الحكومة الموقتة(٢٤) .

وعندما تم اقناع السيد طالب اعلن ساسون حسقيل الذى كان مرشحا لوزارة المالية امتناعه عن القبول ، فقد كان هذا الرجل لايحب ان يكون وزيرا مع السيد طالب في وزارة واحدة ، وتصف المس بيل الجهود التى بذلتها هى وفيلبى وكلايتون لاقناعه ، فهي تقول فى ذلك مانصه : « جاءني الميجر يتس لتناول الشاي عصرا ومعه المستر تود وزوجته ، ففاجأنا المستر تود بقوله انه عندما ذهب لتهنئة ساسون افندى بوزارة المالية وجده هو وحمدى باشا بابان (الذى عرض عليه منصب وزارة بلا حقيبة) كليهما في حالة رفض ... فتركت فنجان الشاى دون ان اشربه واسرعت عائدة الى الدائرة لاخبار المستر فيلبي ، انه لم يكن هناك ولكني لمحت نورا في غرفة السر برسى ، فذهبت اليه واخبرته ، فأمرني بان اذهب حالا الى ساسون افندى وكلفني بمحاولة تغيير رأيه ، فذهبت الى ساسون وانا اشعر كأنني احمل مستقبل العراق كله على يدى وحين وصلت الى بيت ساسون شعرت بالارتياح لاني وجدت المستر فيلبي والكابتن كلايتون هناك ، ذلك لان النقيب عندما تسلم رسالة ساسون بالرفض ارسلهما اليه على وجه السرعة ، وقد وصلت انا فى الوقت المناسب ، فانهما قد بذلا كل جهدهما

(23) Ibid - vol. 2. p. 177.

(٢٤) جون فيلبي (المصدر السابق) ــ ص ٤٦ .

لاقناعه دون جدوى . واعتقد ان قلقي الشديد لابد قد اوحى لي شيئـــاً لاقناعه لانه تأثر تأثرا محسوسا بعد ساعة من المجادلة المركزة معه على الرغم من ان اخاه شاؤول (الذي احترمه واعجب به ايضا) قد جاء وبذل جهده ضدنا ... وقد استطعنا اخيرا ان نجعل ساسون افندی يوافق على مراجعة فكره والاجتماع بالسر برسي غدا . اني كنت على يقين في قلبي بان اللعبة قد كسبناها ولم انم تلك الليلة كثيرا ، فقد كنت أقلب في عقلي الادلة التي جادلته بها وتساءلت هل كان في مقدوری الاتيان بافضل منها . وفي الصباح التالي ، يوم الخميس ، جاء ساسون افندی في الساعة العاشرة ، فأخذته فورا الى السر برسي وتركته معه . وبعد نصف ساعة خـــرج واخبرني بانه وافق...»(٢٥) .

أعلن تشكيل الوزارة في ٢٥ تشرين الاول وكان اعضاؤها صنفين : صنف يتألف من وزراء عاملين وعددهم تسعة ، اما الصنف الآخر فعددهم اثنا عشر وهم الذين وصفوا بانهم وزراء بلا مناصب وزارية ، او هـــم حسب التعبير الفرنسي « وزراء بلا حقائب » .

كان الوزراء العاملون هم : السيد طالب للداخلية ، وساسون حسقيل للمالية ، وجعفر العسكرى للدفاع ، وحسن الباچچي للعدلية ، وعـــزت الكركوكلي للمعارف والصحة ، ومصطفى الآلوسی للاوقاف ، وعبداللطيف المنديل للتجارة ، ومحمد علي فاضل للنافعة . وقد اعتذر حسن الباچچي عن الاشتراك في الوزارة فحل محله في وزارة العدلية مصطفى الآلوســـي ، وحل محل الآلوسی في وزارة الاوقاف محمد علي فاضل . وبقيت وزارة النافعة شاغرة حتى ٢٩ كانون الثانی ١٩٢١ - كما سنأتي اليه .

أما الوزراء بلا مناصب وزارية فهم : حمدی بابان ، عبدالجبـــار الخياط ، عبدالغني كبه ، عبدالمجيد الشاوی ، عبدالرحمن الحيدری ، فخری الجميل ، محمد الصيهود ، عجيل السمرمد ، احمد الصانع ، سالم الخيون ،

(25) Lady Bell (op. cit.) - P. 460.

هادي القزويني ، داود اليوسفاني • وقد اعتذر حمدي بابان وهـادي القزويني عن الاشتراك في الوزارة فحل محلهما ضاري السعدون ونجم البدراوي •

يقال ان تعيين هؤلاء الوزراء غير العاملين كان من بنات افكار النقيب لانه كان يريد ان يجمع في وزارته اكبر عدد ممكن من ابناء الاسر القديمة• ومن طريف مايروى عنه في هذا الصدد انه عندما رشح فخرى الجميل ليكون احد هؤلاء الوزراء تردد كوكس في قبوله فقال له النقيب : « مولاي، انه ابن فلان ، وجده فلان ، فبأى وجه اقابل اجداده في العالم الآخر اذا لم ادخله الوزارة »[٢٦]

وقد عين لكل وزير عامل مستشار بريطاني يسيره ويوجهه ، وتقرر ان يعرض الوزير جميع الاعمال الرسمية على مجلس الوزراء عن طريق المستشار ، وأن تنقل جميع مقـررات المجلس الى الوزير عن طريـق المستشار ايضا • وللمستشار الحق في حضور جلسات مجلس الوزراء حين يجرى البحث فيها حول أعمال الدائرة المختصة به ، وان يشارك في المناقشة دون ان يكون له حق التصويت[٢٧] .

كان المستشار في الواقع هو الحاكم الفعلي في كل وزارة تقريبا ، ولم يكن للوزير من أمر ونهي الا في نطاق محدود جدا •وقد أخذ بعض الوزراء يتذمرون من ذلك بينما سكت الآخرون وأطاعوا • وادرك الاهالى حقيقة النظام الجديد فصاروا يفضلون ان يراجعوا فى معاملاتهم المستشار بدلا من الوزير ، اذ انهم كانوا واثقين من أن حاجاتهم لاتقضى الا عن هذا الطريق • يروى ساطع الحصرى عن احد الوزراء وهو عزت الكركوكلي الذى كان في العهد العثمانى قائدا عسكريا انه قال له : « أنا فى كـل الوظائف التى توليتها قبلا كنت آمرا مطلقا • ولكن بعد ان صرت وزيرا

---

(٢٦) خيرى العمرى (حكايات سياسية) ـ القاهرة ٩٦٩ ـ ص ٤٣ •
(٢٧) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) ـ ص ٢٢٢ •

هنا صار امرى لايتعدى حدود هذا البارافان»[٢٨] .

وقد نظم معروف الرصافى في هذا الموضوع بيتين من الشعر بعنوان «حمام الوزارة» تناقلتها الافواه في ذلك الحين هما :

الا بلغـــوا عنـــي الوزيـــر مقالـــة
لـــه بينها لو كان يخجـل توبيـــخ
أراك بحمـــــام الوزارة نـــورة
وأمـا جنـاب المستشـار فزرنيـخ[٢٩]

وقد اشار الى مثل هذا المعنى باقر الشبيبي حيث قال فى قصيدة لـــه نظمها بعدئذ :

المستشار هو الذى شـــرب الطـلا
فعلام يـــا هـذا الوزيـر تعربـــد

مفارقات البداية :

وقع الاختيار على القشلة لكي تكون مقر الوزارات ، غير انها كانت في ذلك الحين مشغولة من قبل الجيش الانكليزى ، وقد طلب كوكس من الجنرال هامبرو اخلاءها ولكن الجنرال تلكأ في ذلك وماطل ، ولم يتـــم اخلاءها الا بعد فترة غير قصيرة .

وعندما انتقلت الوزارات الى القشلة استحوذ السيد طالب على افضل الاجنحة فيها ليكون مقرا لوزارته ، وهو الجناح الذى يقع فوق البـــاب الوسطى . وقد خصص السيد طالب غرفة واسعة بجانب غرفته لفيلبي الذى كان قد عين مستشارا له ، كما خصص غرفة واسعة اخرى لتكون ديوانا له يستضيف فيها زواره ويقدم لهم الطعام عندما يحين وقت الغداء . وكان السيد طالب يسكن يومذاك في دار قريبة من القشلة في محلة جديد حسن

(٢٨) ساطع الحصرى (مذكراتي في العراق) - بيروت ١٩٦٧ - ج١ - ص ٥١ .
(٢٩) معروف الرصافى (ديوان الرصافي) - بيروت - ص ٥١٤ .

باشا ، فكان الطعام الفاخر يجلب من داره كل يوم الى غرفة الديوان لـه ولضيوفه •

والغريب ان أردأ اجنحة القشلة خصص لوزارة الدفاع ، فامتعض من ذلك وزير الدفاع جعفر العسكري كل الامتعاض • يقول فيلبي في مذكراته : « جاءني جعفر باشا يشكو ، والدموع في عيونه لانه كان رجلا حساسا شديد العصبية ، من حشره هو ومستشاره الكولونيل ايدي في غرفة تشابه الاصطبل ليس فيها الاثاث الذي يليق بالمكتب • ألم يكن هو وزيرا للدفاع مع لاشيء يدافع به ولا شيء يدافع عنه ••• »(٣٠)

خصص لرئيس الوزراء راتب شهري قدره سبعة آلاف روبية ، كما خصص لكل من الوزراء والمستشارين ثلاثة آلاف روبية • والواقع ان هذا الراتب كان يعد ضخما جدا في تلك الايام • ولم يكن من المألوف في العهد العثماني ان ينال احد مثل هذا الراتب الا نادرا • ويروى ان وزير العدلية مصطفى الآلوسي حين ذهب الى المصرف العثماني لقبض راتبه الاول وشاهد الرزمة الكبيرة من النقود الورقية التي قدمها المحاسب له ، سأل قائلا : « أهذه الرزمة كلها لي ؟ » ولما أجابه المحاسب بالايجاب رفع يده الى السماء بلا شعور وقال : « اللهم انصر الدين والدولة ! »(٣١) •

وعلى أي حال فان السيد طالب لم يهن عليه ان يكون راتبه مثل راتب بقية الوزراء ، فذلك يخالف الشرط الذي اشترطه على الانكليز عند قبوله الاشتراك في الوزارة • وفي ٢٢ شباط ١٩٢١ أرسل المندوب السامي الى مجلس الوزراء اقتراحا بجعل راتب وزير الداخلية خمسة آلاف روبية اسوة براتب وزير الداخلية في اسطنبول • وفي ٢٧ منه اجتمع مجلس الوزراء للنظر في الاقتراح فقرر بالاجماع قبوله مع اضافة ألف روبية

---

(٣٠) جون فيلبي (المصدر السابق) ـ ص ٤٨ـ٤٩ •

(٣١) خيري العمري (المصدر السابق) ـ ص ٤٥ •

اليه ، وبهذا صار راتب السيد طالب ستة آلاف روبية[٣٢] ـ أي ضعف راتب الوزراء ، ولا يعلوه سوى راتب النقيب .

وتروى في هذا الصدد قصة طريفة جدا هي ان الوزراء كانوا قد اتفقوا فيما بينهم قبل انعقاد المجلس على معارضة الاقتراح عند تقديمه اليهم ، واخذ يشجع بعضهم بعضا على الصمود تجاه السيد طالب . ولكنهم عندما انعقد المجلس تخاذلوا تجاه نظرات السيد طالب المرعبة ، وكان اول المتخاذلين ساسون حسقيل حيث سارع الى القول « موافق » ، ثم أخذ الوزراء يقتدون به واحدا بعد الآخر حتى وصل الدور الى عبدالمجيد الشاوى وكان معروفا بحسن النكتة ، فهو بدلا من أن يقول « موافق » قال « منافق »[٣٣] . وكان في ذلك اصدقهم جميعا !

ومن الجدير بالذكر ان مجلس الوزراء كان ينعقد في دار النقيب الواقعة على شاطىء النهر بجوار بناية المصرف الزراعى الحالية ، وسبب ذلك ان النقيب لم يكن قادرا على الخروج من داره لابتلائه بداء المفاصل. وكان المجلس ينعقد مرتين في الاسبوع ، في يومى السبت والاثنين ، فيتوجه الوزراء اليه بعد صلاة الظهر ، حيث يأتي فريق منهم راكبا بالسيارة ، وفريق بالعربة ، وآخرون على ظهور الخيل ، حتى اذا انتظم عقدهم وشربوا القهوة اشار النقيب الى سكرتير المجلس السيد حسين افنان قائلا له « اقرأ ياولدى » . فيباشر السيد حسين بتلاوة الكتب الواردة وبعد ان يتم المجلس مداولاته يدعوهم النقيب لتناول طعام الغداء عنده ، ولا يقبل معذرة احد منهم . فاذا فرغوا من تناول الطعام وارادوا الخروج وقف السيد محمود الكيلاني ، وهو ابن النقيب الاكبر ، عند الباب على طريقة الولائم التقليدية : فهم يقولون عند الخروج « سفرة دائمة وبيت عامر » ، وهو يرد عليهم بالعبارات المناسبة[٣٤] .

---

(٣٢) عبدالرزاق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية) ـ صيدا ١٩٦٥ ـ ج١ ص ٢١ـ٢٢ .
(٣٣) خيري العمري (المصدر السابق) ـ ص ٤٥ـ٤٦ .
(٣٤) المصدر السابق ـ ص ٤٣ـ٤٦ .

بحر العلوم الطباطبائي :

كان كوكس راغبا منذ البداية في اسناد وزارة ذات حقيبة الى رجل من الشيعة ، وقد وقفت تجاه رغبته هذه عقبتان : اولاهما ان النقيب وبعض الوزراء المتنفذين لم يكونوا يوافقون على ذلك • والثانية هي ان الشيعة أنفسهم كانوا يحتقرون أي رجل منهم يقبل الاشتراك في الوزارة ، فاذا تجرأ أحد منهم ودخل في الوزارة نبذوه اجتماعيا وربما اهانوه • واذا كان هذا الرجل من رجال الدين اطلقوا عليه لقب « عالم الحفيز » اى صديق الانكليز او عميلهم •

تمكن كوكس اخيرا من اقناع النقيب والوزراء المتنفذين بالموافقة على اسناد وزارة ذات حقيبة الى رجل من الشيعة • ففي ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٠ كتبت المس بيل تقول : المظنون ان الوزارة سوف يعاد توزيع المناصب فيها من اجل ادخال رجل شيعي فيها[٣٥] • ومما يلفت النظر ان هذا الذى ذكرته المس بيل حول اعادة توزيع المناصب الوزارية لم يتحقق الا بعد مرور اكثر من شهرين ، والظاهر ان هذا التأخر نشأ من جراء صعوبة العثور على رجل من الشيعة له مكانته الاجتماعية ويرضى بالاشتراك في الوزارة •

تم العثور اخيرا على رجل من اهل كربلاء يرضى بذلك اسمه السيد محمد مهدى بحر العلوم الطباطبائي • فأرسل اليه النقيب في ٢٤ كانون الثانى رسالة يذكر فيها اسناد وزارة المعارف والصحة اليه ، وفى ٤ شباط أجابه الطباطبائي برسالة مليئة بالعبارات التقليدية الطنانة ، وهذا نصها :

حضور جناب الاكمل الافضل حضرة رئيس الوزراء نقيب الاشراف والعظيم من صفوة آل عبد مناف دام ظله وعلاه •

بعد السلام عليكم وعلى من يحظى شرفا بخدمتكم ورحمة الله

(35) Lady Bell (op. cit.) - P. 464.

وبركاته • لقد تشرفت انامل اليوم باستلام أمركم الصادر علي المؤرخ ١٤ جمادى الاولى ١٣٣٩ مبتهجا به حيث أنابني عن توجيه ألطافكم على مخلصكم واني لافتخر بخدمة الوطن والملة التى اصبحت زعيمها وعظيمها ولو لم يكن بها من الشرف الا امتثال أوامركم لكفاني فخرا وها أنـــي مترقب اجراء أمركم السامي سعيا على العين لاسعيا على القدم •

٢٥ جمادى الاولى ١٣٣٩ بحر العلوم زادة : محمد مهدي(٣٦)

كان عزت الكركوكلي يتولى حينذاك وزارة المعارف والصحة ، فجرى نقله الى وزارة النافعة بعد تبديل اسمها الى « وزارة الاشغال والمواصلات » • وفي ٢٢ شباط تم اسناد وزارة الصحة والمعارف الى الطباطبائي •

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الطباطبائي كانت له خدمة سابقة في وظائف الحكومة في بداية الاحتلال ، حيث ورد اسمه في القوائم التى ذكرها ويلسون في ملاحق مذكراته ، فقد عينه الانكليز معاون حاكم سياسي في كربلاء في ١ شباط ١٩١٨(٣٧) • ومعنى هذا ان الطباطبائي كان من « علماء الحفيز » •

ازمة وزارية :

في أواخر تشرين الثاني ١٩٢٠ حدثت ازمة فى الوزارة تعد اول ازمة وزارية في تاريخ العراق الحديث ، وكان مثيرها السيد طالب • وتعلل المس بيل سبب الازمة بان السيد طالب حين يئس من مساعدة الانكليز له على نيل التاج العراقي أخذ يتظاهر بالوطنية وأعلن استقالته من الوزارة • تقول المس بيل في رسالة الى والدها مؤرخة في ٢٩ تشرين الثاني مانصه :

« نحن الآن في أوج أزمة وزارية • فان السيد طالب استقال وطلب

---

(٣٦) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) — ج١ ص ٥٩ •

(37) Wilson (op. cit.) vol. 2, p. 388.

أن نسمح له بالذهاب الى لندن هو وأولاده ، وقدم لاستقالته حججا واهية جدا • أما دوافعه الحقيقية فهي كما اعتقد انه أدرك اننا لاننوى فرضه على الناس ضد رغبتهم فأراد أن يجتذب اليه المتطرفـين وحتى الوطنيـين الحقيقيين • ولهذا ألقى في مجلس الوزراء خطبة طويلة طلب فيها اعلان العفو العام • انه كان يتوقع من النقيب ان يرفض هـذا الطلب ، وعندئذ سيظهر نفسه للناس بأنه وطني حقيقي وانه كان على استعداد للعمل مـع الانكليز ولكنه وجد ذلك مستحيلا • وعلى اى حـال فان النقيب وعـدة وزراء كانوا قد علموا بالامر مقدما ، وان جعفـر وساسون قضيا معظم الصباح في الحديث معي • واتخيل انهم سوف يتبنون منهج السيد طالب مع بعض التعديل ، وبذا يأخذون الريح من أشرعته • وقد اتفقنا فـي الرأي على ان استقالته تدعو الى الاسف ، اذ هي تؤدي الى هـز الوزارة التي هي في وضع غير مريح • وفي الوقت نفسه اذا أصر السيد طالب على الاستقالة فاننا يجب ان نواجه ذلك بصلابة • فاننا اذا استطعنا الصمود تجاه هـذه الضجة فسيكون تخلصنا من السيد طالب ذا فائـدة كبيرة لنا بـلا ريب ...»(٣٨) •

ولم يكتف السيد طالب باعلان استقالته بل اتصل بجريدة «الاستقلال» التي كانت في ذلك الوقت تنطق بلسان الوطنيين ، وقد نشرت له الجريدة حديثا قالت انه جرى بينه وبين احد محرريها • فقد سأله المحرر يستوضح منه خبر استقالته ، فأجابه السيد طالب قائلا بان الرأى العام ضد الـوزارة الحاضرة ، وهو يعتقد ان الحكومة اذا لم يعاضدها شعبها فانها لايمكن ان تنجح في مهمتها • وذكر السيد طالب في حديثه انه قدم مطاليب مشروعة ومعتدلة من أجل نفع الامة والوطن ولكن هذه المطاليب حصل بعض التردد في قبولها ، فاضطر هو الى الاستقالة لكي تبقى صحيفته بيضاء كما كانت في أول امرها • ولما سأله المحرر عن ماهية تلك المطاليب ، أجاب : ان ذلك

---

(38) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 185-186.

سر لايمكن افشاؤه ولكن الرأى العام سيطلع عليه في الوقت المناسب • ثم قال ان اكثرية الوزراء يقفون الى جانبه • فسأله المحرر : هل ان استقالته نهائية ؟ فأجاب : ان استقالته ليست نهائية وهو يمكن ان يرجع عنها حين يتأكد من قبول مطاليبه(٣٩) •

وفي ٤ كانون الاول كتبت المس بيل الى والدها رسالة اخرى ذكرت فيها شيئاً عن استقالة السيد طالب وأثرها في الرأي العام ، فهي تقول :

« ان بهلوانيات السيد طالب تثير معظم اهتمامنا • وقد اخبرتك عن استقالة السيد طالب وسحبها • فان هدفه الوحيد هو التملق للوطنيين • وقد أوضح موقفه بجلاء في حديث له مع محرر جريدة الاستقلال المتطرفة التي ظهرت بعد سحب استقالته ، حيث قال بأنه كان قد راقب الرأي العام بدقة فوجده ضد الوزارة الحالية ، وهو من جانبه قد قدم سلسلة من المطاليب التي يجب أن يعرضها مجلس الوزراء على السر برسي كوكس ، وكان من جملة هذه المطاليب عودة المنفيين واللاجئين ، ومنح حرية اكبر للوزراء في ممارسة اعمالهم الخ ••• ولكن هذه المطاليب لم ينظر اليها زملاؤه الوزراء بعين القبول ، ولهذا وجد من واجبه كوطني ان يستقيل وهو يأمل من زملائه أن يقتدوا به في الاستقالة اذا كانوا يحبون وطنهم ، ثم ألمح بغموض الى انه سيعيد النظر في موقفه في حالة موافقة المجلس على مطاليبه• وفي الحقيقة ان مناورات السيد طالب قد دعمت موقفه بين الشباب العرب الذين كانوا يمقتونه من قبل » •

وأضافت المس بيل الى ذلك قائلة : ان ساسون حسقيل وعبدالمجيد الشاوى كانا الوحيدين اللذين وقفا حقا ضد السيد طالب في المجلس ، أما جعفر العسكرى فقد وافقه على لعبته • وهى تعلل ذلك بان العسكرى انما فعل ذلك لكى يجد له طريقا فيما بعد ولا سيما عند عودة العراقيين من

(٣٩) جريدة « الاستقلال » في عددها الصادر في ١ كانون الاول ١٩٢٠ •

سوريا • وتنقل المس بيل قولا قاله حسين افنان في وصف لعبة السيد طالب هو : « ان السيد طالب قضى ثلاثين سنة قبل هذا في مكايدة أدهى الموظفين الاتراك وعرف كل صغيرة وكبيرة من فن اللعبة »[40] •

وعلى أي حال فان السيد طالب لم يستمر في لعبته طويلا • ففي ١٨ كانون الاول كتبت المس بيل تقول : « جاءني السيد طالب اليوم ، وهو يوم الاحد ، ويجب ان اعترف انه احدث انطباعا حسنا لدي • فانه اخبرني بصراحة بأنه يرغب في ان يكون امير العراق • واخذنا نتداول حـــول وضعه بتفصيل ، وظننت انه ابدى حكمة وتعقلا • وبعد هذا بدأنا نتحدث عن الجريدة الوطنية العنيفة ــ تقصد جريدة الاستقلال ــ التى اصبحت الآن بلشفية تماما ومن المحتمل انها تقبض المساعدات المالية • فانه يفكر اننا يجب ان نغلقها ، واعتقد ان رأيه هذا صحيح وسوف أنقله الى السر برسي غدا •• »[41] •

جريدة الاستقلال :

ان جريدة « الاستقلال » ــ كما أشرنا اليه آنفا ــ كانت تنطق بلسان الوطنيين • والواقع ان هذه الجريدة لم تكن جريدة اعتيادية بل كانت شبه منظمة سياسية يجتمع في دارها الوطنيون ويساهمون في كتابتها • انها كانت أول جريدة معارضة للسياسة البريطانية في العراق •

صاحب الجريدة هو عبدالغفور البدري،وكان في اثناء الحرب ضابطا وانضم اخيرا الى الثورة العربية • وهو لم يستطع الحصول على امتيـــاز الجريدة الا بعد تردد ومماطلة من المسؤولين • وقد صدر العدد الاول منها في ٢٨ ايلول ١٩٢٠ • وكانت ادارتها على شاطى النهر في جانب الرصافة قرب المحكمة الشرعية الحالية •

لم يكن عبدالغفور البدرى يتقن الكتابة ، او لعله لاقـــدرة له على

(40) Ibid - vol. 2. p. 188-189.

(41) Ibid - vol. 2. p. 129.

الكتابة كما قيل ، ولكنه كان رجلا ذا حزم ورأي واستطاع ان يجمع حوله عددا من الكتاب ليساهموا في تحرير جريدته ، وكان من جانبه يتحمل تبعة ما يكتبون ويحميهم • وكان رئيس تحرير الجريدة في اول امرها قاسم العلوي ، ويساعده في التحرير كثيرون منهم علي محمود الشيخ علي وطالب مشتاق ومهدي البصير وسامي خونده ورشيد الصوفي وعوني بكر صدقي وحسين الرحال ومصطفى علي وباقر الشبيبي وسلمان الشيخ داود واحمد جمال الدين وفهمي المدرس وعبداللطيف حبيب وخيري حماد الفلسطيني وغيرهم • ويقول رفائيل بطي في وصف هذه الجريدة : « كان المرء يحس وهو في ادارة هذه الجريدة انها مؤسسة شعبية وطنية ونادي سياسي مكتظ بالمكافحين ، حركة نشيطة يشترك فيها جماعات من الاهلين من طبقات الشعب ، هذا يتبرع بالمال ، وذاك يكتب ، وآخرون يتبرعون بتسيير ادارة الجريدة ، وذلك يبدي الافكار ويوجه • وتلف الجميع حماسة جارفة ••• حتى ان (لافتة) الجريدة على باب الادارة كتبت بالالوان المربعة (الابيض والاسود والاخضر والاحمر) وهي ألوان العلم العربي الذي حمل ابان الثورة في الحجاز ، قبل أن يرفرف في سماء العراق علم عراقي » • ويضيف رفائيل بطي الى ذلك قائلا : « وهناك حقيقة يحسن تسجيلها هي ان صدر حكومة الاحتلال الانجليزية كان رحباً ازاء ما تكتبه جريدة الاستقلال ، فأفسحت مجالا لا بأس به من حرية الصحافة مما لم نجده بعد ذلك مُراعى دائما في عهد الاستقلال »[٤٢].

وقد أعطتنا المس بيل في احدى رسائلها وصفاً عجيباً للجماعة التي كانت تلتف حول جريدة « الاستقلال » حيث قالت : « ان القوميين التقدميين هنا ، وهم الذين لا يريدون الاتراك ولكنهم غير راضين عن وضعهم الحاضر ، يستعملون اسطورة البعبع التركي على أمل ان يأتي الاتراك لاخراجنا من البلاد ثم يأتون هم بدورهم ليخرجوا الاتراك منها»

(٤٢) رفائيل بطي (الصحافة في العراق) ـ القاهرة ٩٥٥ ـ ص ٦٠ •

ان الذين يفكرون بمثل هذا التفكير هم جماعة صغيرة ولكنها ذات صخب ، وعندهم جريدة تنطق بلسانهم تسمى « الاستقلال » وان معظم كتابها وأتباعهم أشخاص لا تستطيع أية حكومة استخدامهم ، ولو أننا خرجنا من البلاد لصاروا ضد الذين يأتون بعدنا ... »(٤٣)

كانت جريدة «الاستقلال» تكثر من ترديد اسم الامير فيصل على صفحاتها ، وتطنب في مدحه وتبدي تألمها لما جرى على سوريا عقب اخراجه منها . وكانت فوق ذلك تشير بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى ان فيصل هو المرشح اللائق لعرش العراق . وقد نشرت في ١١ آب ١٩٢٠ برقية مصدرها لندن فحواها ان فيصل في طريقه الى سويسرا لمقابلة رئيس الوزارة البريطانية الموجودة هنالك للمداولة في شأن اجلاسه على عرش العراق . ولا حاجة بنا الى القول بان هذا الالحاح من الجريدة على ذكر فيصل كان يستفز السيد طالب ويغضبه. يروي طالب مشتاق في مذكراته : ان السيد طالب عرض على عبدالغفور البدري اثنى عشر ألف روبية لقاء الامتناع عن ذكر فيصل ، فرفض البدري ذلك(٤٤) .

ويروي سلمان الشيخ داود الذى كان من محرري الجريدة كما أسلفنا : ان السيد طالب عندما قدم استقالته استدعاه وعرض عليه اوراقا تتضمن استقالته وشكواه من تدخل المستشارين وقال له ان فيلبي والمس بيل راجعاه واقنعاه لسحب الاستقالة وأنه وعدهم بذلك . ثم طلب السيد طالب من سلمان أن يكتب في الجريدة مقالا في مدحه وفي الاشادة بوطنيته، ولكن سلمان لم يفعل ما طلبه منه السيد طالب بل فعل العكس من ذلك(٤٥) . فقد ظهرت الجريدة في اليوم التالي تحمل مقالا بعنوان

---

(43) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 205.

(٤٤) طالب مشتاق (اوراق أيامي) ـ بيروت ١٩٦٨ ج١ ص ٩٦ .
(٤٥) خيري العمرى (شخصيات عراقية) ـ بغداد ١٩٥٥ ـ ج١ ص ٣٨ .

« أريد حياته ويريد موتي » وكان مقالا يتضمن هجوماً شديداً على السيد طالب من دون ذكر اسمه انما يشير اليه اشارة تدل عليه بوضوح(٤٦) .

صار السيد طالب يتحين الفرصة للايقاع بجريدة « الاستقلال » ومحرريها . وقد واتته الفرصة أخيراً في ٩ شباط ١٩٢١ ، ففي ذلك اليوم كان بعض المنفيين في جزيرة « هنجام » قد عادوا الى بغداد بعد اطلاق سراحهم وكان من بينهم أحمد الشيخ داود وجعفر الشبيبي وعارف السويدي ومحمد مصطفى الخليل ونورى فتاح وغيرهم . فأصدرت الجريدة عدداً خاصاً بتلك المناسبة كتبت في صدره عنواناً مثيراً بالخط العريض هذا نصه « نهنىء الامة العراقية بقدوم بعض منفيينا الكرام ونطلب ارجاع جميع المنفيين بلا استثناء كما اننا نواصل الطلب في تنفيذ سائر المواد السبعة » . ثم ذكرت الجريدة تحت هذا العنوان منهاجاً للكفاح السياسى يتضمن سبع مواد منها اطلاق حرية الصحافة والاجتماعات ، واصدار العفو العام ، والغاء الادارة العرفية . ولم يكد هذا العدد ينتشر بين الناس حتى صدر الامر من وزارة الداخلية باغلاق الجريدة وتوقيف صاحبها مع أحد عشر رجلاً من أعوانه .

لم يمكث الموقوفون في الحبس مدة طويلة ، فقد توسط مستشار العدلية بونهام كارتر في أمرهم ، واستطاع أن يطلق سراح سبعة منهم . ثم أبعدت الحكومة اثنين آخرين منهم ، أما الثلاثة الباقون وهم عبدالغفور البدري ومهدي البصير وقاسم العلوي فقد سيقوا الى المحكمة ، وتعتبر محاكمتهم أول محاكمة صحافية في تاريخ العراق الحديث . وقد حكمت المحكمة على البدري بالسجن مع الاشغال الشاقة لمدة سنة واحدة ، وعلى البصير لمدة تسعة أشهر ، وعلى العلوي لمدة ستة أشهر . كما قررت المحكمة تعطيل جريدة « الاستقلال » لمدة سنة كاملة .

---

(٤٦) جريدة « الاستقلال » في عددها الصادر في ٢٢ كانون الاول ١٩٢٠ .

يحكى ان السيد طالب مر على عبدالغفور البدري وهـو يعمـل في في تكسير الاحجار في الشارع مع السجناء العاديين ، فقال له : « أيعجبك هذا ياعبدالغفور ؟ » فاجابه البدري : « ليس أحب الي من التعذيب في سبيل وطني وشعبي ، امضو في تعذيبكم ما شاء لكم الهـوى ، والويل لكم من الشعب ! »[٤٧] .

العائدون :

كان في سوريـا عـــدد كبير من الضبـاط والموظفـين العـراقيين الذين كانوا في خدمة الحكومة الفيصلية فلما سقطت تلك الحكومة عـلى أثر معركة ميسلون فقدوا وظائفهم وصار الكثير منهم في ضيق معاشي شديد.

كان جعفر العسكري أول من عاد منهم الى العراق ، وقد وصل في ١٦ تشرين الاول ١٩٢٠ حيث تولى وزارة الدفاع ـ كما ذكرنا من قبل. وصار العسكري يلح في مجلس الوزراء لكي تبذل الحكومة مساعدتها في تعجيل عودة الباقين بالنظر لحالتهم المعاشية السيئة من جهة ولحاجة العراق الى خدماتهم من الجهة الاخرى[٤٨] .

استحصلت الحكومة من القنصل الفرنسى ببغداد قائمة تحتوي على ٢٤٠ اسماً من أسماء الضباط العراقيين الموجودين فـي سوريا . وفي ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠ أبرق كوكس الى لندن يطلب الاذن بتسهيل عودتهم. وفي منتصف شباط ١٩٢١ وصلت الى بغـداد أول جماعـة منهم كان في مقدمتهم نوري السعيد الذى عين وكيلاً لوزير الدفاع جعفر العسكري . ويجب أن لا ننسى في هذا الصدد ان نوري وجعفر كانا متصاهرين اذ كان كل منهما متزوجاً من أخت الآخر .

كتبت المس بيل في ٢٤ شباط تقول : « شهد الاسبوع الماضى الوصول

(٤٧) فائق بطي (اعلام في صحافة العراق) ـ بغداد ١٩٧١ ـ ص ١٧٣.
(٤٨) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) ـ ص ٢٢٥ .

الاول لعناصر جديدة هم الضباط العراقيون الذين كانوا في سوريا وبدأوا يعودون • وكان أول من جاء منهم نوري باشا زوج أخت جعفر •••

وفي اليوم التالي لوصوله تلفن لي جعفر يسألني متى يستطيع نوري لقاء السر برسي • فطلب السر برسي منهما المجيء حالاً وتناول طعام الغداء عنده • فجاءا في الساعة الثانية عشرة وجلسا ساعة معي • وقد دعوت الكابتن كلايتون الذى كان يعرف نوري ويحبه • وجاء الميجر موراي ، وجرى بينهما حديث مهم جداً ••• »[٤٩] • وأخذت المس بيل تقارن في رسالتها بين جعفر العسكري ونوري السعيد ، فقالت : « ان جعفر رجل طيب تحفزه أرفع المثل ، وتعوزه القوة • انه في طبيعته رجل متسامح، بدين جداً ، مع ابتسامة مشرقة ، وهو يستجيب فورا للصداقة والتعاطف، ويمنحك في الحال ثقته • ومن العجيب ان رجلاً بمثل هذه المميزات البدنية والذهنية يكون متحمساً في اعتقاداته السياسية • ولكنه ليس لديه ما يجعله معروفا بذلك لدى الجمهور • فهو لم ينجح في اجتذاب المتطرفين الشبان في بغداد وفي اقناعهم بنزاهتنا على نحو ما هو مقتنع بها • أما صهره نوري فهو يختلف عنه تماماً ، ففي اللحظة التي رأيته فيها ••• أدركت أننا نواجه طاقة قوية ومرنة وان علينا اما ان نتعاون معه او ندخل معه في صراع شاق ــ شاق جداً للانتصار عليه »[٥٠] •

أخذ جعفر ونوري يعملان معاً لتسهيل عودة العراقيين من سوريا وايجاد الوظائف المناسبة لهم • وفي ٦ آذار وصل عن طريق البحر ١١١ ضابطا عراقياً مع افراد عائلاتهم • وفي ١٤ منه وصل عن طريق الصحراء ناجي السويدي مع خمسة عشر شخصاً • وفي ٣ تشرين الثاني وصل توفيق السويدي • وفي

---

(49) Lady Bell (op. cit.) p. 476.

(50) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P 209-210.

٢١ منه قرر مجلس الوزراء تخصيص ٧٥ ألف روبية لاعادة بقية الضباط العراقيين الذين ظلوا في سوريا لعدم توفر نفقات السفر لديهم •

وفي الوقت نفسه أخذ العراقيون الذين كانوا موجودين في تركيا يعودون الى العراق[٥١] ، وهم من الموظفين السابقين او الضباط او التجار أو الطلاب • وكانت قد وصلت قبلئذ أول دفعة من الاطباء العراقيين الذين درسوا الطب في اسطنبول ، وهم : هاشم الوتري وفائق شاكر وسامي شوكت وشاكر السويدي واسماعيل الصفار وصائب شوكت وشوكت الزهاوي وغيرهم[٥٢] •

ملء الوظائف :

كانت الوظائف الحكومية في بداية الاحتلال البريطاني يشغلها موظفون بريطانيون وهنود في الغالب • وكان قليل منهم عراقيين • وعند تشكيل الوزارة النقيبية المؤقتة بدأت السياسة تتجه نحو تقليص عدد البريطانيين والهنود ، وتكثير العراقيين • يقول فيلبي في مذكراته : انه عندما تولى منصب مستشار وزارة الداخلية وجد عدد الضباط البريطانيين الاداريين يبلغ ١٣٠ فعمل على تخفيضه الى ٤٠ ، وقد منح الذين أخرجوا من وظائفهم اكراميات سخية لكي يتسنى لهم تدبير شؤونهم حتى يمكن لهم الحصول على وظائف اخرى[٥٣] •

وفي ٦ كانون الثاني ١٩٢١ تأسست قيادة للجيش العراقي في مقر وزارة الدفاع من عشرة ضباط ، وأخذ الجيش ينمو منذ ذلك الحين بمناصبه وتشكيلاته ، وصار الضباط العائدون من سوريا يملأون

---

(51) Report on Iraq Administration - October 1920 - March 1922 - P. 7.

(٥٢) هاشم الوترى ومعمر خالد الشابندر (تاريخ الطب في العراق) ـ بغداد ١٩٣٩ ـ ص ٥٠ •

(٥٣) جون فيلبي (المصدر السابق) ـ ص ٤٦ـ٤٧ •

تلك المناصب شيئاً فشيئاً • وفي الوقت نفسه أخذ مجلس الوزراء يصدر التعيينات المتعاقبة لملء الوظائف الادارية في الالوية • وقد كتبت المس بيل في ٧ شباط تقول : « ان المجلس قرر عدداً من التعيينات في المناصب الادارية في الالوية – متصرفين وقائمقامين • وكان الكثير منهم صالحين الى حد ما • وان السر برسي يوافق على التعيينات عندما يصر النقيب ، وأظن انه مصيب في ذلك • فاننا يجب أن نجلس ونرى كيف يرتكبون الاخطاء• ان كل التعيينات تصدر من وزارة الداخلية(٥٤) » •

وفي ٢٧ شباط وافق مجلس الوزراء على الاستغناء عن الموظفين الهنود تدريجاً وتعيين موظفين عراقيين بدلاً عنهم(٥٥) • وبهذا أصبحت أبواب الوظائف مفتوحة للعراقيين ، فأسرع لاغتنامها العائدون من سوريا وتركيا، كما أسرع اليها الموظفون السابقون الذين فقدوا وظائفهم على اثر انسحاب الاتراك من العراق• وذكرت المس بيل ان السيد طالب حدثها عن الحاجة الفورية لسد افواه رواد المقاهي من الموظفين القدامى والضباط ، وقال عنهم انهم الان في فقر مدقع ولا بد من اسكاتهم بتعيينهم في وظائف حكومية • وقد وافقت المس بيل على رأيه هذا موافقة تامة(٥٦) •

والملاحظ بوجه عام ان العائدين من سوريا حصلوا على حصة الاسد من الوظائف العالية مما أثار عليهم حنق أبناء الأسر المعروفة الذين كان يحتكرون كثيراً من تلك الوظائف في العهد التركي • فلقد كان العائدون في الغالب من اسر متوسطة او فقيرة ، وقد حدث صراع خفي بينهم وبين ابناء الاسر المعروفة واستمر هذا الصراع مدة طويلة ، كما سنأتي اليه في حينه •

---

(54) Lady Bell (op. cit.) - P. 474.

(٥٥) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) – ج ص ٢١ •

(56) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 192.

ويجب أن لا ننسى في هذا الصدد ان اليهود استطاعوا ان يحصلوا على حصة كبيرة من الوظائف في ذلك الحين • ويُعزى ذلك الى سببين، اولهما : ان اليهود كانت لديهم مدارس خاصة بهم ذات مستوى تعليمي لا بأس به حيث تعلموا فيها اللغات الاجنبية ومسك الدفاتر وغيرها من المواضيع التي كانت يومذاك من الامور النادرة في العراق ، ولهذا فقد اعتبرتهم الحكومة أكفاء لتولي الوظائف التي تحتاج الى خبرة في تلك المواضيع • والسبب الثانى هو ان الانكليز كانوا يعتبرون اليهود من انصارهم والمؤيدين لحكمهم في العراق ، فساعدوهم على دخول الوظائف • ويمكن أن نضيف الى ذلك سبباً ثالثاً هو شخصية زعيمهم ساسون حسقيل الذى تولى وزارة المالية وكان الانكليز يحترمونه كثيراً ، فقد دأب هذا الرجل على ملء الكثير من وظائف وزارته وغيرها بأفراد من قومه اليهود • يقول ساطع الحصري في وصف ساسون : « لا شك أنه كان أذكى الوزراء، وأعرفهم في شؤون الحكم •• ولكن ابعدهم عن التفكير في مصالح البلاد• فان مصلحة طائفته الاسرائيلية كانت تشغل الموقع الاول في تفكيره وفي عمله(٥٧) • وحدثني رجل اثق به أنه شهد مرة مشادة عنيفة بين ساسون وعبدالمحسن السعدون حول تعيين اليهود في الوظائف ، اذ كان السعدون في أشد حالة من الحنق والغيظ تجاه الحاح ساسون وتوسطاته المتنوعة في هذا الشأن •

المرجعية الشيعية :

عند نشوب ثورة العشرين كانت المرجعية الدينية لدى الشيعة قد انحصرت في المرزا تقي الشيرازي الذى كان يسكن كربلاء • وقد ساعد هذا الرجل على قيام الثورة وقيادتها مساعدة فعالة كما هو معروف • وقد

---

(٥٧) ساطع الحصرى (المصدر السابق) – ج١ ص ٥٢ •

مات في ١٧ آب ١٩٢٠ عندما كانت الثورة في عنفوانها • فانتقلت المرجعية الى الشيخ فتح الله الاصفهاني الملقب بـ « شيخ الشريعة » وكان يسكن النجف • واستمر هذا على مساعدة الثورة والاشراف عليها حتى آخر أيامها • غير انه لم يبق بعدها الا قليلا ، حيث مات في ١٨ كانون الاول من العام نفسه •

كان هناك ثلاثة مجتهدين مرشحين للمرجعية عند موت شيخ الشريعة : اثنان منهم يسكنان النجف هما السيد ابو الحسن الاصفهانى والمرزا حسين النايينى ، وواحد يسكن الكاظمية هو الشيخ مهدى الخالصي • وقد كان الخالصى اكبر الثلاثة سنا ، وكان زميلاه يعترفان بمكانته فيهم ويحترمان رأيه في كثير من الاحيان • وكان هو يمتاز عليهما بكونه عربيا من اسرة عراقية عريقة ، غير انه حصل على الجنسية الايرانية في العهد العثماني من اجل التخلص من الجندية ، على نحو ما فعل الكثيرون ، بينما ظل في ملبسه ومسلكه ولهجته عربيا عراقيا •

ويمتاز الخالصي ايضا بانه كان شديد الاهتمام بالسياسة ويعدها جزءا لايتجزأ من الدين • انه كان يعتبر الدين له ظاهر وباطن ، فظاهره العبادات والشعائر ، أما الباطن فينحصر في السعي لتخليص البلاد الاسلامية من تسلط الكفار • وقد كان يفضل حكم الاتراك على حكم الانكليز ، فاولئك مسلمون وهؤلاء كفار ، والحاكم المسلم في نظره ولو كان ظالما خير من الكافر العادل • فالخالصى بهذا يخالف رأي ابن طاووس الذى افتى به قديما وهو ان الكافر العادل خير من المسلم الظالم •

وعندما فتحت ابواب الوظائف للعراقيين فى الشهر الاول من عام ١٩٢١ أفتى الخالصي بحرمة الدخول فيها حيث اعتبرها بمثابة التعاون مع الكفار • ومن الجدير بالذكر ان فتوى الخالصى في حرمة الوظيفة لقيت

رواجا واسعا في اوساط الشيعة فصار الكثيرون منهم يرفضون الوظائف التي عرضت عليهم • ومن الممكن القول ان الانتعاش الاقتصادى الذى كان سائدا فى البلاد يومذاك ساعد على تدعيم تلك الفتوى وترويجها ، اذ كان الرجل الشيعي يفضل ان يكسب المال « الحلال » في السوق على ما تدره عليه الوظيفة من مال « حرام » •

كان كوكس حريصا على ادخال الشيعة في الوظائف ، وخاصة في منطقة الفرات الاوسط والعتبات المقدسة ، ولكنه وجد امامه عقبتين تعرقلان عليه سبيله اولاهما فتوى الخالصي ، والاخرى امتناع النقيب وبعض الوزراء من قبول الشيعة في الوظائف •وقد استطاع كوكس اخيرا ان يقنع النقيب والوزراء بتوظيف عدد محدود من الشيعة ، ولكنه لم يستطع ان يقنع الخالصي بالتنازل عن فتواه •

حدثني من اثق به أن كوكس طلب من السيد جعفر عطيفه رئيس بلدية الكاظمية أن يدبر له لقاءا مع الخالصى للكلام معه ، فارتأى السيد جعفر ان من الممكن الالتقاء بالخالصي عند مجيئه الى الصحن للصلاة ، وتم الاتفاق بين كوكس والسيد جعفر على ذلك ، ووقفا معا عند باب الصحن الصغيرة التى اعتاد الخالصى ان يدخل منها الى الصحن لاداء الصلاة • ولما جاء الخالصي تقدم منه السيد جعفر قائلا : « ياجناب الشيخ ، ان جناب المندوب السامى يحب السلام عليك » • ولم يكد الخالصي يسمع باسم المندوب السامى حتى وضع عباءته على رأسه وأسرع بدخول الصحن دون ان ينبس بكلمة • ولم يستطع كوكس ان يدخل وراءه الى الصحن طبعا • وهكذا اخفقت المحاولة !

الفصل الثاني

طبخـة الملكيـــة

بعد أن أتم كوكس تشكيل أول وزارة في العراق على النحو الذي أسلفنا ذكره في الفصل الماضي أخذ يفكر في البحث عن ملك للعراق يكون ملائماً للمصالح البريطانية من جهة ويرضى به الشعب العراقي من الجهـــة الأخرى •

لقد كان العراقيون العائدون من سوريا ، وعلى رأسـهم جعفـــر العسكري ونوري السعيد ، يبثون الدعاية للأمير فيصل بـن الحســـين ويعتبرونه أفضل مرشح لعرش العراق ، وكانت المس بيل تؤيدهم في ذلك وتشجعهم عليه بصورة غير مباشرة •

ومما يجدر ذكره في هذا الصـدد أن ويلسون كان أول مســؤول بريطاني يفكر بلياقة فيصل لعرش العراق • ففى ٣١ تموز ١٩٢٠ ـ أي على أثر خروج فيصل من سوريا مطروداً ـ أبرق ويلسون الى لندن يقترح عليها عرض امارة العراق على فيصل ، وينوه بمواهبه ، ويشير ضمناً الى أن خيبة فيصل في سوريا ستكون ذات أثر في نفسه يجعله اكثر ادراكاً للواقع وأكثر تعقلا في معالجة الأمور[١] • وقد لقي هذا الاقتراح قبولا في لندن غير ان الساسة البريطانيين كانوا يخشون من معارضة فرنسا له •

وفي ٨ آب ١٩٢٠ فاتح وزير الخارجية البريطانية اللـورد كرزن الحكومة الفرنسية يسألها هل لديها اعتراض على تنصيب فيصل في العراق ، فردت الحكومة الفرنسية تقول انها تعترض على ذلك كل الاعتراض • وأخذ الفرنسيون يشوهون سمعة فيصل لدى الانكليز لكي ينفروهم منه ، فاتهموه

(1) Wilson (Loyalties) - London 1936 - vol. 2, P. 305-306.

بأنه ذو وجهين ، وقالوا للانكليز : لا تأمنوا من فيصل فانه كان يفاوضنا سراً من وراء ظهركم في أثناء حكمه في سوريا للتعاون معنا ضد السلطة البريطانية في العراق[٢]. وقال وزير الخارجية الفرنسية لرئيس الوزارة البريطانية : ان فيصل ذو اخلاق ضعيفة وانه خطر. فرد عليه رئيس الوزارة البريطانية قائلا : ان فيصل كما تصفه ولكن شيوخ العراق يريدونه ، واذا وافقت الحكومة الفرنسية على تنصيبه في العراق فان في مقدورنا الاستغناء عن السبعين ألف جندي الذين يضبطون الأمن في العراق الآن [٣] .

وفي ١١ تشرين الثاني حينما كان فيصل معتكفاً في شمال ايطاليا وصلته رسالة من اللورد كرزن يدعوه فيها لزيارة لندن ، وفي أواخر الشهر توجه فيصل الى لندن . ويروي فيصل نفسه : انه في اليوم التالي لوصوله الى لندن قام بزيارة للورد كرزن فلاحظ هذا عليه انه لم يرتد العباءة العربية التي اعتاد على ارتدائها من قبل ، فسأله : « اين هي عباءتك الحلوة ؟ » فأجابه فيصل : « انهم شلحوني بلادي يا حضرة اللورد ، فشلحت عباءتي » . فقال كرزن : « بل ستلبس أحسن منها » . ففهم فيصل من هذه العبارة انهم سيعوضوه عن عرش سوريا بعرش العراق[٤] ...

يمكن القول على أي حال ان الحكومة البريطانية ظلت مترددة في أمر فيصل خشية من غضب فرنسا عليها ، فكانت تقدم خطوة وتؤخر أخرى . وفي ٢٦ كانون الاول وصلتها من كوكس في بغداد برقية يقول فيها ان فيصل أليق شخص لحكم العراق ، وأن اعتراض فرنسا عليه يمكن ان يعالج على وجه من الوجوه[٥] . وقد أثرت هذه البرقية على الحكومة البريطانية وكانت

---

(٢) سليمان موسى (الحركة العربية) ــ بيروت ١٩٧٠ ــ ص ٥٧٥ .
(3) Elie Kedourie (Chatham House Version) - London 1970 - P. 240 .

(٤) خيرية قاسمية (عونى عبدالهادي) ــ بيروت ١٩٧٤ ــ ص ٥١ .
(5) Ghassan Atiyyah (Iraq) - Bairut 1973 - P. 364.

عاملا اضافيا زاد في ميل الحكومة نحو فيصل .

وفي ٧ كانون الثاني ١٩٢١ أرسل كرزن الميجر كورنواليس الى فيصل لمفاتحته في الأمر بصورة غير رسمية . وكان كورنواليس على صلة وثيقة بفيصل في الشام حيث نشأت بينهما منذ ذلك الحين صداقة شخصية . وقد أوصاه كرزن ان يكون حديثه مع فيصل متضمناً شرطين ، أولا أن يقبل فيصل بالانتداب البريطاني ، وثانياً أن يتجنب أي عمل عدائي ضد فرنسا في في سوريا . وكذلك أوصاه كرزن بان يوضح لفيصل بأنه يجب أن يتظاهر أمام الناس بأنه مستقل وليس ألعوبة بيد الحكومة البريطانية (٦) .

تمت المقابلة بين كورنواليس وفيصل في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل على أثر عودته من دار التمثيل ، واستمرت ساعتين (٧) ، والظاهر أنها لم تكن ناجحة . فقد قال فيصل ان أباه الملك حسين لا يقبل بترشيحه لعرش العراق بل يريد ابنه الآخر الأمير عبدالله ، وأنه ـ أي فيصل ـ لو قبل بعرش العراق لظنه والده وظنه الناس جميعا بانه أناني يسعى لمصلحته الخاصة بالتعاون مع بريطانيا ، وأنه يطلب عرشاً على حساب أخيه . وقد كتب كورنواليس تقريره عن المقابلة وقال في ختامه ان هناك طريقين مفتوحين لحل مشكلة العراق هما : أن يذهب عبدالله الى العراق ، أو يسعى كوكس نحو جعل العراقيين ينتخبون فيصل بشكل هادىء غير ظاهر . ويقول كورنواليس ان الطريق الأول أسهل ، ولكن الطريق الثاني أنفع لان فيصل أفضل من أخيه عبدالله كثيراً وأنه سوف يخدمنا باخلاص وكفاءة (٨) .

كلف لويد جورج اللورد ونترتون بمحاولة أخرى لاقناع فيصل ، وكان ونترتون صديقاً شخصياً لفيصل ، فدعاه الى بيته ودعا معه جبرائيل

---

(6) Ibid, P. 365.

(٧) فيليب آيرلاند (العراق) ـ بيروت ١٩٤٩ ـ ص ٢٤١ .

(8) Ghassan Atiyyah (op. cit.) - P. 363 - 366.

حداد باشا ممثل الملك حسين في لندن ، كما دعا لورنس وآخرين • وتداول هؤلاء الحديث مع فيصل ساعات طويلة بغية اقناعه ، واستمرت الجلسة حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل • وقد انتهز فيصل الفرصة فأخذ يوجه نقدا مرآ على المعاملة الغاشمة التى عامله بها الفرنسيون والبريطانيون معاً ، وبدرت منه ملاحظات جارحة عن أخلاق البريطانيين بوجه عام [٩] • وأخيراً رضي فيصل بقبول عرش العراق على شرط اقناع أخيه عبدالله بالتنازل عن حقه في ذلك العرش •

وفي ١٤ شباط ١٩٢١ انتقل تشرتشل من وزارة الحرب الى وزارة المستعمرات ، فأصبح بذلك مسؤولا عن حل مشاكل الشرق الأوسط • وقد أسس تشرتشل في وزارته الجديدة دائرة خاصة بالشرق الاوسط وجعل صديقه لورنس مستشارا له فيها • ثم قرر تشرتشل عقد مؤتمر في القاهرة للنظر في قضايا الشرق الاوسط بوجه عام ، وقضية العراق بوجه خاص • وسافر تشرتشل الى القاهرة لحضور المؤتمر مستصحبا معه لورنس • وقد بدأ المؤتمر في ١١ آذار وحضره من العراق السر برسي كوكس والجنرال هالدين والمس بيل وجعفر العسكري وساسون حسقيل وثلاثة من المستشارين البريطانيين هم سليتر وايدي واتكنسن • وتم الاتفاق في المؤتمر على نفس الرأي الذى كان قد تقرر في لندن من قبل وهو أن فيصل هو الشخص الملائم لعرش العراق واقترح لورنس أن يتولى سلاح الطيران زمام السيطرة على البلاد بدلا من جيش الاحتلال الذي هو كثير النفقات ، فوافق المؤتمر على ذلك •

وفي ١٦ منه ـ بينما كان المؤتمر لايزال منعقداً ـ وصلت برقية الى تشرشل من لويد جورج يذكره فيها بموقف فيصل من عرش العراق وكيف أنه لايقبل به الا بعد تنازل أخيه عبدالله عنه [١٠] • فتعهد تشرشل بأنــه

---

(٩) سليمان موسى (المصدر السابق) ـ ص ٥٨٠ •
(١٠) المصدر السابق ـ ص ٥٩٤ •

سيذهب بنفسه ومعه لورنس لاقناع عبدالله بالتنازل ٠

اقناع عبدالله :

كان الأمير عبدالله قد وصل الى منطقة شرق الاردن في ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٠ قادماً من الحجاز ومعه قوة صغيرة من البدو وثلاثة ضباط عراقيين (١١) ، وأعلن أنه جاء استجابة لصرخات الاستغاثة التي أرسلها زعماء سوريا الى أبيه وانه عازم على تحرير سوريا وانقاذها من الفرنسيين المعتدين والأخذ بثأر أخيه منهم ٠ وأخذ الكثير من رجال سوريا وزعمائها الذين هربوا منها يتوافدون عليه ، وصار في نيته ان يؤلف منهم حكومة منفى ، ثم نشر بياناً الى السوريين عموماً قال فيه : « كيف ترضون ان تكون العاصمة الأموية مستعمرة فرنسية ؟ ان رضيتم بذلك فالجزيرة لاترضى وستأتيكم غضبي ، وان غايتنا الوحيدة هي كما يعلم الله نصرتكم واجلاء المعتدين عنكم ، وها انا أقول ولا حرج بانني قبلت تجديد بيعة مليككم فيصل الاول عن الاكثرية الغالبة التي جددت تلك البيعة على يدى ٠٠٠ » (١٢) ٠

كانت منطقة شرق الاردن في ذلك الحين لايتجاوز عدد سكانها ثلث المليون ، ولم تكن فيها حكومة مركزية بل كان فيها بضع حكومات محلية صغيرة على النمط العشائرى ، وكان لكل واحدة منها مستشار انكليزي ٠ ولم يفعل المستشارون شيئاً تجاه حركات عبدالله مما جعل الناس يظنون ان بريطانيا راضية عنها او هي من تدبيرها ٠

وفي آذار ١٩٢١ كان الأمير عبدالله قد استقر في عمان ٠ فبلغه ان الحكومة البريطانية تنوي نصب أخيه فيصل ملكا على العراق فانزعج من ذلك وغضب ٠ يقول عوني عبدالهادى الذي كان من حاشية الامير عبدالله

---

(١١) ان الضباط العراقيين الثلاثة هم حامد الوادي ورؤوف الشهواني وسعيد الكلاك ٠

(١٢) خير الدين الزركلي (عامان في عمان) ـ القاهرة ١٩٢٥ ـ ص ١٦ ٠

في ذلك الحين : « فهاج الامير عبدالله وماج ، وفتح صدره لجميع زائريه ومن في معيته ، وقذف الشرر والنار على فيصل الذى وافق على الترشيح لعرش العراق ، وأصر على أن يناقش هذا الموضوع مع المستر تشرشل لان العرش عرشه ولا يسمح بالتنازل عنه » ويضيف عوني على هذا قائلا : « وقد ألححت على سموه أن لا يبحث موضوع عرش العراق مع الوزير البريطاني . وكان سموه يثور ويغضب ويردد من حين الى حين : كيف يمكنني السكوت على ضياع عرش أقرته لي الامة العربية »(١٣) .

ويروى خيرالدين الزركلي : ان الامير عبدالله استدعاه في تلك الايام ، وقال له انه غير واثق من أن أخاه فيصل سيقبل عرش العراق ، ثم أورد أدلة على انه صاحب العرش الشرعي ، وان من يتعرض له لا يكون الا غاصباً ، ثم قال وهو هائج : « الا تكتب لنا سلسلة مقالات في الموضوع ياخيرالدين» . ويقول الزركلي انه أصبح في موقف حرج وأخذ يسأل نفسه: هل يمكن أن تعود في العراق قضية الامين والمأمون مرة أخرى ، وهل نأتي الى الناس بأضحوكة جديدة هي تزاحم الاخوين على عرش مصنوع في لندن(١٤) ؟

وبعد أيام قليلة استدعي الامير عبدالله الى القدس لمقابلة تشرتشل ، وعندما كان الأمير ماراً ببلدة السلط في طريقه الى القدس استقبله لورنس ، فباتا معاً هنالك ، وأخذ لورنس يحدث الامير لاقناعه بالتنازل عن عرش العراق ، حيث قال له : انك معروف بتضحية مطامحك الشخصية من أجل الامة ، ولهذا يجب عليك ان تبقى في شرق الاردن لتؤسس فيها ادارة مدنية سالمة من أي عنف في مراميها السياسية ، واذا نجحت في ذلك فانك ستظفر بعد ستة أشهر بوحدة سوريا ان شاء الله ،

---

(١٣) خيرية قاسمية (المصدر السابق) ـ ص٤٤ .
(١٤) خيرالدين الزركلي (المصدر السابق) ـ ص ٤٦ .

وسوف نزورك عند ذاك في دمشق لتقديم التهاني لك[١٥] .

وفي ٢٩ آذار تم اللقاء في القدس بين الامير عبدالله وتشرتشل ، وحضره لورنس ، وعوني عبدالهادي ، والمندوب السامي لفلسطين السر هربرت صموئيل ، وسكرتيره وندهام ديدس . وقد أعطانا عوني عبدالهادي في مذكراته صورة مفصلة عن ذلك اللقاء نقتطف منه مايلي :

بعد ان رحب تشرتشل بالامير تحدث فوراً بحديث تظهر عليه الشدة حيث قال : « انه عند وصوله الى القاهرة فوجيء بوجود الامير في عمان ، وقد استولت عليه الدهشة حين بلغه أن الامير يريد ان يسترد بقوة السلاح المناطق التى كان يحكمها فيصل ، مع أن الامير لا يجهل ان فرنسا هي حليفة بريطانيا وان أي اعتداء على فرنسا يعتبر اعتداءا على بريطانيا نفسها . ثم ارتفع صوت تشرتشل واشتدت لهجته قائلا : « انه لايريد أن يتصور أن يقع مثل هذا الاعتداء من بعض آل هاشم حلفاء بريطانيا .. ويسر الحكومة البريطانية أن تعمل بتفاهم تام مع آل هاشم في جميع المجالات السياسيةوالدولية، غير انها تريد أن تعملمعهم جميعهم وليس مع بعضهم. واني سأكون صريحا مع سموكم الى أبعد حدود الصراحة ، فقد صممت الحكومة البريطانية أن تعمل مع آل هاشم جميعهم أو لا تعمل مع أحد منهم » . ثم قال تشرتشل بلهجة حازمة : « ان فيصل أبحر من لندن وهو الآن في طريقه الى القاهرة وسيذهب بعد زيارته لوالده الى بغداد حيث ينصب ملكا على العراق ، واني أعرف أن فيصل سيلاقى مشاغبين يعملون ضد انتخابه للعرش ولكن فيصل سيجلس على عرش العراق ، وان هذين الكتفين ــ وأشار بيديه الى كتفيه اليمنى واليسرى ــ سيتحديان هؤلاء المشاغبين » .

---

(15) Suleiman Mousa (Lawrence) - London 1967 - p. 240.

وقعت هذه الكلمة على الأمير وقع الصاعقة ، وأراد أن يغير موضوع الحديث فقال : « ولكن ياسعادة الوزير ان الامر الذي يهم العرب قبل كل شيء هو فلسطين ، فقد علمت ان اليهود طامعون في اقامة دولتهم اليهودية في هذه البقعة العربية الغالية وطرد العرب منها ، والعرب كما أشرتم حلفاء بريطانيا العظمى ، فهل تعتبر الحكومة البريطانية العرب في فلسطين بمثابة أشجار يجوز قطعها » • وهنا اقترب صموئيل من تشرتشل وهمس في اذنه يستأذنه في جواب الامير ثم قال : « ليس من سياسة الحكومة البريطانية يا سمو الامير قطع أشجار فلسطين ولكن بالعكس انها مصممة على زيادة أشجارها بأنواع اخرى تزيد من قيمتها » •

وهنا نظر الأمير الى تشرتشل بنظرات العتاب ، ثم أخذ يتكلم عن مساعيه الماضية في عقد الحلف بين بريطانيا والعرب ، اذ هو كان صاحب الفكرة وأول من سعى لتحقيقها ، وهو كان كذلك الوسيط بين لورنس وفيصل ، ثم كانت النتيجة ان فضلت الحكومة البريطانية غيره لتولي عرش العراق ، ولو كان هذا الغير أخوه فيصل • ثم قال الأمير : « لقد حز هذا الايثار في نفسي ولاسيما ان العراقيين الذين مثلوا العراق في المؤتمر السوري المعقود في سنة ١٩٢٠ هم الذين نادوا بي ملكا على العراق ، ولقد أدهشني ياسعادة الوزير قولكم بأن أخي فيصل قد أبحر من لندن في طريقه الى العراق ليعتلي العرش وقلتم ان بعضهم سيقوم بمشاكسته وان كتفيك سيتحملان تلك المشاكسة ، وربما حسبتموني في عداد هذا البعض• واني معاذ الله أن اعمل ما لا يتفق مع سياسة الحكومة البريطانية ••»

وعند هذا أخذ تشرتشل يلطف من حدته ، واعترف بما قام به الامير من خدمات في أثناء الحرب ثم قال : « واذا كانت الظروف الحاضرة قد اقتضت أن يعتلي أخوك عرش العراق فقد لا تكون بعيداً أن تعتلي أنت ــ وربما كان ذلك قريبا ــ عرش سوريا ، ومن الجائز خلال هذه السنة •

واني سأبذل كل جهودي لازالة سوء التفاهم الآن بينكم وبين فرنسا ، الأمر الذي يساعد على اعادة المياه الى مجاريها بينها وبينكم ، ولما كانت فرنسا لا ترغب في ايجاد أية علاقة مع فيصل فان الطريق تصبح ممهدة لسموكم في هذه الحالة • واني احذر سموكم من السماح لأي شخص أو هيئة بالاعتداء على سوريا من حدود المنطقة التي أرغب في أن تتولى سموكم الحكم فيها مؤقتاً ••• أقول حكم سموكم المؤقت ، لانه لابد من موافقة حكومتي على السياسة التي ستطبق في هذه المنطقة وكذلك موافقة شعوب المنطقة عليها ، مما يقتضي التريث حتى يتم الاتفاق النهائي خلال الشهور الستة القادمة »[١٦] •••

وافق الأمير عبدالله على خطة تشرتشل ، وهو يقول في مذكراته ان تشرتشل هدده قائلا : « انكم ان لم تفعلوا هذا ستضيعون كل شيء ، وان في امكان ابن سعود أن يصل الى مكة في ثلاثة أيام ، وان انكلترا عملت ما تستطيع ••• » • ثم يقول الأمير انه شاور الزعماء السوريين الذين كانوا معه في هذا الموضوع فوافقوا عليه بالاجماع • ولهذا تم الاتفاق على أن يزور السر هربرت صموئيل عمان لوضع الاساس للادارة المدنية المطلوبة[١٧] •

حسرات عبدالله :

كان فيصل قد غادر لندن بحرا في ٣١ آذار ١٩٢١ متوجهاً الى الحجاز، فمر في طريقه بالقاهرة ومكث فيها بضعة أيام حيث نزل في فندق شبرد • فأرسل اليه عبدالله من عمان عوني عبدالهادي يحمل رسالتين احداهما له والاخرى لوالده • ويقول عوني في مذكراته : ان فيصل بعد أن قرأ الرسالتين علق عليهما قائلا : « يعتقد أخي اني اغتصبت منه عرش العراق •

(١٦) خيرية قاسمية (المصدر السابق) ـ ص ٤٦ ـ ٤٨

(١٧) عبدالله بن الحسين (مذكراتي) ـ القدس ١٩٤٥ ـ ص١٨٠ ـ ١٨٢

واني مزقت القرار الذي أصدره العراقيون في المؤتمر السوري ، ولقد بلغني كل ما كان يقوله عني ، وكنت أقول دائماً سامحه الله ...» . وأخذ فيصل يحدث عوني كيف ان البريطانيين أرادوا اسناد عرش العراق اليه وكيف انه لم يوافق على ذلك وأراد العرش لاخيه عبدالله ، ولكن البريطانيين أصروا عليه اصراراً . ثم يقول عوني : انه عند عودته الى عمان حاول اقناع عبدالله بالرضا بما تم من أمر اسناد عرش العراق الى فيصل ، فكان جوابه : « اني أعرف أخي يا عوني ، فلقد سبق أن اعتلى عرش سوريا فأصبح رأساً لدولة ، ولا يحلو له في الحياة بعد ذلك غير اعتلاء العروش . ان أخي فيصل لا يختلف عن بقية رؤساء الدول في هذا الشأن ، فلقد علمنا التاريخ ان كل من أصبح من العرب رأساً لدولة أصر على بقائه رأساً ولو كان في ذلك هلاكه . ولهذا فضل أخي اعتلاء عرش العراق ولو كان هذا العرش من حق أخيه وليس لي هنا الا أن أطلب له السماح من الله » .

ويقول عوني : انه حين ذهب الى القاهرة مرة اخرى وأبلغ فيصل تحيات أخيه قال له فيصل : « ... انى أعرف أخي عبدالله واني أشعر بما يعانيه من ألم لفقد عرش العراق ، واني متأكد من أنه لن ينسى ضياع هذا العرش منه ، وان حقده عليّ من أجل هذا العرش لن يزول بسهولة ... وقد أشار الى ذلك اشارات واضحة تضمنه خطابه الذي حملته اليّ وقرأته عليك ... »[١٨] .

ظل عبدالله متألماً لضياع عرش العراق منه . وقد اشتد ألمه عندما اتضح له عجز الانكليز عن تحقيق وعدهم له بعرش سوريا . ويروى ساطع الحصري قصة طريفة في هذا الصدد هي : ان أربعة من الضباط العراقيين الذين خرجوا من سوريا ذهبوا الى عمان ومكثوا فيها فترة من

---

(١٨) خيرية قاسمية (المصدر السابق) ـ ص ٥٠ ـ ٥٣ .

الزمن • فكانوا اذا حضروا مجلس الامير عبدالله كان هو يتكلم فى كل مناسبة عن حقه فى عرش العراق ويقول « والدي طلب مني أن اتنازل عن حقي ، ولكني لم ألب طلبه ، لم أتنازل ، ولن اتنازل ، عن حقي في عرش العراق • سأحتفظ بحقى ولو للتاريخ » ، وكثيرا ما يكرر عبارة « للتاريخ•• للتاريخ » • وكان يطلب من الضباط العراقيين بعض التفاصيل عن العراق، وكلما سمع منهم مدحا للعراق كان يزداد تحسرا وتأوها ، ويعاود الحديث عن حقه في عرش العراق ، ويصرح بعزمه على عدم التخلي عن حقه هذا والتمسك به ، ولو للتاريخ • وقد دفعت كثرة تحسره على العراق أحد الزعماء السوريين الذين كانوا موجودين هناك أن يقول للضباط العراقيين: « جوزوا بقى عن مدح العراق ، خلوا الرجل يشتغل هنا ••• » ، ويقول ساطع الحصري : ان احاديث عبدالله عن حقه في عرش العراق شاعت كثيرا حتى انعكست على صفحات الجرائد ، وحتى ان احدى الجرائد التركية اتخذت ذلك ذريعة للطعن بالثورة العربية[١٩] •

والغريب ان عبدالله لم ينس حقه في عرش العراق حتى بعد مـوت فيصل • يحكي انه حضر الى العراق بعد موت فيصل فأقيمت له حفلـــة وانشد فيها أحد الشعراء قصيدة في مدحه كان منها هذا البيت :

تنازل عن عرش العـــراق تكرمـــاً
وأكرم من عرش العــــراق تنازله

فلما سمع عبدالله هذا البيت ظهر عليه الغضب وقاطع الشاعر قائلا : « اخسأ لم اتنازل ولن اتنازل » •

---

(١٩) ساطع الحصري (مذكراتي فى العراق) ــ بيروت ١٩٦٧ ــ ج١ ص ٢٤ ــ ٢٥ •

نشاط السيد طالب :

كان السيد طالب في بغداد قد أحس بأن الرياح تمشى ضده وان الانكليز لايريدونه • وقد ازداد احساسه هذا عند تشكيل الوفد الذى سافر الى مؤتمر القاهرة ، فهو لم يدع للاشتراك في الوفد بينما اشترك فيه ساسون خضورى وجعفر العسكرى والمس بيل وهم غير ميالين اليه • كتبت المس بيل فى رسالة لها مؤرخة في ٢٤ شباط ١٩٢١ ـ على اثر مغادرتها بغداد مع الوفد في باخرة نهرية ـ فقالت مانصه :

« نحن مغادرون ••• جعفر وساسون افندى سعيدان لاشتراكهما فى الوفد • ولكن السيد طالب من الجهة الاخرى ممتعضا كل الامتعاض لعدم اشتراكه في الوفد • وقد تناولنا معه طعام العشاء في الليلة التى غادرنا بغداد في صباحها ، وكنت جالسة بجانبه واخذت اشجعه على الكلام • وعندما دارت كؤوس الويسكى همس في أذني بنبرة ثملة حزينة حيث قال انه كان دائما يعتبرني بمثابة اخته ، ويطيع نصيحتي ، وهو الآن يعدني معتمده الوحيد ومستنده » • وتعلق المس بيل على ذلك قائلة : « ولما كنت أشعر بعمق ان مطامحه سوف لا ولن تتحقق ، فقد صرت أتمتم له ببعض العبارات الودية التى لا لون لها »[٢٠] •

انتهز السيد طالب فرصة غياب كوكس عن العراق أثناء اشتراكه في مؤتمر القاهرة ، فصار يبذل جهودا كبيرة وينفق أموالا طائلة للدعوة الى نفسه ، وكان شعاره في ذلك : «العراق للعراقيين»• ذكر سليمان فيضى في مذكراته ، وكان يومذاك حاكما في بغداد ، ان السيد طالب زاره في المحكمة وطلب محادثته على انفراد وقال له : « انى عزمت على ترشيح نفسي لعرش العراق ، ونظرا لما اعهده فيك من محبة لي أرجو ان تبث لي الدعاية في الاوساط القضائية وتحمل الحكام والمحامين وطلاب الحقوق وموظفي وزارة العدلية على التصويت بجانبي » • ولما ذكر له سليمان ان مسعاه سيبوء

(20) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol 2, P. 209.

بالفشل قال السيد طالب: «انك واهم فالمستر فيلبي في جانبي، وقد تعهد لي ببذل أعظم الجهود • انه وعدني باقناع السر برسي كوكس الذى لايزال مترددا في أمر الملك الجديد ، وبحمل المس بيل على التخفيف من تحمسها للامير فيصل ، ثم انه كتب الى الحكام السياسيين فى الالوية الجنوبيــــة يوصيهم ببذل المساعدة لي • لذلك عزمت على الطواف فى تلك الالوية ، والقيام بدعاية انتخابية واسعة هناك • فأرجو منك ان تقوم بالدعاية في الميدان الذى اخالك متنفذا ومحبوبا فيه » •• ولما يئس السيد طالب من اقنــــاع سليمان فيضي خرج من عنده غاضبا(٢١) •

ويروى عبدالعزيز القصاب في مذكراته : انه بينما كان جالسا فــي مجلس عبدالعزيز الزئبق في عصر احد الايام اذ دخـل المجلس السيد ابراهيم الشواف وأخوه علي وبيدهما مضبطة تتضمن الطلب من المندوب السامي بتعيين السيد طالب حاكما على العراق ، وقد اعترض القصاب على المضبطة ، ثم تداولها الحاضرون دون ان يوقعوا عليها • وضرب القهواتي رأسه بيده ثم قال متهكما « ليش هذا تعيين مختار محلة » • فضحـــك الحاضرون »(٢٢) •••

وفي ٨ آذار بدأ السيد طالب جولته في الالوية الجنوبية التى استغرقت ثلاثة عشر يوما • وكان يصحبه فيها زمرة من اصحابه المؤيدين له كسالم الخيون وعبدالرزاق المير وعبود الملاك واحمد الراوى وشاكر النعمة واحمد السالم • وقد بذل السيد طالب فى جولته مبالغ طائلة من المـــال ، وكان انصاره يقيمون له فى كل بلدة استقبالا فخما وولائم كثيرة ، وكان هـــو يخطب في الناس يحبب نفسه اليهم ويبشر بالمبادىء التى توافق معتقداتهم

---

(٢١) سليمان فيضي (في غمرة النضال) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص٢٦٢ ـ ٢٦٣ •

(٢٢) عبدالعزيز القصاب (من ذكرياتي) ـ بيروت ١٩٦٢ ـ ص٢٠٧ ـ ٢٠٨ •

وميولهم • ومن طريف ما يروى في هذا الصدد ان بعض العشائر اطلقت هوسة في استقباله هي :

ثلث لله وثلثين لطالب
وثلث الله يطالب به طالب

وفي خلال جولته أخذ السيد طالب يعلن للناس انه سيبذل كل جهده لاطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين الذين ساهموا في ثورة العشرين • وعندما مر بالحلة زار المعتقلين فيها وطمأنهم بقرب الافراج عنهم • وكانت خطبته في النجف نموذجية في هذا الشأن حيث ضرب بها على اوتار القلوب ننقل فيما يلي نبذة مما قاله هناك :

« ••• رأيت من الواجب عليّ أن استمد من افكار وآراء الرجال الخيرين والعلماء المجتهدين •• عما يلزم العمل به لاحياء مآثر الدين القويم والتماس سبل الحضارة والتقدم لوطننا المشترك ولا سيما النجف الاشرف وكربلاء •• واني قد سعيت بادىء الامر بتأدية اول واجب عليّ قبل الامور التمهيدية وهو اعادة المنفيين جميعا والعفو عن المجرمين واعادة اخواني العراقيين المهاجرين في سوريا والبلاد الاخرى غير أن أملي الوطيد يجعلني حسن الاعتقاد بحضرات مؤيدى الشريعة الغراء وهممهم العالية •• وادعو الله بحرمة اجدادى الطاهرين ولا سيما جدى الاعظم سيدى ومولاى امير المؤمنين عليه السلام الذى اعاهدكم على تحقيق آمالكم امام حضرته المقدسة •• واني قد عينت لكم متصرفا عاقلا اديبا حازما وقائممقاما ذا خبرة وتجارب فيسرني إذا كاشفتموهما في جميع ما يهمكم ليرفعا لي عما يجب العمل به في مختلف الشؤون • وأبشركم أن حضرة رئيس الوزارة الحاضرة صاحب السمو حضرة نقيب اشراف بغداد سيدى السيد عبدالرحمن افندى اعرب لي عظيم اعتماده عليكم وثقته العظيمة بذواتكم وقد كلفني بابلاغ عطفه وتوجيهاته نحوكم جميعا بصورة خاصة»[٢٣] •

(٢٣) حسين هادي شيلاه (طالب النقيب) ـ رسالة جامعية غير مطبوعة ـ ص٢٥٨ ـ ٢٦٠ •

استدعاء الرصافي :

كان الرأى العام في بغداد آنذاك منقسما الى فريقين : أحدهما يدعو الى مبدأ «العراق للعراقيين» وزعيمه السيد طالب كما اسلفنا ، والثاني يدعو الى أختيار احد ابناء الملك حسين لعرش العراق • وكان هذا الفريق الثاني يُطلق عليه اسم « الحزب الشريفي » •

كان الفريق الاول يضم في الغالب ابناء الاسر العريقة والميالين للاتراك، وهم الذين يُطلق عليهم في أيامنا اسم « الرجعيين » • أما الفريق الثاني ، اي الحزب الشريفي ، فكان يضم معظم الذين شاركوا في ثورة العشرين، ودعاة القومية العربية • وكانت القومية تعتبر في تلك الايام حركة تقدمية• تقول المس بيل في رسالة كتبتها بعد عودتها من مؤتمر القاهرة :

« أن الاعيان المتعالين بانتمائهم الطبقى الرفيع كرهوا ان يروا الشبان الذين حكموا سوريا تحت رئاسة فيصل ـ وهم في الغالب ممن لاينتمون الى عائلات معروفة ـ قد يحكمون العراق أيضا • فأن تفكير الاعيان لاينطبق مع تفكير هؤلاء الشبان الذين هم تقدميون جدا ولهم استعداد للتحدث علنا وباستمرار في وجوب التخلص من الرجعيين الشيوخ وادخال افكار جديدة ••• »(٢٤)

ومن الجدير بالذكر ان النقيب عبدالرحمن الكيلاني كان يؤيد الفريق الاول • فهو بحكم تفكيره الطبقي يمقت الشبان الثوريين الذين ظهروا للوجود وهم من أسر غير عريقة • وكان بالاضافة الى ذلك يمقت الاسرة الهاشمية • وقد أعلن عن رأيه هذا بصراحة الى المس بيل في عام ١٩١٩ حين قال لها : « أفضل ألف مرة عودة الترك الى بغداد على ان ارى الشريف أو ابناءه ينصب احدهم هنا »(٢٥) •

---

(24) Burgoyne (op. cit.) - Vol. 2, P. 212

(٢٥) المس بيل (من تاريخ العراق القريب) ـ ترجمة جعفر الخياط ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص٤٨٠ •

وفي يوم من تلك الايام اجتمع زعماء الفـــريق الاول ، وكان على رأسهم النقيب والسيد طالب وحكمت سليمان وتوفيق الخالدى ، وقرروا اصدار جريدة تنطق بلسانهم على ان يكون الشاعر معروف الرصافى رئيسا لتحريرها • وقد كان الرصافي يومذاك في مدينة القدس يدرس آداب اللغة العربية في دار المعلمين فيها ، فأبرق حكمت سليمان اليه يستدعيه الى بغداد، كما ابرقت الوزارة الى المندوب الســـامى فى فلسطين تطلب منه تسفير الرصافي على حسابها • وعلى هذا سافر الرصافي الى القاهرة فى انتظار باخرة تنقله من السويس • وقد التقى الرصافي ببعض اعضاء الوفد الذين حضروا مؤتمر القاهرة • وحين علم كوكس بان الرصافى ذاهب الى بغداد اقترح عليه ان يسافر معهم في نفس الباخرة • ولم يكن كوكس يدرى ان الرصافى ذاهب الى بغداد من أجل هدف معاكس للهدف الذى تقرر فـي مؤتمر القاهرة •

يقول الرصافي في مذكرات له : « ولما وصلت الى بغداد وواجهـــت النقيب عبدالرحمن افندى علمت بعد ذلك انهم يريدون معارضة فيصـــل باعتبار (العراق للعراقيين) » ، ثم اجتمعنا عند النقيب مع الســيد طـــالب، وأنا كنت من جملة المؤيدين لهذه الفكرة ، وقد اقترحت عليهم ــ بعـــد أن تداولنا في الموضوع مليا ــ أن هذا العمل واقصد عمل الدعاية لايمكن ان يقوم الا على المال ، فقلت لهم ان ذلك لا يمكن أن يكون بأقل من مائة ألف ليرة عثمانية • فاستعظم النقيب هذا المبلغ ثم قال طالب باشا انه مستعد لوضع ضعف المبلغ الذى يضعه النقيب • ولم يسفر الاجتماع عن اتفاق في الرأي وانقضى على ان نجتمع مرة أخرى ، فاتصلت بتوفيق الخالدى ــ الذى كان حاضرا في الاجتماع ــ وقال لي اننا سوف نذهب سوية بباخرة صغيرة أنا وانت وطالب باشا وهناك نتذاكر في الموضوع • ولكن قبل ان يحصل هذا الاجتماع نفى الانكليز السيد طالب باشا •••»[٢٦]

---

(٢٦) مجلة « الثقافة الجديدة » في عددها الصادر في نيسان عام ١٩٥٤•

دهـــاء !

وصل كوكس الى بغداد في ٩ نيسان ، غير أنه لم يعلن عما تقرر في مؤتمر القاهرة من اختيار فيصل، بل ترك الناس يتجادلون ويتناقشون حول المرشحين المتنافسين على العرش ، وظل هو يتفرج عليهم كأنه لاشأن له في الامر • وفي ١٢ نيسان اذاع كوكس بيانا حول الامور التي بحثها مؤتمر القاهرة فأشار الى مسألة تقليص النفقات العسكرية ، ومســـائل الامن الداخلي ، وحماية الحدود ، واصدار العفو العام ، ولكنه لم يتطرق اطلاقا الى موضوع اختيار فيصل الذى كان في الواقع أهم مابحثه المؤتمر مـــن أمور •

كان فيلبي قد كتب قبل وصول كوكس مذكرة يحتج فيها على ما اشيع من اختيار فيصل في مؤتمر القاهرة ، ويذكر اضطراره الى الاستقالة من منصبه اذا صحت تلك الاشاعة ، لان ذلك في نظره يخالف الوعـــود البريطانية السابقة في ترك العراقيين أحرارا يختارون لانفسهم من يشاؤون• وقد قدم فيلبي هذه المذكرة الى بونهام كارتر الذى كان يتولى منصـــب المندوب السامي بالوكالة • فأيده بونهام كارتر على وجهة نظره • ولمـــا وصل كوكس عرض عليه كارتر المذكرة ، ثم جاء فيلبي لمواجهته ، فكان جواب كوكس له : " ان الحكومة البريطانية لاتنوى النكول عن وعودهـا لاهل العراق "[٢٧] • والظاهر ان فيلبي اقتنع بهذا الجواب وخرج مطمئنا لايدري ماذا يخبىء له ولصاحبه القدر !

ترك كوكس فيلبي حرا في نشاطه للدعوة الى السيد طالب، كماترك المس بيل من الجانب الآخر حرة في نشاطها للدعوة الشريفية • ووقـف كوكس بين الاثنين موقفا قريبا من الحياد ، او كما وصفه هو بـ « الحياد

(٢٧) جون فيلبي (أيام فيلبي في العراق) ـ ترجمة جعفر خياط ـ بيروت ١٩٥٠ ـ ص ٥١ •

الودى » • فكان اذا جاء اليه الناس يسألونه عن رأيه قال لهم : ان الحكومة البريطانية تؤيد ترشيح أمير شريفي للعراق ولكن الناس احرار في قبوله او رفضه • وفي الوقت نفسه أبرق كوكس الى حكومته يحذرها من فرض فيصل على العراقيين ناصحا لها ان تترك فيصل يتولى بنفسه اقناع العراقيين عند وصوله اليهم بأنه هو الرجل الذى يليق بعرشهم(٢٨) •

يمكن القول من الناحية الاجتماعية ان كوكس كان فى موقفه هذا داهية من الطراز الاول ، فلو انه أعلن للناس رغبة الحكومة البريطانية باختيار فيصل لحصل من جراء ذلك رد فعل في أوساط الوطنيين وربما أدى ذلك الى اضعاف الحزب الشريفي أو تحطيمه •

يجب ان لاننسى ان الوطنيين كانوا قبل قيام الثورة ، وفي أثنائها ، يطالبون باختيار أمير شريفي لعرش العراق ، وهم انما فعلوا ذلك تحديا للسلطة الانكليزية التى كانت يومذاك غير راغبة في ذلك ، ولو انالسلطة كانت راغبة في هذا الاختيار وتدعو اليه لكان جواب الوطنيين على الضد من ذلك طبعا •

ان هذا سر من اسرار المجتمع العراقى والظاهر ان كوكس أدرك فحوى هذا السر ، واراد ان يتجنب الغلطة التى وقع فيها سلفه ويلسون • ولهذا وجدناه يتظاهر بالحياد مع العلم انه كان مأمورا من حكومته على نصب فيصل ملكا ، على اي حال •

السيد طالب يهدد :

كان السيد طالب قد اعتاد فى ايامه الاولى في العهد التركى انيستخدم اللطف والتملق في نيل مطالبه فاذا وجد ذلك غير مجدي لجأ الى التهديد، وقد يلجأ احيانا الى الفتك وسفك الدماء عندما يفشل التهديد • وقد نجح

(28) Graves (Sir Percy Cox) - London, second impression - p.287.

السيد طالب في طريقته هذه نجاحا كبيرا • ويبدو انه أراد ان يتبع الطريقة نفسها مع الانكليز ناسيا ان الانكليز غير الاتراك وان كوكس يختلف عن الوالي التركي اختلافا كبيرا •.

في شهر نيسان ١٩٢١ وصل الى بغداد السر برسيفال لاندون المندوب الخاص لجريدة الديلي تلغراف اللندنية ، وكان هذا الرجل يعرف العربية، فقرر السيد طالب انتهاز الفرصة لالقاء كلمة تهديد للانكليز ، فأقام وليمة عشاء فخمة فى بيته احتفاء بلاندون •

اقيمت الوليمة في مساء ١٣ نيسان ، وحضرها القنصل الفرنسي ، والقنصل الايراني ، وآرثر تود مدير شركة لنج وزوجته ، والشيخ محمد الامير رئيس عشيرة ربيعة ، والشيخ سالم الخيون رئيس عشيرة بني اسد في الجبائش ، وآخرون • وقد اعتذر فيلبي عن حضور الوليمة كأنه ادرك بأنها ستكون ذات خطورة من الناحية السياسية ولم يحب ان يتورط فيها • أما حسين أفنان فقد حضر الوليمة ليترجم الكلمة التى سوف يلقيها السيد طالب الى الانكليزية •

لدينا تقريران عما جرى فى الوليمة أحدهما ورد فى مذكرات فيلبي والاخر ورد فى كتاب غريفز الذى سجل فيه سيرة حياة كوكس • ولعل من المجدي ان نستعرض فيما يلي شيئاً من كلا التقريرين •

يقول فيلبي في وصف الوليمة : « فكان الحديث سياسيا في الحقيقة ، وقد سالت الخمرة خلاله كما يسيل الماء وفي ضمنها أفخر انواع الشمبانيا، كما كان صاحب الدعوة مرحا مثل أي مدعو آخر ، وربما كان اكثر مرحا من غيره • وفي نهاية الدعوة نهض ليخفف عن قلبه شيئاً من العبء السياسى الذى كان اكثر مما يتمكن تحمله • وكان فحوى حديثه ان شائعات تعيين فيصل ملكاً في العراق اخذت تملأ الاندية والمحافل وهو يود ان يوضح للحاضرين وللحكومة البريطانية أن اهالي العراق لايريدون فيصلا ولا

يتساهلون في فرضه عليهم • واذا كنتم تشككون في حديثي فبيننا على هذه المائدة هنا الشيخ محمد أمير ربيعة عنده أربعون ألفا من اشداء الرجال ، و الشيخ فلان وفلان على رأس قبيلة تعد ثلاثين ألف رجل ، اسألوهم ليجيبوكم عما يفكر فيه الناس في هذا الشأن• وان الحكومة البريطانية كانت قد وعدت بأننا سننتخب شكل الحكومة الذى نريده بحرية ، وانني احتج ضد أى تغيير يطرأ على ذلك الوعد »[٢٩] •

أما غريفز فكان تقريره أكثر توضيحا وتفصيلا ، فهو يقول : ان كلمة السيد طالب لم تكن عفو الخاطر بل كانت كأنها معدة اعدادا متقنا من قبل ، وقد بدأها السيد طالب بتكراره القول انه راضي عن موقف المندوب السامي ومعتقد بان الحكومة البريطانية تنوي البقاء على الحياد تماما ، ثم التفت نحو لاندون يطلب منه التأكيد على ذلك فأجابه لاندون : ان هذا هو ما يعتقده أيضا • فسأله السيد طالب : " هل أنت واثق من ذلك تماما ؟" • فشعر لاندون بشيء من الامتعاض تجاه هذا السؤال ثم أجاب بانه قدحصل في ذلك على تأكيد من المندوب السامي • فاستمر السيد طالب في كلامه قائلا : ان بعض الموظفين البريطانيين في حاشية المندوب السامي متحيزون نحو الشريف وهم يحاولون ممارسة نفوذهم في هذا الاتجاه بشكل غير مناسب • ثم وجه السيد طالب سؤالاً الى لاندون يقول فيه : هل ينصحه لاندون بأن يرفع شكواه الى الملك جورج أو الى المندوب السامي ضد هؤلاء الموظفين من أجل نقلهم من مراكزهم ؟ فاجابه لاندون مشيراً الى ان هناك بعض الموظفين البريطانيين معروفون بتحيزهم نحو النقيب ، ولهذا فان نقل الموظفين المتحيزين الى جانب معين يجب أن يصحبه نقل الموظفين المتحيزين الى الجانب الآخر • وهنا همس حسين أفنان في اذن السيد طالب مشيراً الى دقة هذه النقطة وما تؤدي اليه من عواقب ، فزمجر

---

(٢٩) جون فيلبي (المصدر السابق) ــ ص ٥٢ •

السيد طالب قليلا ثم ترك النقطة متحولا في كلامه الى نقطة أخرى حيث التفت الى الشيخ محمد الأمير طالباً منه التأييد وقال : ان أهل العراق مصممون على أن تكون الحكومة البريطانية وفية بوعودها واذا لم تفعل فان هناك محمد الامير لديه ثلاثون ألف بندقية يريد أن يعرف السبب في ذلك ، كما أن هناك شيخ الجبايش بجميع أفراد عشيرته • ثم واصل السيد طالب حديثه بانه اذا بدرت أقل اشارة من الحكومة البريطانية بالتحيز نحو أحد الجانبين فان النقيب مستعد ان يرفع شكواه الى العالم الاسلامي ، الى الهند والقاهرة واسطنبول ، والى باريس ايضاً «[٣٠] •

لم تكد الوليمة تنتهي حتى أسرع آرثر تود الى بيت المس بيل في محلة السنك ليخبرها بما جرى ، وتلاه لاندون واخبرها بذلك أيضاً • فأرسلت المس بيل الى كوكس تقريراً مفصلا بما سمعت ، وضمنت تقريرها تحذيرا الى كوكس تخبره بان السيد طالب قد جمع حوله رجال العصابة الذين كان يستعين بهم في البصرة لارهاب الناس ومنهم الرجل الذى قتل القائد التركي قبيل الحرب ، وقالت المس بيل في تقريرها أيضا ان السيد طالب قد يحاول قتل فيصل عند قدومه الى العراق[٣١] •

نفي السيد طالب :

كان السيد طالب عندما ألقى كلمته التهديدية يريد أن يسمع بها كوكس عن طريق تود ، وكان يظن لغروره أن كوكس سوف يشعر بالخوف من تهديده ، غير أن كوكس كان على العكس من ذلك[٣٢] ، فقد اعتبر كلمة السيد طالب بمثابة تهديد باعلان الثورة ، او اعلان الجهاد، فاذا هو سكت عنها وشاع أمرها بين الناس كان ذلك في نظر الناس دليلاً

---

(30) Graves (Op. cit.) - P. 288 - 289.

(31) Burgoyne (op. cit.) - Vol. 2, P. 214.

(32) Monroe (Philby of Arabia) - London 1973 - P. 108.

على ان السيد طالب أصبح قوياً يتحدى بريطانيا ويفعل ما يشاء بلا رادع[٣٣] .

قرر كوكس اعتقال السيد طالب ونفيه في أقرب وقت ممكن ، وأبرق بذلك الى لندن . ولم يشأ كوكس ان يكلف الشرطة بأمر الاعتقال خشية الفشل ، بل اتصل بالجنرال هالدين قائد القوات العسكرية طالباً منه اعتقال السيد طالب بقواته .

وفي صباح ١٥ نيسان عقد هالدين اجتماعا عسكريا مستعجلا في مقر قيادته لوضع خطة الاعتقال . وبعد المداولة قرر تكليف الميجر بوفيل بمهمة الاعتقال ذلك لان بوفيل كان صديقا للسيد طالب ويعرفه معرفة جيدة فلا يخطىء في تشخيصه عند القاء القبض عليه . وقد احتج بوفيل واعترض على تكليفه بهذه المهمة قائلاً : ان السيد طالب صديقي الشخصي، وطالما تمتعت بضيافته وأكلت من طعامه فلا يجوز لي أن أكون انا الذى يلقي القبض عليه . واقترح بوفيل ان تناط المهمة برجال الشرطة . فرد عليه هالدين قائلا بأن التجارب السابقة أثبتت ان رجال الشرطة لا يعتمد عليهم ، أضف الى ذلك انهم سوف يترددون في اعتقال السيد طالب الذى هو رئيسهم المحترم . ثم قال هالدين يخاطب بوفيل : يجب عليك ان تنسى عواطفك الشخصية وتقوم بالمهمة باعتبارها واجباً عسكريا .

وضع هالدين خطته على أن يتم الاعتقال في عصر ذلك اليوم ـ أي في عصر ١٥ نيسان . وسبب ذلك ان السيد طالب كان على موعد في ذلك الوقت مع زوجة كوكس لزيارتها في دارها وتناول الشاي عندها . فاذا خرج من الدار تم اعتقاله فوراً . وقد اعترض بوفيل على هذا ايضا قائلا بأن الامر قد يساء فهمه من قبل الناس حيث يعتبرونه خرقاً لآداب الضيافة

---

(33) Graves (op. cit.) - P. 289.

وتكون زوجة كوكس ملومة في ذلك • ولكن هالدين أصر على رأيه لانه لم يكن يحب ان يكون هناك أي احتمال للفشل في تنفيذ الخطة •

كان كوكس وزوجته يسكنان في نفس الدار المشهورة التي أصبحت فيما بعد مقر السفارة البريطانية ببغداد ، وكانا قد انتقلا اليها منذ عهد قريب بعد اكمال بنائها، وهي تقع على شاطىء النهر في محلة الكريمات في جانب الكرخ • وقد استعدت زوجة كوكس لاستقبال السيد طالب في حديقة تلك الدار وهي لا تعرف شيئاً عن خطة اعتقاله ، وكانت قد استدعت المس بيل لتكون مترجمة بينها وبين السيد طالب • أما كوكس نفسه فلم يحضر الدعوة بل ذهب الى ساحة السباق ليتفرج على ركض الخيول !

وصل السيد طالب الى الدار بسيارته في الساعة الرابعة والنصف ، فجلس في الحديقة يتناول الشاي مع زوجة كوكس والمس بيل • وجاء بعد قليل الميجر بوفيل يصحبه ضابط شاب اسمه الكابتن كوكس ، فتناولا الشاي ثم خرجا • وبعد عشر دقائق نهض السيد طالب مودعا لأنه كان مدعوا لتناول العشاء عند السيد جعفر عطيفة في الكاظمية • فقامت المس بيل تمشي معه الى الباب لتوديعه • وركب السيد طالب سيارته فتحركت به متجهة نحو الجسر ، ولكن السيارة لم تكد تسير به قليلا حتى فوجئت بسيارة حمل كبيرة وهي واقفة في منتصف الطريق كأن عطلاً أصابها ، وكانت هناك سيارة حمل أخرى محملة بالجنود تسير خلف سيارة السيد طالب • ولما همَّ السيد طالب بالاعتراض والتساؤل عن سبب وقوف السيارة ظهر الميجر بوفيل والكابتن كوكس فجأة ، فاعتذرا عن انسداد الطريق ، وطلبا منه أن يعتبر نفسه سجيناً عندهما • ثم أخذاه الى شاطىء النهر حيث كان الزورق البخاري الخاص بالقائد العام واقفاً بالانتظار • وتحرك الزورق يحمل السيد طالب نحو الجنوب •••

كان هالدين لشدة حرصه على نجاح الخطة قد أمر بقطع تلفون

فيلبي ، ولهذا فان فيلبي لم يعلم بالحادث في حينه[٣٤] . وهو يقول في مذكراته : انه لم يعلم بالحادث الا في المساء عندما ذهب وزوجته الى نادي العلوية لتناول العشاء فيه بناء على دعوة سابقة من الكابتن كوكس ، ولما وصل الى النادي وجد الكابتن كوكس غائباً وكان هناك ضابط آخر ينوب عنه في الضيافة ، وقد حدثه الضابط بما جرى على السيد طالب فاشتد غضب فيلبي عند سماعه القصة ، كما انزعجت زوجته . وفي الصباح ذهب فيلبي لمقابلة كوكس وهو مزمع على تقديم استقالته في الحال . ولكن كوكس أخذ يهدئه ويعتذر اليه عن عدم اخباره بالامر في وقته مخافة ان يعرف السيد طالب بأمر اعتقاله فتفشل الخطة . وأكد كوكس له مرة اخرى بان ليس في النية فرض فيصل على الناس . ثم أخبره بانه قد عين وزيرا للداخلية بدلا من السيد طالب ، فخرج فيلبي من عنده راضيا[٣٥] .

وفي ١٩ نيسان اذيع بيان من المندوب السامي في تبرير نفي السيد طالب خلاصته ان الحكومة البريطانية لاتزال عند وعدها في ضمان الحرية التامة للعراقيين للاعراب عن رغبتهم بشأن نوع الحكومة التي يطلبونها ، ولكن السيد طالب تفوه بكلام ينم عن تهديد شائن باشهار السلاح في وجه الحكومة البريطانية ، وهذا امر لا يمكن ان يتسامح به المندوب السامي لاسيما وهو يصدر من رجل يشغل منصبا خطيرا كالسيد طالب[٣٦] .

لم يحدث نفي السيد طالب أي تأثير في بغداد ، حيث قابله الناس بهدوء كأنه أمرا اعتياديا . وعندما فاتح بعض الوزراء النقيب بالامر اكتفى

---

(34) Monroe (op. cit.) - P. 109.

(٣٥) جون فيلبي (المصدر السابق) ــ ص ٥٣ ــ ٥٥ .

(٣٦) عبدالرزاق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية) ــ صيدا ١٩٦٥ ــ ج١ ص٢٩ ــ ٣٠ .

النقيب بقوله : « أوصيت ان يعاملوه باحترام وأدب »[٣٧] • أما في لندن فكان الامر على خلاف ذلك اذ ان الصحافة نشرت القصة واخذت تدعو الى التخلي عن الانتداب في العراق وتصفه بـ « الكابوس »[٣٨] • وكتب الى كوكس أحد اصدقائه في لندن يقول : ان زوجته لم تتمالك نفسها من البكاء على المسكين السيد طالب[٣٩] •

مصير السيد طالب :

لعل من المناسب هنا ان نتحدث باختصار عن مصير السيد طالب بعد القاء القبض عليه في بغداد • فقد سار به الزورق البخاري حتى اوصله الى الكوت ، ومن هناك اركب باخرة نهرية سارت به الى الفاو ، وفي الفاو أركب باخرة بحرية ابحرت به الى جزيرة سيلان ، فأودع فيها رهن الاعتقال • وقد خصصت له الحكومة البريطانية راتبا شهريا قدره ٢٥٠٠ روبية •

ظل السيد طالب معتقلا في سيلان حتى تم تتويج فيصل ، فأطلق سراحه • وعندما هاجم ابن سعود الحجاز في عام ١٩٢٤ ذهب السيد طالب الى جدة للمشاركة في التوسط بين الفريقين ، وهناك التقى بالكاتب اللبناني أمين الريحاني • وقد كتب الريحاني في وصف التقائه بالسيد طالب فقال مانصه : « واني لاذكر اجتماعنا في جدة في خريف ١٩٢٤ وأذكر من الاحاديث حديثنا عن العراق • فقد قص علينا بعض وقائع أيامه تلك ، ونحن نشرب الويسكي والصودا ، ثم وضع الكأس على المائدة ، ورفع يده الى ذلك الرأس اللامع الشريف يمسحه ويربته قائلا : ان ها هنا شيئاً لايغلب ــ

---

(٣٧) خيري العمري (حكايات سياسية) ــ القاهرة ١٩٦٩ ــ ص ٤٨ •

(38) Monroe (op. cit.) - p. 109.

(39) Graves (op. cit.) - P. 308.

لا يغلب • وكان يفكر بالعودة الى العراق والى السياسة • كان لايزال يحلم الاحلام الذهبية • فقال يستأنف الحديث : الامور مرهونة بأوقاتهـــا ، وستسمعون عندما اعود مايدهش ويسر أن شاء الله • وسأطلبك يا استاذ واعينك وزير المعارف»(٤٠) •

يبدو ان السيد طالب فقد كل أمل له بعد انتهاء حرب الحجاز فأخذ يسعى نحو العودة الى العراق وقد عثرت بين وثائق البلاط الملكي على رسائل منه الى الملك فيصل يتوسل اليه أن يسمح له بالعودة • وأخذ فيلبي من جانبه يسعى لدى حكومة لندن لرفع ما اصابه من ضيم(٤١) • فسمح له اخيرا بالعودة • وفي ١ أيار ١٩٢٥ وصل السيد طالب بالباخـــرة الى البصرة وكان في استقباله على الرصيف جمهور من البصريين يقدر عددهم بثلاثة آلاف(٤٢) •

اعتكف السيد طالب في داره في « السبيليات » الواقعة على ضفة شط العرب قرب البصرة ، واخذ يكثر من تعاطي الويسكي ويتجنب مواجهة الناس او حضور الحفلات • وكان اذا ذهب الى البصرة سلك طرقاً خالية هرباً من نظرات المارة(٤٣) •و الظاهر انه أصيب بعقدة نفسية شديدة من جراء انهيار آماله• لقد كانت شخصيته قائمة على أساس حب الامرة والمجد العريض ، ومن الصعب على رجل مثله ان يكون شخصاً عادياً كسائـــر النـــاس •

وفي ربيع ١٩٢٥ جاء السيد طالب الى بغداد بغية مقابلة الملك فيصل بعد أن توسط له عبدالله المضايفي في ذلك • وقد أقيمت له في بغداد عدة

---

(٤٠) أمين الريحاني (فيصل الاول) ــ بيروت ١٩٥٨ ــ ص ٨٤ •

(41) Monroe (op. cit.) - P. 100.

(٤٢) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ٥ أيار ١٩٢٥

(٤٣) خيري أمين العمري (شخصيات عراقيـــة) ــ بغداد ١٩٥٥ ــ ج١ ص ٤٠ •

ولائم احتفاءًا به كان آخرها وليمة النقيب الكيلاني • وعندما دخل السيد طالب على النقيب قام هذا مرحباً به واصفاً اياه بـ « ولده » و « حبيبه » و « قرة عينه » • وأخـذ السيد طالب يعاتب النقيب على عدم مساعدتـه له عند القاء القبض عليه ، ثم أهوى على يده فقبلها(٤٤) •

لم يمكث السيد طالب في بغداد سوى اسبوع واحد عاد بعدها الى داره في « السبيليات » • وفي عام ١٩٢٩ أصيب بمرض خطير ، فسافر الى ميونيخ للمعالجة في احدى مستشفياتها • وفي ١٦ حزيران لفظ أنفاسـه الاخيرة ، فنقل جثمانه الى البصرة •

جرى لجنازة السيد طالب في البصرة تشييع منقطع النظير ، فاغلقت الاسواق حداداً عليه وعج الجمهور بالبكاء حوله • لقـد انقلب السـيد طالب عقب موته الى زعيم شعبي محبوب • وليس ذلك بالأمر الغريب !

نجاح الدعوة الشريفية :

كان نفي السيد طالب من بغـداد في نيسان ١٩٢١ سـبباً في تدعيم الحزب الشريفي ، وضربة مهلكة لخصومه • وقد أخذ جعفر العسكري ونوري السعيد وغيرهما من رجال الحزب الشريفي يضاعفون جهودهم ، يؤيدهم العائدون من سوريا من جهة ، وتؤيدهم المس بيل من الجهـة الأخـرى •

وبعد أيام قليلة من نفي السيد طالب حدث حادث آخـر أدى الى زيادة تدعيم الحزب الشريفي ، هو أن جماعة من رجال الدين ورؤساء العشائر اجتمعوا في الكاظمية برئاسة المجتهد الكبير الشيخ مهدي الخالصي، وقرروا أن يبرقوا الى الشريف حسين في مكة يطلبون منه ارسال ابنـه فيصل ليكون ملكاً في العراق مقيداً بمجلس نيابي • ولكنهم عندما أرسلوا

---

(٤٤) المصدر السابق ـ ص ٤٣ ـ ٤٥ •

برقيتهم الى دائرة البرق امتنع الموظف المسؤول عن قبولها متذرعاً ببعض الاعـذار والحجج .

لاندري ما هو السبب الذى جعل الموظف المسؤول يمتنع عن قبول البرقية ، ولكن هذا الامتناع على أية حال أدى الى حماس الناس واصرارهم على ابراق البرقية . فقد اعتبروا امتناع الموظف تحدياً لرغبتهم الوطنية ، وظنوا ان هناك لعبة انكليزية تدبر ضدهم .

عاد رجال الدين ورؤساء العشائر الى الاجتماع عند الخالصى مـرة أخرى وقرروا تنظيم احتجاج يرفعونـه الى المنـدوب السامي ، غير ان الخالصى أوصاهم بالتريث ، وأرسل رسالة الى نوري السعيد يطلب فيها منه ان يساعدهم في ابراق البرقية الى الشريف حسين . وهذا هو نـص الرسـالة .

لحضرة الماجد نوري باشا السعيد المحترم

بعد الدعاء لك بالتوفيق ، ان الانكليز أبوا أن يعطوا الحرية للعراقين بكل شيء حتى باختيارهم ملكهم الذين ضحوا في سبيله النفس والنفيس وذلك أن أوعزوا الى مأموري البرق أن لا يقبلوا البرقيـات المعنونـة الى الملك حسين بن علي التي يطلبون بها ارسال أحد أنجاله ليكون ملكاً على العراق ، وهذا أمر لا شك وان عاقبته غير مرضية ، لذلك أرى من الواجب تدخلكم بصورة رسمية أو خصوصية لرفع هذا القبد واعطاء العراقيـين الحرية التامة بهذا الخصوص ، أما غير هذا فذلك مما يعود لهم ، والسلام.

١٠ شعبان ١٩٣٩   عن مهدي الخالصى

أرسل الخالصى رسالته هذه بيد رسول خاص ليوصلها الى نوري السعيد في وزارة الدفاع . وحين أوصل الرسول الرسالة الى نوري قال له هذا : انه سيقوم بالتحري ويبعث الجواب بالسرعة الممكنة . وأضاف الى ذلك قائلاً : انه يعتقد بأن هذه اللعبة لا علم لحكومة بريطانيا في لندن

بها ، بل هي لعبة بعض موظفي الانكليز في بغداد مع زمرة من العراقيين الذين لا يرغبون بتتويج أحد أنجال الملك حسين ملكاً على العراق •

وفي اليوم التالي وصلت الى الخالصي رسالة من نوري السعيد كان هذا نصهـــا :

وزارة الدفاع ١١ شعبان ١٣٣٩

لحضرة العلامة الكبـير والمجتهد الاعظـم صاحب السماحة الشيخ محمد مهدي الخالصي متع الله الامة بدوام بقائه •

سلام الله تعالى عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاني أعرض لمولاي الاستاذ انني ذاكرت من يتعلق بهم الأمر من رجال الحكومة البريطانيـة (بصورة رسمية) بخصوص التلغرافات التي يراد ارسالها الى جلالة الملك حسين بطلب ارسال أحد انجاله الكرام ، فأجابوني بأنه لا يوجد أدنى مانع من ذلك ، وقدأحببت أن اكتب الى مولاي بهذا الأمر ، واذا كان سماحته يرى انتظار منشور المندوب السامي فلا بأس بذلك ، وان دوائر البرق مستعدة في كل وقت لقبول البرقيات التي هي من هذا النوع • وتفضلوا في الختام بقبول فائق احترامي وتعظيمي سيدي •[(٤٥)]

المخلص

نوري السعيد

وعند وصول هذا الجواب الى الخالصي أعلن شكره لنوري السعيد وأوصى الناس بارسال برقياتهم الى الشريف حسين كما يرغبون • وكان لهذا الاعلان رنة فرح بين الناس ، حيث شعروا بأنهم انتصروا في مطاليبهم الوطنية • وأخذ الناس في مختلف انحاء العراق يتهافتون على دوائر البرق

---

(٤٥) فريق المزهر آل فرعون (الحقائق الناصعة) ــ بغداد ١٩٥٢ ــ ج٢ ص ٥١٧ ــ ٢١٨ •

ليبرقوا الى الشريف حسين بارسال ولده فيصل • وصارت البرقيات تصل الى مكة تباعاً بشكل لم يسبق له مثيل •

كتبت المس بيل في ١٢ حزيران تعلق على ذلك قائلة مانصه :

« يوجد في أعماق عقلي يقين ثابت أن ليس هناك شعب يجب أن يكون محكوماً بصفة دائمة من قبل شعب آخر • ففي السنة الماضية عندما كانوا كلهم يهتفون باسم عبدالله لم يكونوا يريدونه لانه كان الرجل الامثل ، او لأنهم كانوا تحت تأثير الحماس الوطني ، بل لأنهم كانوا يعتبرون الهتاف باسمه هو خلاف رغبة الانكليز ••• ولقد كان من القصور في النظر السياسي أننا تركنا الفكرة تبلور عندهم في أن الوطنية مضادة للانكليز • والآن نحن نحاول أن نغذي الوطنية ولكنني أعترف بان الوطنية التي هي ليست ضد الاجانب قد تنمو ضعيفة • ان فيصل حين يأتي ويسير معنا جنباً الى جنب سوف لا يكون شخصاً محبوباً كما لو كان يقود حركة جهاد ضدنا • انه سوف لايقود حركة جهاد،وليس هذامن مزاجه• فهل نستطيع أن نمده بالروح التي تجعله قادراً على الهام دولة عربية الهاماً حقيقياً ••• ان هذا أمر يعتمد على شخصيته ، وان من حكمة السر برسى كوكس ان يظل مختفياً يعمل من وراء ستار »(٤٦) •

موقف الصحف البغدادية :

على أثر اغلاق جريدة « الاستقلال » في ٩ شباط ١٩٢١ لم يبق من الجرائد العربية في بغداد سوى جريدة «العراق» لصاحبها رزوق غنام، وكانت هذه الجريدة تؤيد السياسة الانكليزية في العراق • وعندما صار الحزب الشريفي ينشط للدعاية للأمير فيصل ، اتخذت جريدة «العراق» نفس الموقف الذى اتخذه كوكس ، أي موقف « الحياد الودي » •

---

(46) Burgoyne (op. cit.) - Vol. 2, P. 220.

ففي ٥ أيار نشرت جريدة «العراق» مقالة لمعروف الرصافي بتوقيع مستعار هو « عراقي مفكر » ، يدعوا فيها الى مبدأ « العراق للعراقيين » • ويرد على الذين يدعون الى اختيار أمير شريفي للعراق • وهذه نبذة من تلك المقالة حيث يقول كاتبها : «•••• أما ما تفضل به أحد اخواننا العراقيين من أن النهضة العربية الاخيرة قد بزغت شمسها في القطر الحجازي وخصوصاً في بيت الشريف ملك الحجاز ولذلك يلزم أن يجلس على اريكة الملك أحدهم فانه لم يصب بذلك كبد الحقيقة لان في النهضة المذكورة اشترك كثير من أبناء العراق وسوريا وفادوا بالنفيس وجاهدوا حق الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال ، لذلك فيمكننا أن نقول ان النهضة عينها ما قامت كما ينبغي الا بهؤلاء العراقيين وأمثالهم من العرب وليس بالحجازيين فقط ، فلهذا ليس لأمراء الحجاز هذا الحق •• »

وحين ظهرت هذه المقالة انبرى لها الشريفيون يردون عليها ، وقد فتحت جريدة « العراق » صدرها لردودهم ، وكأنها كانت تشجعهم على ذلك من طرف خفي كما تقتضيه السياسة الانكليزية يومذاك • فنشرت رداً لعبدالله الدليمي في ١١ أيار ، ورداً آخر لرشيد الهاشمي في ١٢ منه، ورداً ثالثاً لسليمان الزهير في ١٣ منه •

وفي ٢٠ حزيران ظهرت جريدة جديدة باسم « الفلاح » لصاحبها عبداللطيف الفلاحي ، وهو من خريجي الكلية العسكرية في اسطنبول ، وأخذ يجاهر بالدعوة الى اختيار فيصل • فقد كتب في العدد الاول منها يقول: ان الامة حين جاهرت بدعوتها للاميرفيصل لانها تراه جامعا للصفات التي تؤهله أن يكون ملكاً عليها وتعترف بما قدم للامة العربية من الايادي الطائلة ، بالاضافة الى ما اكتسبه من التجارب السياسية لطول احتكاكه بساسة الغرب وما حصل عليه من المكانة الرفيعة عند أهل الحل والعقد •

وفي ٢٣ حزيران ظهرت جريدة ثالثة هي « لسان العرب » لصاحبها

ابراهيم حلمي العمر • وكان هذا الرجل قبلئذٍ يصدر الجريدة نفسها في دمشق ، واشتهر هناك بالتحول السريع من حال الى حال • وقد أعلن ابراهيم عن موقفه السياسي في أول عدد أصدره من الجريدة في بغداد حيث قال انها يجب أن لا ينتظر الناس منها ميلاً الى حزب دون آخر • والمظنون انه اتخذ هذا الموقف تجاوباً مع موقف «الحياد الودي» الذي اتخذه كوكس •

وفي ٢٥ حزيران ظهرت جريدة رابعة باسم « دجلة » لصاحبها داود السعدي ، وأخذت تتجه اتجاهاً معارضاً للحزب الشريفي بشكل غير مباشر • وقيل ان لفيلبي ضلعاً في هذه الجريدة(٤٧) • وقد اخذت هذه الجريدة تنوع في أحاديثها بغية توهين الاتجاه الشريفي في العراق ، فكانت تارة تشير الى ما ينطوي عليه النظام الملكي من استبداد وجور ، وتارة أخرى تحث العراقيين على التمسك ببيعة عبدالله التي تم الاتفاق عليها في الشام سابقا(٤٨) •

ومما يلفت النظر ان الرأي العام صار ينظر الى جريدة « دجلة » نظرة لاتخلو من ريبة واتهام ويعتبرها جريدة تنطق بلسان الانكليز أو الممالئين لهم ، وأخذ النقد الشديد يوجّه على الجريدة من كل جانب حتى بلغ الأمر بصاحب الجريدة ذات يوم الى أن يكتب مقالاً افتتاحيا يرد به على ناقديه بعنوان : « الحر ممتحن بأولاد الزنا »(٤٩) •

خزعل يرشح نفسه :

كان الشيخ خزعل أمير المحمرة يطمع بامارة العراق منذ انتهاء الحرب ، فهو قد خدم الانكليز خلال الحرب خدمة عظيمة وكان يأمل منهم ان ينصبوه أميرا على العراق مكافأة له على خدمته • ففي ٢٢ كانون

---

(٤٧) رفائيل بطي (الصحافة في العراق) ـ القاهرة ١٩٥٥ ـ ص٨٦ •
(٤٨) خيري العمري (حكايات سياسية) ـ ص ٧٣ •
(٤٩) رفائيل بطي (المصدر السابق) ـ ص ٨٦ •

الاول ١٩١٨ كتب الشيخ خزعل الى كوكس مانصه :

« يظهر ان الحكومة البريطانية تبحث عن أمير للعراق • وليس هناك مرشح لائق في متناول اليـد • ان تسعة أعشار العراق هم شيعة ، والامير يجب ان يكون شيعيا أيضا وانى مواطن عراقي • وقد ولدت وترعرعت على شط العرب • وبرهنت على اخلاصي •• وسوف أعمل في كل الامور وفق رغبات المندوب السامى وأوامره ، كما كنت في الماضي •• »

ان كوكس لم يؤيد الشيخ خزعل على طلبه هذا • فقد كان رأي كوكس ان اختيار خزعل لامارة العراق سيكون ذا تأثير سيء على السنيين الذين كانوا ذوي النفوذ الاعظم فى العراق(٥٠) •

لم ييأس الشيخ خزعل بل ظل يتحين الفرصة للمطالبة من جديد بعرش العراق • وأخذ يقوي علاقاته بالعراقيين بشتى الوسائل ، ولا سيما بعلماء الشيعة وشعرائهم وخطبائهم ، وصار يغدق عليهم الاموال ويتحبب اليهم • وفي عام ١٩٢٠ أمر بطبع كتاب في مصر يتضمن تاريخ الامام علي وقصيدة طويلة جدا في مدحه بقلم عبدالمسيح الانطاكي صاحب جريـدة « العمران » القاهرية • وقد انتهى طبع الكتاب في ٣٠ نيسان فأرسلـت نسخه الى المحمرة ومن هناك ارسلت الى العراق لتوزيعها على الناس مجانا في سبيل الدعاية لخزعل ، ولكن السلطة البريطانية لم تسمح بنشره ،فبقيت نسخ الكتاب مخزونة في بيوت الذين كلفوا بتوزيعه ، ولم ينشر الا بعد سنوات ـ أي بعد فوات الآوان !

وفي أوائل ١٩٢١ عندما كان الانكليز يبحثون عن مرشح ملائم لعرش العراق استعاد خزعل نشاطه في هذا السبيل ، فأرسل أحد رجال الدين الى النجف ومعه مبلغ ضخم من المال قدر بعشرين ألف ليرة ذهب لكـي

---

(50) Gassan Atiyyah (op. cit.) - p. 368.

يوزعها هناك من اجل الدعاية له ، كما أرسل مزاحم الباچچي الى بغـداد لهذا الغرض ايضا .

لم يوزع رجل الدين من المال شيئاً بل احتفظ بالمبلغ كله لنفسه ، وقيل انه اخفاه في احد جدران بيته وبنى عليه ، ولم يفتحه الا قبيل وفاته . أما مزاحم الباجچي فقد باءت مساعيه في بغداد بالفشل . وقـد كتب الى خزعل رسالة مؤرخة في ٩ آذار ١٩٢١ نقتطف منها ما يلي :

حضرة مولاي السردار

بعـــد التشـــرف بلثم أناملكم الشـــريفـة أعـرض انـــني وفقا لامركم ذهبت الى بغداد وحكيت مع المعلومين فوجدتهم كما سبق مني التنبؤ بحقهم ، ورأيت الاحوال متغيرة للغاية ، وأقناع أحد بالمطلوب من أصعب الامور بل يكاد يكون مستحيلا ... انني اختبرت الحالة جيـــدا وعرفت بواطنها وظواهرها ، وصدقي مع سموكم يجبرنى ان اقول ذات القول الذى قلت قبل شهر وهو ان المسألة منتهية والسعي فيها لا أرى فيه أقل نفع اذا لم يكن فيه بعض الضرر ، ولا يبعد ان يكون هذا الضرر على مثلي اذا حاول تبديل ماوقع عليه الاتفاق وفاه به أهل الحل والعقد ... هذا وانى لا ازال ذلك العبد المخلص الصادق لسموكم أطال الله بقاءكم ومتعنا بعمركم وجعلكم لي فخرا وذخرا .

الداعي
مزاحم الامين الباچچي(٥١)

أدرك خزعل ان الدعاية وبذل الاموال لاجدوى منهما تجاه ارادة القوى الخفية العاملة من وراء الستار ، ولهذا آثر الانسحاب في الوقـــت المناسب بدلا من العناد . وفي ١٤ حزيران نشرت جريدة « العراق » بيانا تحت عنوان «حول عرش العراق» وقدمته بقولها « جاءنا ما يأتي من مصدر ثقة في البصرة » . وهذا هو نصه :

---

(٥١) خيري العمري (المصدر السابق) ـ ص ٥٧ ـ ٥٨ .

« اجتمع السردار اقدس صاحب السمو الشيخ خزعل خان امير المحمرة بلفيف من اشراف البصرة واعيانها منهم حضرات اصحاب السعادة أحمد باشا الصانع وعبداللطيف باشا المنديل وعبدالكريم بك السعدون ومزاحم بك الامين الباچچي وبلغهم صريحا ما يأتي : « انني عندما طرحت مسألة عرش العراق على بساط البحث ورأيت أن الذين رشحوا انفسهم لذلك العرش هم دوني في المنزلة والكفاءة والمقدرة وفي جميع المزايا والصفات التي يجب أن يتصف بها ملك أو امير ، كنت رشحت نفسي لذلك العرش لانني رأيت أنني احق واجدر من جميع الذين رشحوا انفسهم له . أما الآن وقد بلغني ترشيح سمو الامير فيصل لهذا العرش ، فانني اتنازل عن ترشيح نفسي لانني ارى في شخص سمو الامير فيصل جميع الصفات والمواهب التي تؤهله لان يتولى ذلك العرش ، واني اقابل ترشيح سمو الامير فيصل بكل ابتهاج وأؤيده كل التأييد وأرجو من جميع اصدقائي ومواطني أن يؤازروه بكل قواهم . »

أثبت الشيخ خزعل بهذا انه اكثر حنكة من السيد طالب وأبصر منه بحقائق الامور !

ماذا في مكة :

في الوقت الذي كانت فيه بغداد مشغولة بأمرها كانت مكة مشغولة أيضا . فقد كان فيها عدد غير قليل من رجال الثورة الفارين من العراق وهم لاجئون عند الملك حسين وفي ضيافته، وكانوا فريقين : فريق البغداديين وهم : جعفر ابو التمن وعلي البازركان ومحمود رامز وشاكر القرغولي واسماعيل كنة وامين زكي وعبدالرزاق الهاشمي . اما الفريق الآخر فيتألف من سادة الفرات الاوسط ورؤساء عشائرها وهم : نور الياسري وهادي المقوطر وعلوان الياسري ومحسن ابو طبيخ ثم مرزوق العواد وصلال الموح ومهدي الفاضل وشعلان الجبر ورايح العطية .

وصل فيصل الى مكة في ٢٥ نيسان ، وكانت البرقيات يومذاك قد بدأت ترد تباعا من العراق الى الملك حسين • يروى علي البازركان : انه كان ذات ليلة في مجلس الملك حسين على سطح قصره في مكة ، فمد الملك يده تحت فراشه وأخرج ورقة قال انها برقية من اهل العراق ، وناولها الى البازركان قائلا : « خذها ياشيخ واقرأها » • وكان هذا نص البرقية : « نرجو ارسال نجلكم الملك فيصل الى العراق ليكون ملكا دستوريا • منتظرين تشريفه » • وكانت موقعة من قبل محمد مهدى الصدر ونورى السعيد وحمدي الباچچي ومحيي الدين السهروردى وبهجت زينل • وسأل الملك حسين عن هوية أصحاب البرقية فأجابه البازركان يمدحهم ، وسأل الملك مرة اخرى : « ان العراقيين طالبوا بالامير عبدالله في بادىء الامر ليكون ملكا دستوريا عليهم فما الذى دعاهم الى تغيير وجهة نظرهم ؟» فأجابه البازركان : بانهم طلبوا عبدالله حين كان فيصل ملكا في سوريا وهم يطلبون الآن فيصل لانه بلا شغل• فقال الملك: « ولكني أخشى ياشيخ ان يعامل اهل العراق فيصل كما عاملوا جده الحسين (ع) من قبل » • فأجابه البازركان قائلا : « سيدى لقد تغير الزمن وان اهل العراق ليسوا كاسلافهم في زمن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام ، فهم الآن يقومون باكرام الضيف وبخدمة ملكهم » • وعند هذا ضرب الملك كفا بكف وصاح بلهجته الحجازية : « ياعيال نادوا فيصل »[٥٢] •

وبعد هذا اجتمع العراقيون الذين كانوا فى مكة عند الملك حسين وابلغوه رغبة اهل العراق فى تتويج ابنه فيصل ملكا عليهم ، فقال لهم : « انني اوقفت نفسي ومن يتبعها لخدمة الامةالعربية، وقد وردتني كثير من الرسائل والبرقيات حول هذا الطلب وبينها الشيء الكثير من العلماء وزعماء

---

(٥٢) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ـ بغداد ١٩٥٤ ـ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ •

القضية العربية في الفرات • وقد أمرت فيصل ان يتوجه الى العراق وهو وديعتي عند العراقيين ، قوموا واذهبوا معه ، وارجو ان لايحدث معه في العراق مثل ماحدث في سوريا » • فقام محسن أبو طبيخ وقال : « ان العراق غير سوريا ، وان العراقيين راغبون في سموه • وها انني انني أول من يبايع الامير فيصل ملكا على العراق » • ومد يده نحو فيصل يبايعه ، فحذا حذوه في المبايعة بقية العراقيين[٥٣] • ويقال ان الملك حسين التفت نحو السيد نور الياسري يخاطبه باعتباره اكبر الحاضرين سنا وقال له : « ياسيد نور انى اعتبرك كأخي الاكبر واني قد أودعت ولدي فيصل عند جدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام ثم اودعته عندكم » • فأجابه السيد نور : « اننا سنرحب بفيصل وسيكون موضع احترامنا ومحبتنا ونضحي في سبيله كل ما نملك[٥٤] •

فيصل يتوجه الى العراق :

في ٣٠ أيار ١٩٢١ صدر في بغداد بيان العفو العام عن جميع الذين شاركوا في ثورة العشرين حيث لم يستثن منهم سوى افراد معينين • وكان القصد من هذا البيان ان يكون رجال الثورة الذين فروا من العراق في صحبة فيصل عند وصوله الى العراق • وفي ١ حزيران ابرقت حكومة لندن الى فيصل تأذن له بالتحرك نحو العراق[٥٥] •

وفي ٣ حزيران ابرق فيصل الى محمد الصدر ويوسف السويدي وعلي جودت الايوبي الذين كانوا في دمشق بالتوجه الى القاهرة ، ومنها الى الحجاز • وفي ٦ حزيران سافر هؤلاء الثلاثة من دمشق بسيارة حمل، وعند وصولهم القاهرة وجدوا فيها رستم حيدر وابراهيم كمال وصبيح نجيب

---

(٥٣) فريق المزهر آل فرعون (المصدر السابق) — ج٢ ص ٥٢٤ — ٥٢٥•
(٥٤) عبدالشهيد الياسري (البطولة في ثورة العشرين) — النجف ١٩٦٦— ص ٢٤٠ — ٢٤١ •

(55) Graves (op. cit.) - p. 293.

ومكي الشربتي • فسافروا من القاهرة جميعا الى جدة بعد ان انضم اليهم الميجر كورنواليس وكان هذا قد طلبه فيصل ليكون مستشارا له ووسيطا بينه وبين المندوب السامي في العراق •

واعدت الحكومة البريطانية طرادا حربيا اسمه « نورث بروك » لنقل فيصل وحاشيته الى العراق •وفي ١٢ حزيران أبحر الطراد من جـــدة وكان يحمل علاوة على اولئك الذين جاؤوا من القاهرة جميع الذين كانوا في الحجاز من رجال الثورة ماعدا أربعة منهم ، وهم : جعفر ابو التمن ومحسن ابو طبيخ ومرزوق العواد ورايح العطية • فقد امتنع هؤلاء عـــن مرافقة فيصل معتذرين برغبتهم في اداء فريضة الحج الذى كان موسمـه قريبا • ويقال ان أبو التمن قال بانه لايحب ان يشترك في هذه « الزفة » •

أول برقية وصلت الى بغداد عن ابحار فيصل من جدة كانت مرسلة من جعفر ابو التمن الى بعض الوطنيين فى بغداد ، وكان هذا نصها : « سمو الشريف فيصل أبحر اليوم الى البصرة ، اعدوا الاستقبال اللائق » • وقد وصلت نسخة من هذه البرقية الى يد النقيب • يقول فيلبي في مذكراته عن هذا الموضوع ما يلي :

« وفي احد الايام بعد انتهاء جلسة طويلة من جلسات مجلس الوزراء طلب اليّ النقيب الشيخ ان أتأخر لانه كان يريد التحدث اليّ شخصيا • وعندئذ بادرني قائلا : هل تعرف شيئاً عن هذا ؟ ووضع في يدي برقية بعد ان ترك الجميع الغرفة • وكانت البرقية قد وردت من جدة بتوقيع جعفر ابو التمن ••• فأجبت قائلا : « كلا ، لا أعرف شيئاً ، ولكن هل في وسعي أن احتفظ بالبرقية ؟ سوف اذهب لمواجهة كوكس في الحال ثم اعـــود لاخبركم بما يقول » • ثم ذهبت فورا الى المقيمية حيث وجدت كوكس غير مشغول ، وبادرته قائلا : « ان الاسواق ملأى بالشائعات بان فيصلا قد ابحر من جدة متجها الى البصرة ، فهل ذلك صحيح ؟ » الا ّ انه اجابني : « أؤكد

لك يافيلبي ، لا أعرف شيئا عن ذلك ، حيث أني لم تصلني مثل هـذه الاخبار » . وعند ذلك ابرزت البرقية قائلا : « أذن قد يهمك ان تقرأ هذه» . فكرر تأكيداته السابقة بانه لايعرف شيئاً عنها ، ثم خرجت لموافاة النقيب بالنتيجة »(٥٦) .

وفي ١٤ حزيران ألقى تشرتشل بيانا مطولا حول العراق في مجلس العموم البريطانى قال فيه ما يلي : « ... ليس فى النية اكراه الشعب على قبول حاكم مخصوص ، وستطلق الحرية التامة في البحث والافصاح عن الرأي ، سواء كان ذلك في انتخاب الحاكم او انتخاب الجمعية العمومية... وقد أبلغت حكومة صاحب الجلالة البريطانية الامير فيصل انها لاتعارض في ترشيحه ، وانه اذا تم انتخابه فالحكومة البريطانية تؤيده . وهو الان في طريقه الى البصرة ، ولا شك في انه اذا انتخب فيصل نكون قد توصلنا الى حل فيه مستقبل ناجح سعيد »(٥٧) .

نشرت جريدة « الاوقات البغدادية » بيان تشرتشل في اليوم التالي . فاستاء منه فيلبى كل الاستياء ولكنه كتم استياءه لانه كان يعد حفلة عشاء ورقص فخمة في مساء ذلك اليوم في نادية العلوية . وقد حضر الحفلة عدد كبير من المدعويين كان من بينهم كوكس وزوجته والمس بيل . ورقص فيلبى فى البداية مع زوجة كوكس التى كانت منشرحة جدا ، ثم رقص مع المس بيل وغيرها . ويقول فيلبي في مذكراته : انه شرب كثيرا ليغرق أحزانه واتراحه ، ولما رقص رقصته الاخيرة مع المس بيل كان ثملا جداء فناقشها أثناء الرقص مناقشة حادة ، وهو لم يشعر بما فعل لشدة سكره ، غير أن زوجته أخبرته به فى صباح اليوم التالي ...(٥٨) .

---

(٥٦) جون فيلبي (المصدر لسابق) — ص ٥٦ .

(٥٧) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) — ج ١ص ٣٣ .

(٥٨) جون فيلبي (المصدر السابق) — ص ٥٧ — ٥٨ .

وبعد ثلاثة ايام وصلت الى النقيب برقية من الملك حسين كان هـذا نصها :

فرع الدوحة النبوية فضيلة السيد الاجل حضرة النقيب . ضروري بلغكم توجه ابني فيصل الى طرفكم بناءا على طلبات الاهالي المتعـددة ، ولامتزاج عائلتنا بكم ، فلا احتاج ان ابحث عما يجب لسعيكم جميعا فيما يستلزم راحة البلاد ومضاعفة الرغبة وتأمين مستقبل الكل . هذا ما انتظره من همم نجابتكم والحسية الدينية والقومية . والله يتولانا واياكم بالتوفيق.

عن مكة المكرمة في ١٧ حزيران ١٩٢١ م

حسين

فأسرع النقيب يجيب الملك حسين ببرقية هذا نصها :

لحضرة صاحب الشوكة والعظمة جلالة الملك حسين سلطان الحجاز أيد الله شوكته . لقد أخذت بيد التكريم والاجلال برقية جلالتكم المشعرة بتوجه سمو الامير ذى القدر الخطير الامير فيصل حفظه الله الى العـراق وقد ابتهجنا سرورا من هذا البشارة ودعونا له بالسلامة وصرنا ننتظر قدومه ساعة فساعة شوقا للقياه . فبمنه تعالى عند قدوم سموه نبادر الى القيـام بالواجب علينا من خدمته حيث اتحاد النسب والحسب القديمين يقضيان بذلك على الداعي . وأما الامر السامي الملوكي لهذا الداعي بالسعي جميعا فيما يستلزم راحة البلاد فهو واجب الامتثال على كل حال لاقتضاء الحس الوطني ونسأل الله التوفيق .

عن بغداد ١٩ حزيران ١٩٢١ م . التوقيع : نقـيب اشـراف بغداد(٥٩) .

---

(٥٩) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ج١ ص ٣٣ـ ٣٤ .

وفد الاستقبال :

أخذت البرقيات تتوالى الى بغداد عن قرب وصول فيصل ووجوب الاستعداد اليه ، وكان من بين تلك البرقيات واحدة من السيد محمد الصدر الى ابيه السيد حسن ، واخرى من يوسف السويدى الى ابنه ناجى • وقد اهتم ناجى السويدى بالامر فارسل بطاقات الدعوة الى اعيان بغداد وأولي الرأي يدعوهم الى اجتماع يعقد في سينما رويال في صباح الجمعة ١٧ حزيران للنظر في منهاج استقبال الامير فيصل • وعندما تم عقد الاجتماع في الموعد المعين قام ناجي فشكر الحاضرين واخبرهم بوصول البرقيات عن قرب قدوم الامير ، وقال انه سيكون ضيف العراقيين وانهم يجب ان يقوموا بما يجب عليهم في هذا الشان طبقا لما اشتهر عنهم من الكرم والضيافة • ثم اضاف قائلا : بان الحكومة والبلدية ستقومان بما يجب عليهما ، ولكن هذه الدعوة موجهة اليكم يا ابناء الشعب ، فانتم الداعون وانتم المدعوون ، وان الامير سوف يصل الى البصرة في ٢٣ منه ، ومن اراد منكم الاشتراك في الوفد الشعبي لاستقباله فليسجل اسمه ، وسيمر عليكم بعض الاصدقاء لتسجيل اسماء الراغبين ، وسيسافر الوفد الى البصرة مساء الاحد القادم • ثم اوضح ناجي السويدى ان كل واحد من اعضاء الوفد سيتكلف نفقات سفره ..[٦٠] •

سافر الوفد الشعبي بالقطار مساء الاحد ١٩ حزيران حسب الموعد المقرر • ولوحظ ان اثنين من الوزراء رافقاه في سفرته هما فيلبي وزير الداخلية وجعفر العسكرى وزير الدفاع • ومن الممكن القول ان سفر هذين الوزيرين كان جزءا من الخطة التى وضعها كوكس لكي يثبت بها حياده امام الناس • فلقد كان فيلبي يبذل كل جهده في مقاومة ترشيح فيصل كما رأينا ، بينما كان العسكرى على العكس منه • وتلك لعبة من

---

(٦٠) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ١٨ حزيران ١٩٢١ •

ألاعيب السياسة التى انطلت على الناس !

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ان فيلبي أبدى نشاطا غريبا في جميع المحطات التى مر بها القطار حتى وصوله الى البصرة • ففي كل محطة كان حاكم المنطقة يأتي لاستقباله مع جمهور كبير من الاهالي وهم يسألونه عما يجب عليهم ان يفعلوه في استقبال الامير فيصل ، فكان فيلبي يجيبهم بأن ليس هناك أوامر رسمية في هذا الشأن وان الامير قد جاء مرشحا وليس ملكا ، وأنهم أحرار فيما يفعلون تجاهه • وقد أوصى فيلبى حكام المناطق كلا على حدة بانهم يجب ان يستقبلوا القطار الذى يحمل الامير دون أن ينظموا مظاهرة، فان ذلك متروك للاهالي أنفسهم، وان الاستقبال حتى في بغداد والبصرة ينظم بصورة غير رسمية(٦١) •

وصول فيصل :

وصل الطراد الذى يحمل فيصل وحاشيته الى ميناء البصرة في الساعة الخامسة والنصف من عصر ٢٣ حزيران • وكانت البصرة قد استعدت لاستقباله فنصبت له اقواس النصر فى الشارع العام ، وخرجت في الشط بعض الزوارق البخارية والبواخر النهرية وهى مزدانة بالاعلام العربية ، كما تجمع على ضفاف الشط عدد كبير من الريفيين وهم يهزجون ترحيبا به(٦٢) •

فوجىء فيصل عند نزوله من الطراد بلوحة مرفوعة على مدخل العشار مكتوب عليها : « لتحي الجامعة العراقية » ، ولوحة اخرى عند مدخل البصرة مكتوب عليها :« لتحى البصرة جزءا من العراق » • وقد تبين له بعدئذ ان عريضة تحمل ٤٥٠٠ توقيع من اهل البصرة كانت قد

---

(٦١) جون فيلبي (المصدر السابق) ـ ص ٦٠ •

(٦٢) محمد عبدالحسين (ذكر فيصل الاول) ـ بغداد ١٩٣٣ ـ ص ١٥ ـ ١٧ •

قدمت قبل فترة قصيرة الى المندوب السامى وهى تتضمن طلبا بفصل البصرة عن العراق ، ولكنها لم تنل موافقة جميع اهل البصرة اذ قاومها فريـــق كبير منهم[٦٣] ، كما ان المندوب السامى ردها بشدة[٦٤] .

نزل فيصل في دار متصرف البصرة أحمد باشا الصانع ، وتوزعـت حاشيته في دور بعض وجهاء البصرة . وفى صباح اليوم التالى اقيمت حفلة في دار المتصرف حضرها أعيان البصرة والوفود ، وألقيت الخطب الترحيبية والقصائد من قبل محمد زكى المحامي وعطا امـــين وكاظم الدجيـلى وعبدالرحمن خضر ومحمد عبدالحسين وعبدالحافظ طه واحمد حمدى ملا حسين ومهران مهونيان ثم ارتجل فيصل في الختام كلمة طويلة ننقل منها النبذة التالية :

« ... واني لأصرح لكم بالنبي وآله ، ليس لي أي طمع شخصى وانما اعمل طمعا في خدمة هذه البلاد ابتغاء لوجه الله تعالى ، واني لأرغب أن أرى في المقامات العالية غيرى من تجمع عليه الامة ، وانى اقسم بشـرفي وتربة اجدادى وبقبر جدنا الرسول (ص) انني اول من يبايع الرجل الذى تتفق عليه الامة جمعاء ، فاذا اردتم أن تولوا عليكم شخصا انصحكم بان تخلصوا في القول واذا قال احدكم كلمة لايحيد عما قال ...»[٦٥] .

لم يبق فيصل في البصرة سوى يوم واحد اذ غادرها بالقطار في مساء اليوم الثاني من وصوله ، متوجها الى الحلة . وكان استقباله في المحطات بين البصرة والحلة فاترا جدا من جراء التعليمات التى اصدرها فيلبي الى الحكام . وقد اغتاظ فيصل من ذلك . ويقول فيلبي في مذكراته :

« وقد قضيت انا وكورنواليس معظم الطريق في قاطرته ــ اى عربة

---

(٦٣) سليمان فيضي (المصدر السابق) ــ ص ٢٦٩ ــ ٢٧٣ .
(٦٤) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) ــ ص ٢٥٦ (حاشية)
(٦٥ فريق مزهر آل فرعون (المصدر السابق) ــ ص ٥٢٨ .

فيصل ـ نبحث الوضع ونتناول الويسكي والصودا • وقد أوضح فيصل انه لم يأت الى العراق الا بدعوة من الحكومة البريطانية ، وانه يتوقـــع أن يؤازره الموظفون البريطانيون مؤازرة فعالة في ترشيحه للعرش • فـكنت صريحا معه صراحة تامة : كما كان واضحا ان الحكومة البريطانية تريده ملكا في العراق ••• لكن الانتخاب يجب ان يكون انتخابا حرا ، حيث ان التعليمات صدرت بهذا المآل الى جميع الموظفين البريطانيين في البلاد • وقد اضفت الى ذلك انه اذا كان يريد كسب اصوات الاهالي في الـــبلاد على اساس انه مرشح بريطانيا العظمى فان امله في النجاح سيكون ضعيفا»[٦٦]•

امتعض فيصل من هذا الكلام امتعاضا شديدا ، وتبين له ان الطريق امامه سوف لايكون سهلا كما كان يتصور سابقا • ولما وصل القطار الـــى الحلة ازداد فيصل امتعاضا اذ لم يجد في استقباله في محطة الحلة ســوى رجلين • وقد وصف علي جودت الايوبي في مذكراته ماجرى حيث قال :

« وعند وصولنا الى الحلة لم نجد في المحطة الا معاون المفتش الاداري برترام توماس ورئيس البلدية عبدالرزاق شريف ، وهناك انفجر المرحوم جعفر العسكري معاتبا رئيس البلدية لعدم اهتمامه باعداد الاستقبال كمـــا يجب ان يكون • فكان اعتذار رئيس البلدية الذي كان يتلقى أوامره من الحاكم السياسي الانكليزي ان جعفر لم يبرق اليه بمقدم فيصل وانما ابرق الى الوطنيين فقط[٦٧] •

ولم تقف الحالة عند هذا الحد ، فان برترام توماس دخل على فيصل بحضور الايوبي والمرافق صبيح نجيب ووجه اليه بكل وقاحة هذا السؤال: « ليش جنابك جيت الى العراق ؟ » فرد عليه فيصل قائلا: « لماذا تسألني؟ » فقال توماس : « لان الاهالي لايريدونك » • فرد عليه فيصل : « ولمـــاذا

(٦٦) جون فيلبي (المصدر السابق) ـ ص ٦٢ •
(٦٧) علي جودت (ذكريات) ـ بيروت ١٩٦٧ ـ ص ١٤٤ •

تريد ان تتدخل انت بيني وبين الاهالي ؟، فقال توماس : « حتى أخبرك ». فكان رد فيصل الاخير عليه : « لست بحاجة الى خبرك وسوف ترى ما اذا كانوا يريدونني أم لا » . وعند هذا خرج توماس(٦٨) .

في النجف وكربلاء :

غادر فيصل وحاشيته الحلة في صباح اليوم التالي حيث ركبوا السيارات متوجهين الى النجف وقد تعمد فيلبي وكورنواليس الابتعاد عنه في النجف . وكان منظره وهو بملابسه العربية ويحف به رجال الثورة موحيا للناس بان الهدف الذى طالبت به الثورة قد تحقق الآن .

اول عمل قام به فيصل فى النجف هو زيارته لمرقد الامام علي ، ثم زار بعض العلماء ، وحل اخيرا في بيت السيد هادى النقيب حيث كان اجتماع كبير فألقى فيه فيصل كلمة شكر فيها النجفيين ومدح الثورة العراقية والثورة الحجازية . ثم نهض باقر الشبيبي فألقى كلمة بالنيابة عن الحاضرين قال فيها : « اننا كنا نتطلع بشوق الى هذه الزيارة الميمونة من ضيف العراق الكبير الامير فيصل الى موطن الثورة التى نرجو ان تستكمل نتائجها المطلوبة كما نرجو من الله ان يحقق أهداف جلالة الملك حسين باستقلال البلاد العربية وجمع شمل العرب وتحقيق أهداف الثورة العربية ثورة التحرر والانعتاق ... »

وفي المساء اقام السيد عباس الكليدار مأدبة عشاء فخمة فألقى فيها فيصل كلمة قال فيها انه سيقوم بكل حزم لاصلاح البلاد وتعميرها ، واعقبه باقر الشبيبي بكلمة حماسية شديدة حيث قال : « ان الثورة العراقية هى وليدة افكار تحررية قديمة من زمن الاتراك ، واننا قد ضحينا بكل غالي ورخيص ، فلا يمكن ان نسلم ثمرة جهودنا الطويلة واتعابنا المريرة الا بيد امينة مخلصة تحرص على استقلال بلادنا ومصالحنا واهدافنا القومية

---

(٦٨) المصدر السابق ــ ص ١٤٤ ــ ١٤٥

والوطنية » • ويقال ان فيصل اعتبر هذه الكلمة موجهة ضـــده وامتعض منها ...[٦٩] •

وفي صباح ٢٧ حزيران توجه فيصل وحاشيته الى كربلاء وكان المتصرف في كربلاء يومذاك حميد خان • ويقول غريفز : ان استقبال فيصل في كربلاء لم يكن حماسيا لان المتصرف لم يكن راغبا في استقباله ، وقد ذهب هذا المتصرف الى بغداد في اليوم السابق ، وبعد أن قابل المنـــدوب السامي عاد الى كربلا مسرعا ، ولهذا كان الاستعداد لاستقبال فيصـــل مستعجلا[٧٠] •

قضى فيصل في كربلا يوما واحدا زار فيه مرقدى الحسين والعباس عليهما السلام ، وبات ليلته في ضيافة خليل الاسترابادى • وفي صباح اليوم التالى – ٢٨ حزيران – غادر كربلا الى طويريج ، فمكث فيهـا خمس ساعات في ضيافه السيد هادى القزويني[٧١] ، ثم توجه نحو الحلة •

ومما يلفت النظر ان الاستقبال في الحلة كان في هذه المرة بخلاف ماكان عليه في المرة الاولى ، ويبدو ان اهل الحلة شعروا بتقصيرهم تجاه فيصل ومن معه من رجال الثورة ، فخرجوا في هذه المرة لاستقباله بجموع غفيرة اشترك فيها النساء والصبيان وتلامذة المدارس[٧٢] ، واخذوا يهزجون بقولهم : « حي الله الملك فيصل » • وعند وصول فيصل الى الحلة نزل في بيت محمد علي القزويني ، وتهافت أهل الحلة للسلام عليه هنالك ، وألقى عدد من الشعراء قصائد في مدحه والترحيب به •

---

(٦٩) عبدالشهيد الياسرى (المصدر السابق) – ص ٣٥٠ •

(70) Graves (op. cit.) - 296.

(٧١) علي جودت (المصدر السابق) – ص ١٤٦ •

(٧٢) ملحق جريدة « دجلة » الصادر في ٢٩ حزيران ١٩٢١ •

وصوله الى بغداد :

أذيع بيان في بغداد بان الامير فيصل سوف يصل بالقطار في الساعة السابعة من صباح ٢٩ حزيران • وكانت بلدية بغداد قد خصصت خمسين ألف روبية لاستقباله فنصبت اقواس النصر في عدة مواضع من المدينة • وزينت الشوارع بالاعلام العربية وسعف النخيل واكتضت ارصفة الشوارع وشرفات المنازل بالمتفرجين ، كما خرج المستقبلون الى محطة القطار في الكرخ وكان في مقدمتهم كوكس والجنرال هالدين والمس بيل والوزراء •

وبينما هم في الانتظار وصلتهم برقية مفادها ان عطلا اصاب سكة الحديد ، وان الامير قادم بالسيارة والمأمول ان يصل في الوقت المحدد • وظلوا ينتظرون حتى الساعة الثامنة • ثم وصلتهم برقية أخرى مفادها ان السكة اصلحت وان الامير قادم بالقطار وسوف يصل بغداد ظهرا • وعند هذا ارتأى كوكس ان الاستقبال في وقت الظهر سيكون شاقا لاشتداد الحر فيه ، وقرر ان يبقى الامير في القطار عند وصوله حتى الساعة السادسة لكي يجرى الاستقبال عند المساء • فعاد المستقبلون الى بيوتهم(٧٣) • وأذاعت البلدية بيانا قالت فيه ان وصول الامير سيكون في الساعة العاشرة حسب التوقيت العربي(٧٤) •

لاندرى هل كان هذا التأخير متعمدا ام انه جرى على رسله • غير أنه على اى حال كان مفيدا للدعاية الشريفية حيث أخذ الناس يتقولون بأن التأخير سببه الانكليز لانهم لايريدون ان يجرى للامير مثل هذا الاستقبال الشعبي العظيم • واخذت الاشاعات المختلفة تروج بين الناس في هذا الشأن مما ادى الى ارتفاع مكانة الامير فيصل في نظر الناس •

جرى الاستقبال في الساعة السادسة حسبما قرره كوكس • وقد

---

(73) Lady Bell (Letters of Gertrude Bell) - London 1947 - p 489.

(٧٤) ملحق جريدة « دجلة » الصادر في ٢٩ حزيران ١٩٢١ •

قوبل الامير بحماس بالغ حيث هتفت له الجماهير في الشوارع التى مر بها، وكان هو يحييها بيده مبتسما • حتى وصل الى الدار التى اعدت له فـي داخل القشلة ، وهى الدار التى كانت مقرا للوالي فى العهد العثمانى وتقع على شاطىء دجلة ، وقد اخذت الجرائد البغدادية تسميها بـ « دار الامارة »•

كان الامير مسرورا للاستقبال العظيم الذى جرى له ولكنه كان في الوقت نفسه مغموما لموقف فيلبى والحكام السياسيين في الالوية تجاهه • فقد قيل له ان اولئك الحكام كانوا قادرين ان يجمعوا الناس لاستقباله في المحطات ، ولكنهم لم يفعلوا ، وأخذ يتسأل : هل ان المندوب السامى يقف الى جانبه ، واذا كان الامر كذلك فلماذا اتخذ الحكام السياسيون موقفـا مغايرا لموقف رئيسهم؟(٧٥) •

زارته المس بيل في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي ، فرحب بها وشكر جهودها التى بذلتها في سبيله ، وقد اكدت هى له اثناء الحديث ان المندوب السامى منحاز الى جانبه انحيازا مطلقا • وعند خروج المس بيل من عند الامير بدأت جموع المهنئين يفدون للسلام عليه ، وكان فيهم وفود الألوية • وألقيت بين يديه القصائد الشعرية كانت اولاها قصـيدة الزهاوى • وتقول المس بيل ان احمد الشيخ داود اتخذ له مقعدا عندالباب وظل كذلك في الايام التالية ، فكان ينهض كلما جاء وفد للتهنئة ليعلـن مبايعته للامير فيصل بصفته ممثل الشعب • وقد فعل ذلك خمسين مرة • وتعلق المس بيل على ذلك قائلة : ان احمد الشيخ داود أصبح اضحوكة الجميع بما يقوم به من افعال سخيفة ، وان فيصل والآخرين لايعيرونـه اقل اهتمام(٧٦) •

حرص فيصل ان يزور الكاظمية فى اليوم التالى لوصوله • ففـي

(75) Lady Bell (op. cit.) - 489

(76) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 223 - 228.

الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم ، بينما كانت الوفود لاتزال تفد للسلام عليه في القشلة ، تحرك موكبه متوجها الى الكاظمية عن طريق الكرخ • وقد جرى له في الكاظمية استقبال عظيم ، ونحرت تحت قدميه الذبائح • وبعد ان ادى زيارة المرقد المقدس خرج لزيارة السيد محمد الصدر في داره ، ثم ذهب بعدئذ لزيارة الحاج عبدالحسين الجلبي • وقد ألقيت بين يديه القصائد في كلتا الدارين(٧٧) •

وفي صباح اليوم التالي ـ وكان يوم جمعة ـ ذهب فيصل لزيارة جامع الامام أبي حنيفة في الاعظمية ، وقد جرى له من الاستقبال فيها مثلما جرى في الكاظمية • ثم ذهب بعدئذ لزيارة جامع الشيخ عبدالقادر في بغداد واداء صلاة الجمعة فيه • وكانت محلة باب الشيخ قد استعدت لاستقباله ، فنحروا الذبائح ، ونثروا الزهور ، ورشوا ماء الورد • وبعد ان ادى صلاة الجمعة توجه لزيارة دار النقيب ، فاستقبله فيها ابن النقيب الاكبر السيد محمود ، وقال يخاطبه : « أن اسرة النقيب ياسمو الامير يدك اليمنى تستعملها اينما شئت في سبيل مصلحة البلاد » • ثم تقدم تلميذ صغير فتلا قصيدة الفرزدق المشهورة : « هذا الذى تعرف البطحاء وطأته •••»(٧٨)

مصير فيلبي :

عندما كان فيلبي في رفقة الامير فيصل في الطريق بين النجف وكربلا اصيب بنوبة شديدة من الملاريا ، فنقل الى الحلة حيث مكث فيها بضعة ايام تحت المعالجة ، وجاءت اليه زوجته من بغداد لتمريضه • وفي مساء ٣ تموز عندما تم شفاؤه عاد الى بغداد• وفي صباح اليوم التالى ذهب فيلبي لمقابلة كوكس فجرت بينهما المحاورة التالية :

قال كوكس : يبدو انك لم تتماش مع فيصل جيدا ، فقد كان متذمرا

---

(٧٧) جريدة « دجلة » في عددها الصادر في ٢ تموز ١٩٢١ •
(٧٨) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ٤ تموز ١٩٢١ •

بمرارة من موقفك خلال السفرة الى هنا ، وقد صرح انه سوف لايبقى في العراق مالم يطمئن من موقف جميع الموظفين البريطانيين وتأييدهم لــــه تأييدا فعالا .

قال فيلبي : لايمكنني ان افهم كيف تتوقع ذلك مني بالنظر للاوامر الرسمية التي هي أوامرك انت ، والتي هي لاتزال قائمة من غير تبديل ، في شأن حرية الانتخاب . وانني كثيرا ماكنت اطمّن النقيب وغيره بأننــا عازمون على البر بوعودنا التي وعدناهم بها . وان فيصل قد أدرك بطبيعة الحال ان نجاحه سيكون ضعيفا اذا سار الانتخاب سيرا حرا . وقد أوضحت له ذلك بصراحة .

قال كوكس : انني اعرف انك قلت له ذلك ، لكنك تعلم الآن بصورة اكيدة ما الذي تريده الحكومة البريطانية .

قال فيلبي : انني أعرف ذلك طبعا ، كما انني ادركت ذلك منذ مدة طويلة برغم جميع التأكيدات التي بذلتها لي بخلاف ذلك . غير ان الذي لا اتمكن من فهمه هو ان الحكومة البريطانية اذا كانت تريد وتعتزم ان يكون فيصل ملكا فلماذا لاتعينه بصورة مباشرة لا التواء فيها بدلا مـــن اصرارها على مهزلة الانتخاب . وعلى اي حال فانني أشعر بانى صــرت متورطا تمام التورط بالتأكيدات التي بذلتها الى الجميع لكي يساهموا في معالجة شؤون الانتخاب .

قال كوكس : انني على علم بذلك ، لكنني لا استطيع أن افهم كيف يمكنك التوفيق بين موقفك هذا وبقائك في منصبك .

قال فيلبي : اذا كان المتوقع مني ان ادير شؤون الانتخاب فانني لست راغبا في ان ابقى في منصبي ، واذا كان في وسعك ان تعين خلفا لي فسأذهب من هنا واسلمه المنصب في الحال .

قال كوكس : شكرا فيلبي ، انني آسف ، سوف لايسمك ان تستمر على التعاون معنا •

أدرك فيلبي ان كوكس يريد منه ان يقدم استقالته • فقدمها فعلا • واختار كوكس رجلا آخر ليحل محله هو طومسون الذى كان يومئذ مستشارا لوزارة المالية(٧٩) •

وفي عصر ٥ تموز ذهبت المس بيل لزيارة فيلبي في بيته فجرت بينها وبين زوجة فيلبي محاورة حانقة • وقد قدم لنا كل من فيلبى والمس بيل وصفا لتلك المحاورة يختلف عن الوصف الآخر من بعض الوجوه • يقول فيلبي في مذكراته : ان المس بيل دخلت عليه عندما كان يتناول الشاى مع زوجته ، فقالت له : « جاك ، انني آسفة لسماع النبأ » ، وكانت تقصد من ذلك سماع نبأ استقالته ، فبادرتها زوجته بفظاظة قائلة وهى تخرج متعدية اياها الى خارج الغرفة : « كلا ، أنت غير آسفة » • وعند هذا تقدم فيلبى من المس بيل فقدم لها كوبا من الشاى ، وطيب خاطرها ، وتحدث اليها عن سروره لابتعاده عن هذا الدس القبيح(٨٠) •

اما المس بيل فتروي القصة على النحو التالي حيث قالت : « في يوم الثلاثاء ذهبت لزيارة فيلبي وزوجته لابداء اسفي عما جرى ، فحدثت محاورة مؤلمة جدا فان زوجة فيلبي انفجرت بالبكاء واتهمتني بانى انا السبب في عزل زوجها ، ثم خرجت من الغرفة • وعند هذا ذكرته بصداقتنا الطويلة ورجوته ان يعتقد انى بذلت كل جهدى لاقناعه بان اى موظف حكومى لايمكن ان ينتفع من مخالفة أوامر حكومته • فان احتضانه لقضية السيد طالب الماكر لايمكن تصديقها ، ولكنه جعل نفسه هو والسيد طالب شيئاً واحدا »(٨١) •

---

(٧٩) جون فيلبي (المصدر السابق) ــ ص ٦٣ ــ ٦٥ •

(٨٠) المصدر السابق ــ ص ٦٥ •

(81) Burgoyne (op cit.) - vol. 2, p. 224.

قضى فيلبي بعد هذا ثلاثة اشهر يتجول في ايران ، وعند عودته الى بغداد عرض عليه كوكس منصب المعتمد البريطاني في شرق الاردن بدلا من لورنس • فقبلها وسافر جوا الى عمان • ولكن فيلبي لم يغير عادته ، حيث رأيناه يختلف في الرأي مع المندوب السامي في فلسطين على منوال ما اختلف مع المندوب السامي في العراق ، وقد ادى ذلك به الى تقديم استقالته نهائيا من خدمة الحكومة البريطانية •

ذهب فيلبي بعدئذ الى جدة وفتح فيها وكالة لاستيراد السيارات وغيرها • وصار صديقا للملك عبدالعزيز بن سعود ومستشارا شخصيا له • وفي ١٩٣٠ اعلن اسلامه واطلق على نفسه اسم « الحاج عبدالله فيلبي »• غير أنه بعد موت الملك عبدالعزيز اختلف مع ابنه سعود ، وخرج من المملكة السعودية شبه مطرود • وفي ١ تشرين الاول ١٩٦٠ مات فيلبي في بيروت وهو منبوذ من الحكومة السعودية والحكومة البريطانية معا •

لم يخلف فيلبي ثروة مع قدرته على كسب الملايين ولكنه خلف كتبا رائعة في وصف رحلاته العظيمة التي قام بها في جزيرة العرب والربع الخالي • ومن الممكن القول انه كان ذا شخصية شاذة لاتخلو من عبقرية• انه أراد أن ينافس لورنس في الشهرة فتفوق عليه من بعض الوجوه !

وليمة النقيب :

في مساء ٧ تموز اقام النقيب وليمة كبرى اعتبرت في حينها بمثابة وليمة صلح بينه وبين الامير فيصل • وقد اقيمت الوليمة في دار آل النقيب المقابلة لجامع الشيخ • وكان الجامع والشوارع المؤدية اليه قد انيرت بالاضوية الزاهية ، كما ازدحم الجمهور فيها للترحيب بالامير والهتاف له• ولما وصل الامير الى الدار استقبله النقيب في رأس السلم متكئا على ساعد طبيبه الخاص ، فتعانقا على الطريقة المألوفة يمينا ويسارا ، ثم سارا متماسكين بالايدي نحو صدر القاعة حيث جلس فيصل بين المندوب السامي والنقيب •

كان اهم ماجرى فى تلك الوليمة قصيدة ألقاها معروف الرصافي مؤلفة من اربعة مقاطع تشيد باجتماع النقيب والامير، ننقل فيما يلي المقطع الرابع منها :

مد النقيب الى الامير   يد المعاضد والنصير
فليخز كل مشاغب   في القوم يلهج بالشرور
وليحي مولانا النقيب   حياة مولانا الامير

وبعد القاء هذه القصيدة استمر الرصافي يتكلم حيث قال : « أجل ايها السادة ، ماذا يريد القوم بعد اقتران هذين النيرين الكبيرين حيث طلعا بالوفاق متعانقين في سماء العراق ، متصافحين على ضفاف الرافدين . أنا أيها السادة لا اعلم رجلا اجدر من مولانا النقيب بان يمثل في أفعاله أهل العراق كافة . كيف لا وهو من قتل الدهر خُبراً بتجاربه ، وارتدى العز ضافيا بعلمه وأدبه ، وارتقى سماء السؤدد والمجد بنسبه ونشبه .. فيا ايها الامير ياصاحب السمو الملكي انما تصافحك من مولانا النقيب يد العراقيين كلهم ، وانما تضمك في هذه الليلة من هذه الدار العامرة بلاد العراق كلها.. وانت ايها النقيب المفخم سوف ترتل لك الايام شكرا جزيلا على مابذلت في سبيل مصلحتنا من المساعي الغر لجمع كلمة القوم ولم شعث الامة . فليحي صاحب السمو الملكي الامير فيصل المعظم ، وليحى مولانا النقيب المفخم ، وليحى العراقيون ، وليحى العرب » . وكانت قصيدة الرصافى وكلمته تقاطع بالتصفيق الحار مرة بعد مرة[٨٢] .

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة ان الرصافي كان صدر أمر تعيينه وكيلاً لرئيس لجنة ترقية العلوم في وزارة المعارف قبل الوليمة بأربعة أيام .

وفي ١١ تموز عندما انعقد مجلس الوزراء قدم النقيب اقتراحاً

---

(٨٢) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ٩ تموز ١٩٢١ .

يطلب فيه المناداة فوراً بفيصل ملكاً على العراق بشرط أن تكون حكومته دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون • وقد وافق المجلس على هذا القـــرار •

وقد كتبت المس بيل فيما بعد تصف التبدل الذي حدث في موقف النقيب تجاه فيصل ، حيث تحول من موقف المبغض المعادي الى موقـف المحب المناصر ، فذكرت انها زارت النقيب في بيتـه فوجدته في غايـــة الانشراح ومسروراً جداً بموقفه الجديد من فيصل • وقد تحدث اليها قائلاً : « خاتون ، انت ابنتي ، أريد أن أخبرك بكل ما يجول في خاطري • فأنا منذ مجيء السر برسي كوكس لم أفعل بخلاف نصيحته أو رغبـة الحكومة البريطانية • واني حين علمت بأن فيصل يصلح لأن يكون ملكاً ، وان الحكومة العظيمة تؤيده ، صممت أن أتجنب كل الاقاويل والاشاعات وأقوم بنفسي لأعلن ملكيته في مجلس الوزراء • فقد تساءلت في نفسي : هل استشير السر برسي كوكس ؟ فأجابني عقلي باني قد أصدرت قراري واذا خالفني السر برسي فيه فاني لا أستطيع تغييره • فانا رجل عجوز ، وليس مسؤولاً الا أمام الله • ولهذا لم استشر أحداً »[٨٣] •

والملاحظ ان النقيب لم يكتف بتبديل موقفـه من فيصل بل بـدل موقفه من الديمقراطية أيضا اذ صار يدعو اليها بعدمـا كان ينفر منهـا ويكرهها • وقد أشارت المس بيل الى ذلك في رسالة لها مؤرخة في ٢١ آب ، حيث قالت ان النقيب أصبح في هذه الايـام يدعو للديمقراطيـة • وتبدي المس بيل دهشتها من ذلك وتساءل : كيف ان النقيب الارستقراطي الاصيل يدعو للديمقراطية ؟ ! ثم تروي المس بيل في هذه المناسبة قصة طريفة جرت للنقيب في تلك الايام وخلاصتها ان شيخاً من شيوخ قبيلة

(83) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 231.

شمر زار النقيب في بيته فسأله النقيب : « هل أنت ديمقراطي ؟ » فكان جواب الشيخ : « لا والله ، أنا مو مغراطي » • ثم تساءل الشيخ عنها ما هي ؟ فقال النقيب : « زين ، أنا شيخ الديمقراطية » • • فاستدرك الشيخ ظناً منه انه كان مخطئاً في جوابه حيث قال : « دخيل الله ! اذا أنت شيخ المغراطية فانا واحد منهم ، أنا خادمك ، بس هيه شنهي ؟ » فشرح لـه النقيب الديمقراطية قائلاً : انها تعني المساواة بين الناس فليس فيها صغير أو كبير • فلم يعجب الشيخ هذا القول اذ أدرك أن الديمقراطية تعني زوال مشيخته القبلية فقال ما معنـاه : اذا كانت هذه هي المغراطية فالله يشهد اني لست منها(٨٤) •

أهم الحفلات :

ان المدة التي قضاها فيصل في العراق قبل تتويجه بلغت شهريـن ـ أي منذ ٢٣ حزيران الى ٢٣ آب ـ وقد أقيمت له خلالها حفـلات تكريمية عديدة لا يسعنا المجال استقصاءها ، انما نذكر شيئاً عن أربع منها لما لها من دلالات اجتماعية وتاريخية •

أولى تلك الحفلات هى التى أقامتها بلدية بغداد في حدائق مود التي كانت تقع في الصالحية بجانب الكرخ ، وقد جرت في مساء ٣٠ حزيران ـ أي في اليوم التالي لوصول الامير الى بغداد ـ وحضرها كوكس وزوجته والجنرال هالدين والمس بيل وكثيرون من كبار العراقيين والبريطانيين • ولوحظ ان معظم القصائد والخطب التي القيت فيها تضمنت الاشارة الى الامير فيصل باعتباره ملك العراق ومنقذه •

افتتح الحفلة عبدالمجيد الشاوي بكلمة ترحيبية ثم استأذن من الامير في تقديم ما أعده الادباء لهذه المناسبة من منظوم ومنثور • ثم وقف خليل أمين آل المفتي حيث ألقى قصيدة ختمها بالبيت التالي :

(84) Lady Bell (op. cit.) - j. 499.

قد دعوناك علينـا ملكـاً ليس نرضى عنك يوماً بدلاً

فصفق الحاضرون لهذا البيت واستعادوه ثلاث مرات ، وارتفعت الاصوات من بينهم قائلة : « قد بايعناك بالملوكية »(٨٥) . وبعد هذا قام الزهاوي فألقى قصيدته التي مطلعها :

انـا محيـــوك فاسـلم ايهـــا الملـــك

ومصطفـوك لعـــرشـ شـاءه الفلـــك

وتلاه الشيخ مطلق القطيفـي فالقى قصـيدة كان لها تأثـير خاص عـلى المدعوين ، فهو كان من خطباء المنبر الحسيني وله صوت جهوري ونغمة موسيقية . وقد وصفت المس بيل قصيدته بقولها : انها كانت طويلة جداً لم أفهم منها كلمة واحدة ولكنها مع ذلك كانت رائعة ، فقد كان الرجل يتلوها بتنغيم ، ويرفع يده الى الاعلى بين كل فترة واخرى ، وكان الظلام المخيم بين الاشجار حول الحاضرين يؤثر عليهم بما يشبه تأثـير التنويم المغناطيسي(٨٦) .

ثم ألقى محمد حسن كبة قصيدة وكلمة وصف فيها فيصـــل بأنــه « نابليون العدنانيين » و « بسمارك القحطانيين » ، وأعقبه محمد باقر الحلي بقصيدة كان مطلعها :

الشـــعب قاصيـــه معـــاً والـدانـــي

بقـــدومك الميمــــون مبتشـــران

وفي الختام ارتجل الامير كلمة شكر فيها الشعراء على قصائدهم غير أنه انتقدهم على غلوهم في مدحه ومدح أبيه باعتبار ان أباه لم يقم بثورته إلاّ من باب القيام بالواجب وقال لهم انه لا يرغب بعد الآن إلاّ في سماع كلام

(٨٥) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ٢ تموز ١٩٢١ .

(86) Lady Bell (op. cit.) - p. 490.

التشجيع على العلم والأدب ونهضة الفنون ، فقوبلت كلمته بالهتاف والتصفيق حسب العادة .

أما الحفلة الثانية التي تلت تلك في الاهمية فهى الحفلة التى اقامتها المدرسة الجعفرية في صباح ٩ تموز في دارها الواقعة في محلة سوق الغزل، وشارك فيها الزهاوى وكاظم الدجيلي وعبدالحسين الازرى وباقر الشبيبي وابراهيم ناجي المحامى . وقد ارتجل الامير في الختام كلمة شكر فيها الحاضرين واعاد فيها ماقاله فى مناسبات سابقة حيث قال :

« أقول ، والله ، والله ، والله ، ماقمت بحركة مؤملا غاية دنيوية او راجيا شيئاً ماديا ، ولا عملت طلبا لفخر او مقام و مركز ، كلا لم اقم أنا ولم يقم والدى ولا احد من افراد اسرتي بعمل من اعمال النهضة ولهم مطمع في شيء ، بل انما قمنا بأعمالنا ابتغاء لوجه الله الكريم ليس الا .. أقسم بشرفي وتربة اجدادى لولا الالحاح من اكثر اصدقائي ومجموع الامة العراقية لما خطر ببالي أن آتي العراق ... ».

وعند هذا قام احمد الشيخ داود فقال يخاطب الامير : « انت الرئيس المفدى الذى التفت حوله القلوب ، ولا نرضى بغيرك » . ثم التفت نحو الواقفين وخاطبهم : « أتبايعون رجلا بالملوكية غير سمو الامير فيصل المعظم ؟ » فأجابوه بأصوات عالية : « كلا ثم كلا ، لقد بايعنا فيصل بالملوكية ولا نريد غيره » . وانطلقت عندئذ عشرات الهتافات ..(٨٧) .

ومن الجدير بالذكر انه بعد مرور يومين على هذه الحفلة خرجت جريدة « دجلة » وهى تتهكم على موقف احمد الشيخ داود فيها ، حيث قالت عنه أنه صرخ في الحاضرين يسألهم : هل تريدون غير سمو الامير ملكا على العراق ، ثم التفت نحو الامير قائلا : « انهم بايعوك »(٨٨) . وكانت

---

(٨٧) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ١١ تموز ١٩٢١

(٨٨) جريدة « دجلة » في عددها الصادر في ١١ تموز ١٩٢١ .

الجريدة تقصد من ذلك أن الحاضرين لم يجيبوا بشيء على سؤاله بل هو الذى اجاب بالموافقة من تلقاء نفسه • وقد نشر سلمان الشيخ داود في جريدة « العراق » ينتقد جريدة « دجلة » على ذلك ويقول انها خالفت الحقيقة فيما ذكرته عن ابيه ورجا منها ان تكون اكثر تبصرا فيما تنشر • وعلقت جريدة « العراق » على ذلك قائلة : بأن رسائل استياء عديدة وصلتها حول هذا الموضوع[٨٩] •

أما الحفلة الثالثة فهي الحفلة التى اقامها اليهود ببغداد فى صباح ١٨ تموز ، وقد قدم فيها رئيس الحاخامين الى الامير نسخة مذهبة من التوراة ومعها لوح ثمين كتبت عليه عبارة من التوراة هى : « بارك يارب قوته ، وارتضى بعمل يديه ، وحطم متون مقاوميه ومبغضيه حتى لايقوموا » • فتسلم الامير النسخة وقبلها وشكر مقدمها • ثم ألقى سليم افندى معاون رئيس الحاخامين كلمة ترحيبية ، وقام بعده فتى اسمه أنور شاؤول فألقى قصيدة • ثم نهض الزهاوي فألقى أبياتا وكلمة فلسفية في ضرورة الاتحاد بين البشر • وبعد هذا أخرجت التوراة الاصلية من موضعها وهى لاتخرج الا للملوك والعظماء • وفى الختام ارتجل الامير كلمة قال فيها : انى لاأريد ان اسمع كلمة مسلمين ومسيحين واسرائيلين ، فالعراق وطن القومية ، وليس فيه سوى أمر واحد هو أن يقال عراقيون فقط[٩٠] •

ولم تسكت جريدة « دجلة » عن هذا القول الذى فاه به فيصل في وجوب عدم التمييز بين المسلمين وغيرهم ، فقد نشرتها بشكل مثير للرأى العام مما أدى الى استياء بعض القراء على نحو ما حدث حول حفلة الجعفرية • والظاهر ان هذه الجريدة ظلت مثابرة على طريقتها في الاساءة الى الامير فيصل وانصاره ، فكانت تتحين الفرص لها بكل وسيلة ممكنة •

---

(٨٩) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ١٣ تموز ١٩٢١ .

(٩٠) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ١٦ تموز ١٩٢١ .

أما الحفلة الرابعة فهى التى اقامها علي السليمان شيخ مشايخ الدليم في ٢٥ تموز على الشاطىء الايمن من الفرات بين الفلوجة والرمادى • وكانت هذه الحفلة ذات دلالة خاصة لانها كانت ذات طابع بدوى الى حدماء ويقال ان الانكليز هم الذين دبروها لكي يثبتوا للامير انهم حلقة الوصل بينه وبين القبائل(٩١) •

أعطتنا المس بيل وصفا لتلك الحفلة في احدى رسائلها ، وكانت هى قد حضرتها بصحبة فخرى الجميل ، فقالت ان علي السليمان نصب خيمة كبيرة بلغ طولها نحو مائتي قدم ، وأعد منصة في طرف منها فوقها منضدة وكراسي ، فجلس الامير بملابسه العربية على كرسى وراء المنضدة وجلس فهد الهذال شيخ مشايخ عنزة على يمينه ، بينما جلس مابين اربعمائة وخمسمائة رجل من افراد القبائل في صفوف متراصة على الارض• وأخذ الامير يخاطب الحاضرين بلهجته الحجازية ، فقال لهم : انه منذ أربع سنوات لم يجد نفسه في مكان مثل هذا المكان أو صحبة مثل هذه الصحبة • ثم تكلم عن مستقبل العراق وكيف انه سينهض بجهودهم تحت رئاسته ، وسألهم : « ايها العربان ، هل انتم متسالمون فيما بينكم ؟ » فأجابوه بصوت مرتفع : « نعم ، نعم ، نحن متسالمون » • وعند هذا قال فيصل : « ابتداء من هذا اليوم » وتوقف لحظة ليسأل عن تاريخ اليوم والساعة ولما أجابه أحد الحاضرين به حسب التقويم الهجرى والساعة الغروبية استأنف كلامه : « من هذا اليوم ، ١٩ ذي القعدة ، ومن هذه الساعة ، الرابعة صباحاء ان أي رجل يرفع يده على رجل آخر هو مسؤول أمامى فانى سوف أقضي بينكم في مجالس يحضرها شيوخكم ، وهذا حقي عليكم أنا ولي أمركم »• وهنا قاطعه رجل منهم كبير السن قائلا « وحقوقنا ، أليس لنا حقوق ؟ » • فأجابه فيصل : « نعم لكم حقوقكم كرعية ومن واجبى أن أحافظ عليها » • وهكذا استمر فيصل في كلامه ، وكان الحاضرون يؤيدونه على مايقول :

---

(٩١) أمين الريحانى (المصدر السابق) ــ ص ٩١ــ٩٣ •

« نعم ، نعم ، نوافق ، نعم ، والله » • وعندما انتهى من كلامه قـام علي السليمان وفهد الهذال كل من جانب وقالا له : « نحن نبايعك لان الحكومة البريطانية قبلت بك » ، ففوجىء فيصل بهذا القول ، والتفت نحو المس بيل مبتسما ثم قال : « ان علاقتي مع الانكليز معروفة لاشك فيها • ولكننا يجب أن نسوي أمورنا فيما بيننا » • والتفت فيصل نحو المس بيل مرة اخرى ، فرفعت هي يديها مضموتين الواحدة على الاخرى دلالة على الاتحاد بين العرب والحكومة البريطانية•••[٩٢]

التنافس على الولائم :

أصبح الامير فيصل فى تلك المدة التى قضاها قبل تتويجه غارقا فـي طوفان عارم من الاماديح والتزلفات التى لانهاية لها • فقد انثال الناس عليه من كل جانب ، كل منهم يطلب الحظوة لديه بما يتفوه به من معسـول الكلام • وكان للشعراء القدح المعلى في ذلك كما هو شأنهم في مثل هذه المناسبات • ولعلني لااغالي اذا قلت ان السيد طالب لو كان هو المرشـح لعرش العراق بدلا من فيصل لاقبل الناس يتزلفون اليه على نحو ما يفعلون الآن مع فيصل •

كان من مظاهر هذا الطوفان اقامة الولائم الخاصة من قبل وجهاء المدن ورؤساء العشائر ، فكان كل واحد منهم يحب أن ينال الجاه بدعـوة الامير الى بيته ، وقد صار الامـير لهذا في حيرة من أمـره لايدري مـاذا يفعل ، فاذا قبل دعوة احد منهم غضب الآخرون عليه • وكانت تلك مشكلة اقضت مضجعه •

لكي يطلع القارىء على صورة من هذه المشكلة أذكر له قصة وليمة من تلك الولائم الكثيرة التى اقيمت لفيصل ، وهى وليمة السيد جعفر عطيفة رئيس بلدية الكاظمية • فقدكان هذا الرجل قوي الصلة بالانكليز منـذ بداية احتلالهم بغداد ، وكان يكثر من الاحتفاء بهم واقامة الولائم لهـم

(92) Lady Bell (op. cit.) - p. 495 - 497.

ويقف في خدمتهم كلما جاؤوا الى الكاظمية • • وكانت له في الوقت نفسه منافسة على رئاسة البلدة مع الحاج عبدالحسين الجلبي ، وقد ساءه أن يذهب الامير فيصل الى بيت الجلبي دون ان يأتي الى بيته •

تقول المس بيل في رسالة لها : ان السيد جعفر عطيفة جاء يشكو اليها قائلا بان شرفه قد أنكسر لأن الامير زار الكاظمية مرتين دون ان يقترب من بيته • وتصف المس بيل في رسالتها السيد جعفر بأنه خدم الانكليز ووقف الى جانبهم بشجاعة حتى صار عرضة لعداء المتعصبين ، ولهذا فانها قالت له عندما جاءها شاكيا : « ولا يهمك ، اذهب الى فيصل وادعه لتناول الشاي في بيتك وانا سوف أدعو المندوب السامي والقائد العام ••»[٩٣]

استعد السيد جعفر لإقامة الدعوة بكل مايقدر عليه ، وكان رجلا واسع الثراء ، وقيل انه انفق عليها ما يقارب الستين ألف روبية وهو مبلغ عظيم في تلك الايام • وقد كلف رجلا ارمنيا مشهورا بصنع الحلوى ببغداد ان يصنع له من الحلويات مالا مثيل له ، وكان مقدار مادفعه للارمني في ذلك ثلاثة آلاف روبية • وتصف المس بيل في رسالتها المائدة التي اعدت في ذلك اليوم فقالت : انها لم تشهد في حياتها مائدة تحتوي على مثل هذه الكثرة من الحلويات والفواكه[٩٤] •

جرت الدعوة في عصر الثلاثاء ١٦ آب ، وعند انتهاء المدعوين من تناول الشاي قدم السيد جعفر الى الامير هدايا لاتقدر بثمن كان من بينها سجادتان عليها رسم أحمد شاه ، وساعة أثرية مذهبة ذات اربع عقارب ، وخاتم ذو فص من الزبرجد النادر، وجبتان مبطنتان بالفرو الثمين• ولم ينس السيد جعفر ان يقدم الى كوكس وهالدين والمس بيل هدايا ثمينة • وقد اشيع في حينه ان السيد جعفر انما فعل كل ذلك نكاية بالجلبي •

---

(93) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 286.

(94) Loc. cit.

الفصل الثالث

فيصل ملكاً

قبل وصول فيصل الى العراق كان الانكليز لايدرون هل سينجح في نيل رضا العراقيين أم لا، انهم كانوا كالوالد الذى يرسل ابنه الى الامتحان وهو يرقبه عن كثب ليرى هل سينجح في الامتحان ام يرسب .

ولم تمض أيام قليلة على وصول فيصل الى العراق حتى تأكد الانكليز من نجاحه . قالت المس بيل في رسالة لها مؤرخة في ٧ تموز : « ان شخصية فيصل اجتازت ثلاثة ارباع الطريق »[1] . ويذكر غريفز الاسباب التى ساعدت فيصل على النجاح وهي : انه كان حسن الصورة مهذبا وقورا ، وكانت خطبه تثير الاعجاب في الشكل والمحتوى ، كما كانت انجازاتـــه وسلوكه في الحرب دليلا على شجاعته وقوة عزمه[2] .

والواقع ان فيصل كانت له قدرة على اجتذاب قلوب الناس اليه ، وكانت له لهجة في الحديث حجازية وهي لهجة محببة الى العراقيين . واذا تكلم فى اجتماع كان كلامه مباشرا لاحذلقة فيه ولا تصنع . أضف الى ذلك انه كان يحدث كل فئة من الناس بما يلائمها ، وقد ظن الكثير من الشيعة انه منهم لكثرة ماكان يشير في خطبه الى مناقب الائمة من اهل البيت ويصفهم بأنهم أجداده ويقسم بتربتهم . يروي توماس ليل انـه سـأل عبدالواحد الحاج سكر : كيف جاز له وهو الرجل الشيعى المتدين ان يطالب بفيصل ملكا مع أنه سني . فأجابه عبدالواحد قائلا : « ولكنه في أعماق قلبه شيعى »[3] . ويحكى ان جماعة من شيوخ الفرات الاوسط

---

(1) Lady Bell (Letters of Gertrude Bell) - London 1947 - p. 491.

(2) Graves (Sir Percy Cox) - London, Second Impression - p. 290.

(3) Thomas Lyell (Ins And outs of Mesopotamia) London 1923 - p. 206.

كانوا في زيارة لفيصل فسأله أحدهم : « يرحم أبوك يامحفوظ ، هل أنت شيعي أم سني ؟ » فأطرق فيصل قليلا وأخذ يتحسس لحيته بيده ثم قائلا : « هل يجوز للانسان أن يترك أمه ويلزم زوجة أبيه » .

يقول امين الريحاني : ان فيصل كان يخص كل فريق من الناس وكل وفد من الوفود بكلمة توحيها اليه تقاليدهم ونزعاتهم السياسية والدينية ، فكان يناشد الشيعة بوحدة الاسلام والاخاء الاسلامي ، ويتلو على اهل السنة من صفحات العباسيين الذهبية ، ويذكرهم بالرشيد والمأمون ، وما كان للعرب من فضل على الاوربيين ، وكان يصرح ويؤكد للاقليات أنه مقيم على مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين الرعية على اختلاف المذاهب الدينية...(٤) .

فيصل والخالصي :

أهم نجاح حققه فيصل في هذا السبيل حصوله على بيعة المجتهد الكبير الشيخ مهدى الخالصي في الكاظمية . فقد كان الشيخ مهدى الخالصى يمقت العائلة الهاشمية لوقوفها في الحرب الى جانب الانكليز الكفار . وكان ولده الاكبر الشيخ محمد أكثر مقتا للعائلة الهاشمية منه . وحين جاء فيصل الى العراق أخذ يبذل جهده في التقرب الى الشيخ مهدى والتحبب اليه . ولكن الشيخ محمد كان يبذل جهده من جانبه في مقاومة هذا التقرب والتحبب بين فيصل وأبيه . وقد استطاع فيصل أخيرا ان ينال رضا الشيخ مهدى ويحصل على بيعته . ننقل فيما يلي شيئاً مما كتبه الشيخ محمد فى مذكراته عن هذا الموضوع . وهذا نصه :

« ... كان فيصل قد علم أنه لاتتم له بيعة في العراق مالم يبايعه أبي. ومن يعرف فيصلا يعلم أنه مجسمة الخداع والتزوير غير محسود عليهما

---

(٤) امين الريحانى (فيصل الاول) ـ بيروت ١٩٥٨ ـ ص ٩٠ .

ولا محمود بهاتين الصفتين • فتظاهر بمظهر ديني ملؤه الاخلاص للاسلام والمسلمين وزار والدى مرارا فى مدرستنا فى الكاظمية بزي عرب الحجاز يحمل قطعة من ستار الكعبة مكتوبا عليها آية الكرسى بالذهب ، مظهرا أنه لاغاية له الا نشر تعاليم القرآن وتأييد الكعبة وتخليص البلاد الاسلامية من تسلط الاجانب ، وأهدى تلك القطعة الى أبي ، وخلا به في احدى زياراته له وأظهر أنه انما جاء العراق لينقذه من الانكليز وان عمله لايتم الابموافقة أبي وبيعته له ، فان بايع والا اضطر فيصل الى الرجوع من حيث أتى • فقال له أبي : يمكن ان نبايعك على ان تكون ملكا على العراق مستقلا منقطعا عن أي سلطة اجنبية بأي اسم كان بحيث لايشوب استقلال العراق أي شائبة مهما كانت ، فان تم ذلك بقيت في العراق ملكا والا انصرفت وتركت العراقيين والانكليز حتى يأخذوا حقهم ويبلغوا غايتهم • فقال فيصل لأبى: اني أبايعك على هذا الشرط • فأحضر القرآن الكريم بينهما تيمنا وتبركا ، وبايع فيصل أبي على أن يطيع أمره في انقاذ العراقيين من الانكليز وتحصيل الاستقلال التام الناجز الذى لاتشوبه أي شائبة مهما كان اسمها ورسمها ، فاذا لم يستطع ذلك فارق العراق لاول اشارة تصدر من أبي، وترك العراقيين وشأنهم • بايع فيصل هذه البيعة واشهد الله تعالى على ذلك، وبايعه أبي على هذا الشرط • هذا ماكان بينهما سرا • ولما أراد الانصراف أخذ بيدى وقال : هلم لنعمل معاً ونسعى متفقين في استنقاذ العراق وحفظ استقلاله وانى مستعد لاجراء اى عمل ينفع البلاد فما يمنعك من الموافقة ؟ فلم أجبه بشيء لأني ماكنت أحب أن أفاجئه بما يكره في دارنا ، وما كنت لأقره بغير الحق • فانصرف وشايعته الى باب المدرسة كارها ، وعدت الى والدى وقلت له : ان هذا الرجل أول من شق عصا المسلمين وأعان عليهم اعداءهم ••• فكيف يصح قبوله والبيعة له بالامارة ؟ وما هى وسيلة الاطمئنان من هذا الرجل مع سوابق السوء منه ضد المسلمين وان اشترط ألف شرط في ذلك،

وبماذا نلزمه بالوفاء اذا تخلف عن هذه الشرائط بعد أن يتسلط على العراق ؟ ولقد أخبرني بعض خاصته (مولود باشا مخلص) انه كان في سوريا يخذل السوريين ويسعى في اخضاعهم للفرنسويين بكل ما يتمكن ، لكن السوريين لم يطيعوه ، فعلم الفرنسيون انه لايفيدهم شيئاً في سوريا ولا يستطيع التأثير على السوريين واسكاتهم ، فطردوه بعد يأسهم من فائدته ... وان هذا الرجل صنيعة الانكليز وعاملهم وأجيرهم ضد المسلمين من أول الحرب العالمية الى هذا اليوم فكيف يصح الاعتماد عليه وتسليم العراق له ؟ فلما سمع أبي ذلك تلا قوله تعالى : (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً) ، وقال يجوز أن يكون الانكليز قد اتخذوا آل الشريف لمصالحهم فيجعل الله من آل الشريف أنصاراً للمسلمين اعداءاً للانكليز . فقلت في نفسي : (والذي خبث لا يخرج الا نكدا) . ولم أكن أجرأ على مكالمة والدي اكثر من ذلك ، ولما انفض الاجتماع دعاني أبي الى الدار وقال: أتحسب أنك تعلم مالم أعلمه انا !؟ ان فيصلا فوق ماذكرت ولكني خشيت أن يبايعه الناس بيعة مجملة ولا قوة لنا على طرده فيذهب حق العراقيين بامضائهم صك العبودية جهلا ولو باسم فيصل ، فأردت أن اعلم الناس كيف يبايعون ليبقى حق العراق محفوظا متى طالب العراقيون به ....»[٥]

ويضيف الشيخ محمد الى ذلك : ان فهمي المدرس جاء الى والده مرسلا من فيصل يطلب منه أن يكتب بيعته لتنشر على الناس . وقد عارض الشيخ محمد كتابة البيعة ولكن والده أصر على كتابتها . وبعد الانتهاء منها أخذها فهمي المدرس ، فنشرت في الجرائد في اليوم التالي كما نشرت على حدة في منشور خاص . وفيما يلي نص البيعة نقلا عن جريدة العراق :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي .

الحمد لله الذي نشر لواء الحق على رؤوس الخلق ، فأيدهم بالنصر

---

(٥) نقلا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة .

برئاسة من حاز الشرف والفخر ، الملك المطاع ، الواجب له علينا الاتباع ، الملك المبجل ، عظمة مليكنا فيصل الاول دامت شوكته ، نجل جلالة الملك حسين الاول دامت دولته ، فاحكموا بيعته ، وأبرموا طاعته ، واهتفوا باسمه، مذعنين لحكمه ، ونحن ممن قد اقتفى هذا الأثر ، وبايعه في السر والجهر، على ان يكون ملكا على العراق ، مقيدا بمجلس نيابي ، منقطعا عن سلطة الغير ، مستقلا معه بالامر والنهي ، ولله الأمر •

٧ ذي القعدة ١٩٣٩

الراجي عفو ربه
محمد مهدي الكاظمي
عفي عنه(٦)

بيعة أهل الاعظمية :

من الجدير بالذكر ان أول بيعة مسجلة اعلنت في العراق لفيصل هي بيعة أهل الاعظمية ، وهي جرت في ١١ تموز ، وذلك قبل بيعة الخالصي بيومين • وقد نشرت جريدة العراق تفصيلا عنها نقلا عن مكاتبها فيالاعظمية بالعنوان التالي : « مبايعة أهل الاعظمية لسمو الامير فيصل بملوكية العراق ـ أول بيعة صدرت » •

ذكرت الجريدة ان اجتماعا كبيرا عقد هناك من اجل البيعة في قصر ناجي الخضيري بناء على دعوة من رئيس البلدية علي ظريف الاعظمي وحضره وجهاء البلدة ورؤساء العشائر المحيطة بها ، وهم بني ركاب والسواكن والبومفرج وبني عمير وألبو محلة وعشيرة الهيب والجلاعطة والنداوات • وقد افتتح الاجتماع بتلاوة آى من الذكر الحكيم ، ثم قام عبدالهادي الاعظمي وقال ان سباقا يجري بين الناس لمبايعة الامير فيصل بالملوكية ويجب ان يكون أهل الاعظمية السابقين لغيرهم في هذه المبايعة ، وختم كلمته بالهتاف بحياة الملك فيصل الاول وحياة الاستقلال ، فردد

---

(٦) جريدة « العراق » في عددها الصادر في ١٦ تموز ١٩٢١ •

الحاضرون هتافه . ثم قام رئيس البلدية يسألهم في أمر البيعة فأجابه الحاضرون بالموافقة وأنهم لا يتخلف منهم أحد ، وناداهم : « هل بايعتم ؟ » فأجابوه بصوت واحد : « نعم بايعنا » وناداهم مرة أخرى : « هل فيكم مخالف ؟ » فقالوا : « كلا ثم كلا ثم كلا ! » . وقرر الحاضرون توقيع ثلاث مضابط أنابوا فيها رئيس البلدية للذهاب الى الامير فيصل ومبايعته عنهم . وعند هذا تلا المقرىء قوله تعالى : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله . يد الله فوق ايديهم . فمن نكث فانما ينكث على نفسه . ومن عاهد الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » . وألقى الملا نعمان الاعظمى دعاءاً تضرع فيه الى الله ان يؤيد الأمة بتوفيقاته الصمدانية . وهتف الجميع « فليحى سلطان العراق فيصل المعظم ، فليعش الاستقلال » .

وفي مساء اليوم التالي عقد اليهود الساكنون في الاعظمية اجتماعا خاصا بهم في قصر يعقوب الجوهرى ، وجرى في هذا الاجتماع مثلما جرى بالامس في اجتماع المسلمين ، ونادوا جميعا بمبايعة الامير فيصل ، ونظموا مضبطة أنابوا فيها يعقوب الجوهرى ونسيم يامين للذهاب الى الامير مع رئيس البلدية لاجل مبايعته عنهم[٧] .

الطريقة المضمونة :

كان لدى بعض الوطنيين المتحمسين رغبة في ان يعلنوا الامير فيصل ملكا في الحال دون حاجة الى استفتاء الشعب . ولكن فيصل لم يكن راغبا في ذلك ، كما كان كوكس غير راغب أيضا . يقول غريفز : « ان كوكس وفيصل كانا معا يعارضان أية محاولة من الوطنيين المتطرفين في استعجال التتويج فقد كان كل منهما يشعر بأن ملك العراق يجب أن لايكون مدينا في عرشه الى عملية استحواذ غير دستورية من قبل حزب معين ، بل يجب أن يكون تتويجه بارادة من الشعب وبطريقة دستورية . وقد شعر كل

---

(٧) جريدة العراق في عددها الصادر في ١٣ تموز ١٩٢١ .

منهما أن تتويج ملك عن طريق حزب معين يجعله عرضة لان يكون اسيرا سياسيا بين يدي ذلك الحزب الذى ساعده في سرعة الوصول. وكان كوكس يشعر بالاضافة الى ذلك أن الحكومة البريطانية التي سهلت الامور لفيصل تستحق ان تتمتع ببعض ثمرات نجاحها »[٨] .

كان الاتجاه السائد في ذلك الحين ان يقوم مجلس تأسيسي منتخب بترشيح فيصل وتتويجه على منوال ما جرى في سوريا . ولكن ذلك يستغرق وقتا طويلا ، وهو مع ذلك غير مضمون ، وقد كانت التجربة التي وقعت في سوريا غير مشجعة لما اعتورها من حماس واندفاع شعبي متطرف .

اهتدى كوكس اخيرا الى الطريقة الملائمة وهي طريقة تنظيم « المضابط » وتوقيع الناس عليها . ويقال ان ناجي السويدي هو الذى هداه اليها[٩] . وليس من المستبعد ان يكون السويدى قد استوحى الفكرة من أهل الاعظمية وهم الذين نظموا اول مضبطة في بيعة فيصل على نحو ما ذكرناه آنفا .

وفحوى هذه الطريقة ان يدعى الوجهاء والرؤساء في كل ناحية من نواحي العراق ، او مدينة ، الى اجتماع في مكان معين ، فاذا تم الاجتماع نهض احد المسؤولين ليتكلم عن الغرض من الاجتماع ويذكر مناقب الامير فيصل وأهليته لتولي الملك ، ثم يسأل الحاضرين : هل من معارض ؟ فيجيبونه : لا ، لا . ثم يسألهم : هل توافقون ؟ فيقولون : نعم ، نعم . وعند هذا يعرض عليهم ورقة المضبطة ، وهي مطبوعة ومعدة سلفا ، فيوقعون عليها . وينتهي الاجتماع حسب المرام إذ يعتبر ذلك بيعة من جميع السكان للامير فيصل بالملك .

---

(8) Graves (op. cit.) - p. 299 - 300.

(٩) خيري العمري (حكايات سياسية) ـ القاهرة ١٩٦٩ ـ ص ٨٥ .

بدأت عملية تنظيم المضابط والتوقيع عليها في أواخر تموز ، وانتهت في ٦ آب • وجرت في الغالب حسبما كان متوقعا لها ، حيث أقبل الرؤساء والوجهاء في معظم مناطق العراق على توقيع المضابط التى قدمت لهم بلا معارضة • ولم يشذ عن ذلك سوى قليل منهم ــ كما سنأتي اليه •

وتروى في هذا الصدد قصة طريفة لها دلالتها ، هي ان مدير ناحية طاووق من لواء كركوك كان قد تلقى أمراً بتنظيم مضبطة لبيعة فيصل ولكنه سمع بعد قليل ان الانكليز عدلوا عن ترشيح فيصل ، فاحتار المدير في أمره، ولم تكن وسائل المخابرات البرقية والتلفونية يومئذ ميسورة ، فلجـأ الى تنظيم مضبطتين احداهما بقبول فيصل ، والثانية برفضه • وقد وقع الاهالي على المضبطتين معا ، وذهب بهما المدير الى مستشار اللواء الكابتن مر • وحين سأله المستشار « اين المضبطة ؟ » أجابه : « ايهما تريد ؟ » وعرض عليه المضبطتين ، فأخذهما المستشار كلتيهما[10] •

الواقع ان هذه القصة ليست غريبة في عرف تلك الايام بالنظر الى ما اعتاد عليه الوجهاء والرؤساء في العراق من فعل اى شيء يريده الحكام منهم• ومن الطريف أن ننقل هنا ما ذكره غريفز عن جماعة من شيوخ العمارة انهم حين سألهم كوكس عقب مؤتمر القاهرة عن نوع الحكم الذى يطلبونه أجابوا قائلين : « الله والينا ، محمد نبينا ، كوكس حاكمنا »[11] •

حركة للمعارضة :

جرت عملية تنظيم المضابط في العراق حسب المرام ــ كما اشرنا اليه آنفا • ولم يقع ما يخالف المرام فيها الا في بغداد • ويقول غريفز ان فتوى الخالصي كان لها بعض الأثر في اثارة روح المعارضة هنالك[12] •

---

(١٠) عبدالرزاق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية) ــ صيدا ١٩٦٥ ــ ج١ ص ٤٣ •

(11) Graves (op. cit.) - p. 301.

(12) Ibid, p. 300.

كان اجتماع بغداد قد جرى في سينما رويال في ٢٨ تموز • وحين قام متصرف بغداد رشيد الخوجة يطلب من الحاضرين الموافقة على المناداة بفيصل ملكا انبرى له أحدهم قائلا : « اننا موافقون متفقون على المناداة بسمو الامير فيصل ملكا على العراق الا اننا نريد أن نضع بعض الشروط » وعند هذا ارتفعت الاصوات من انحاء القاعة : نعم ، نعم • وضجت القاعة بالتصفيق • وبعد المداولة تقرر اضافة بعض العبارات على صيغة المضبطة وهي ان تكون الحكومة « مستقلة مجردة من كل قيد ومنقطعة عن سلطة الغير » ، وأن يكون أول عمل يقوم به الملك فيصل هو « تأليف وجمع المؤتمر العام الذي يسن القوانين والدستور خلال ثلاثة أشهر من حين تسلمه زمام الامور »(١٣) • ويقال ان هذه العبارات أثارت غضب كوكس وجعلته يحقد على رشيد الخوجة ، وقد أدت أخيرا الى اقالته من منصبه(١٤) •

ومن الجدير بالذكر ان السيد محمد الصدر قد حاول القيام بمثل هذه الحركة في الكاظمية ولكن فيصل منعه منها • فقد دعا الصدر الى بيته في احدى الليالي عددا كبيرا من الوجهاء ورجال الدين بغية التوقيع على مضبطة يبايعون فيها فيصل مع النص على رفض الانتداب البريطاني • وبينما كان المدعوون مجتمعين في بيت الصدر ، ذهب رجل معروف من أهل الكاظمية الى فيصل ، فأيقظه من نومه ، وأخبره ان مؤامرة تحاك ضده في الكاظمية• فأرسل الملك أحد مرافقيه الى الصدر يستدعيه اليه • وهنا نترك المس بيل تحدثنا عما جرى من حديث بينهما حسبما ذكرته في رسالة لها مؤرخة في ٢٧ تموز ، فهي تقول في ذلك ما نصه :

---

(١٣) حسين جميل (من التراث الديمقراطي في العراق) ـ مجلة «الهلال» ـ في عددها الصادر في شهر كانون الاول ١٩٦٦ .

(١٤) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ج١ ص٥١ .

« ان جماعة المتطرفين بذلوا جهدا يائسا لاستبدال الصيغة الرسمية للبيعة بصيغة اخرى تتضمن الرفض التام للتحكم البريطاني فأستدعى فيصل محمد الصدر الذي كان أساس الحركة وأعطاه انذارا واضحا قائلا له : انه الآن الملك من الناحية العملية وأنه لايتحمل أي عمل سخيف ، وان كل من يقلق الرأى العام سوف يلقى جزاءه ....»(١٥) .

ان حركة المعارضة هذه التى جرت فى بغداد والكاظمية اثارت انزعاج كوكس وجعلته يوعز الى المسؤولين في الالوية بأن يشجعوا الاهالى على اضافة فقرات على المضابط يطلبون فيها الانتداب البريطاني . فقد عثرت من بين وثائق البلاط الملكي على رسالة شخصية مؤرخة في يوم ٢٥ ذى القعدة ١٣٣٩ هـ - وهو يوافق ٣١ تموز ١٩٢١ م - مرسلة من الديوانية من رجل اسمه عبدالمجيد فؤاد زادة الى يوسف السويدى ، يقول فيها : ان الوطنيين في الديوانية يريدون الاقتداء ببيعة حجة الاسلام الخالصى ولكن المستشار البريطانى وأعوانه من الوجهاء والرؤساء يبذلون كل جهدهم لتبديل المضابط واشتراط الوصاية البريطانية فيها . وقد ذكر صاحب الرسالة نص البيعة التى حاول هؤلاء فرضها على الاهالي وهى : « ابايع الامير فيصل بان يكون ملكا على العراق تحت وصاية الانكليز » . ويقول ان هذه الفقرة يجب ان يكتبها كل شخص فوق توقيعه والا طردوه(١٦) .

نتائج المضابط :

في ١٩ آب كانت جميع الالوية قد ارسلت الى بغداد مضابطها التى تم التوقيع عليها ما عدا لواءالمنتفك . وفيما يلي خلاصة لما ورد فى تلك المضابط حسب الالوية .

لواء بغداد : صدرت منه ١٥٧ مضبطة وهى كلها تبايع الامير فيصل ،

(15) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2, p. 230.

(١٦) من وثائق البلاط الملكى - رقم الاضبارة ك/١١ ، رقم الوثيقة ١٦٥ .

ولكن ٦٨ منها تطالب ان يكون منقطعا عن سلطة الغير ، وان ينعقد المؤتمر الوطني الذي يمثل الشعب خلال ثلاثة اشهر •

لواء البصرة : صدرت منه ٤٧ مضبطة كلها تبايع فيصل . ولـــكن معظم الموقعين عليها رفضوا في البداية التوقيع قبل أن يعرفوا مصير فكرة الانفصال التي دعوا اليها من قبل ويتأكدوا من استمرار الانتداب البريطاني•

لواء الموصل : صدرت منه ٦٨ مضبطة حتى الآن وهي كلها مؤيدة لفيصل ، ولكن ٦ منها اصرت على حماية حقوق الاكراد والاقليات الاخرى، و ٧ منها اشترطت استمرار الانتداب البريطاني بالاضافة الى حماية حقوق الاقليات ، و ١٠ منها ذكرت شروطا اخرى بخصوص اللغة الكـــردية وغيرها • ولا تزال هناك مضابط أخرى في الطريق •

لواء كركوك : صدرت منه ٢٠ مضبطة مؤيدة لفيصل . و ٢١ رافضة له • وان المضابط المؤيدة جاءت كلها من منطقة أربيل التي كانت تابعة للواء كركوك في ذلك الحين • وهناك مضابط أخرى لم تصل بعد •

لواء الدليم : صدرت منه ٣٦ مضبطة كلها تبايع فيصل ، ولـــكن ١٦ منها تشترط عليه ان يقبل بالاشراف البريطاني •

لواء الحلة : صدرت منه ٤١ مضبطة كلها تبايع فيصل ، ولكن ١٣ منها تعلن بصراحة انه مقبول على شرط استمرار الانتداب البريطاني •

لواء كربلاء : صدرت منه ٢٨ مضبطة وهي كلها تبايع فيصل وخالية من اي شرط •

لواء ديالى : صدرت منه ٤١ مضبطة وهي كلها تبايع فيصل وخالية من أي شرط(١٧) •

التتويج :

في أواسط شهر آب بعد ان اطمأن فيصل من نتائج المضابط وايقن ان تتويجه سيتم قريبا عمد الى استئجار دار لسكناه خاصة به • وقد وجد

(17) Atiyyah (IRAQ) — Beirut 1973 - p. 392.

دارا مناسبة تعود لرجل يهودى اسمه شعشوع ، وتقع على شاطى النهر في منتصف الطريق بين بغداد والاعظمية ، وهى التى عرفت بين الناس باسم « قصر شعشوع » . فانتقل اليها فيصل مع الاحتفاظ بمقره الرسـمى في القشلة(١٨) .

تقول المس بيل : انها زارت فيصل في داره الجديدة عند الغروب في ١٥ آب ، فكان هو ومرافقوه جالسين على سطح الدار ، وكان منظر النهر والبساتين خلفه رائعا فتسبط الملك معها وقال لها : « انت عراقية ، انت بدوية.. »(١٩) .

لم يستمر انشراح فيصل واطمئنانه ، فبعد فترة قصيرة جدا وردت برقية من تشرتشيل يقول فيها ان فيصل يجب ان يعلن فى خطبة التتويج ان السلطة النهائية هى بيد المندوب السامى . فاحتج فيصل مصرحا بان الاتفاق الذى تم معه في لندن لا يتضمن ذلك ، وان من الواجب أن تصان كرامته ويظهر أمام الناس بمظهر الملك المستقل ، والا فأنه لايستطيع ان يكسب الى جانبه الوطنيين المتطرفين(٢٠) . وقد أظهر كوكس شيئا من التردد تجاه هذا الموقف ولكن المس بيل اقنعته قائلة ان ليس من الاهمية طلب سلطة لايمكن فرضها بالقوة(٢١) . فابرق كوكس الى تشرتشل يذكر له الأثر السيء الذى سيحدثه البيان المطلوب عند التتويج ، وقال ان سلطة كافيـة يمكن فرضها على البلاد بأساليب أقل وضوحا(٢٢) . فوافق تشرتشل على هذا الرأي فى اللحظة الاخيرة .

---

(١٨) انهار هذا المقر في السنة التالية حيث جرفه تيار النهر ، فشيد للملك بلاط جديد في بستان تعود للاوقاف في منتصف الطريق بين بغـداد والاعظمية بالقرب من قصر شعشوع ، وهو لايزال قائما .

(19) Lady Bell (op. cit) - p. 499 - 500.

(٢٠) فيليب آيرلاند (العراق) – بيروت ١٩٤٩ – ص ٢٦٢ .

(21) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 238.

(٢٢) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) – ص٢٦٢ .

تقرر أن يكون التتويج في يوم ٢٣ آب ، وقد اختار فيصل بنفسه هذا اليوم لانه يوافق يوم ١٨ ذي الحجة حسب التقويم الهجري ، وهـــو اليوم الذى يعتبره الشيعة عيدا لهم يسمونه « عيد الغدير » ويعتقدون ان النبي نصب فيه علياً للخلافة من بعده • وقد أراد فيصل بأختياره هذا اليوم. تذكير الشيعة بأنه من سلالة الامام علي وأن تتويجه يجرى في نفس اليوم الذى نصب فيه جده للخلافة •

وقد جرى التتويج في ساحة القشلة قرب برج الساعة حيث نصبت منصة لجلوس الملك وحاشيته ، وخصص للملك كرسى متميز له ظهـر مرتفع ، كما صفت الكراسي تجاه المنصة لجلوس المدعوين ، وأحضر عدد من الجنود البريطانيين لأداء التحية باعتبارهم حرس الشرف ، وجـــوق موسيقى لعزف النشيد الملكى • وفى الساعة السادسة صباحا خرج فيصل من مقره الرسمى على النهر ، يحف به السر برسى كوكس والجنـرال هالدين ويتبعه كورنواليس وحسين افنان واثنان من المرافقين هما تحسـين قدرى وأمين الكسباني • واتجهوا جميعا نحو المنصة على طريق مفروش بالسجاد • فجلس فيصل على كرسيه الخاص بينما جلس كوكس عـن يمينه وهالدين عن يساره • وجلس السيد محمود النقيب الى يسار هالدين• وتقول المس بيل : « ان فيصل كان وقورا ولكنه متوتر جداً ، فهى كانت لحظة مثيرة ، وأخذ ينظر الى الصف الامامى فوقع نظره عليّ ، فأعطيته تحية صغيرة(٢٣) للتشجيع »(٢٤) •

بدأ كوكس الحفلة بأن ناول حسين افنان بلاغا لقراءته ، فقرأه حسين وفحواه : ان الامير فيصل قد تم انتخابه ملكا على العراق بأكثرية ٩٦ بالمائة من السكان ، ثم هتف قائلا « يحيي الملك » • ونهض محمود النقيب فألقى دعاءاً بالمناسبة ، وعند هذا رفع العلم العراقى ، وعزف الجـــوق الموسيقي

(23) Lady Bell (op. cit.) - p.500.

(24) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 239.

النشيد الملكي البريطاني لعدم وجود نشيد عراقي • ثم أطلقت المدافع احدى وعشرين طلقة •

ثم نهض الملك فألقى خطبة طويلة ننقل منها بعض الفقرات فيما يلي:

« أتقدم الى الشعب العراقي الكريم بالشكر الخالص على مبايعته أياي مبايعة حرة دلت على محبته لي وثقته بي •• وهنا واجب آخر يدعوني لان أرتل آيات الشكر للامة البريطانية اذ أخذت بناصر العـــرب في أوقات الحرب الحرجة ، فجادت بأموالها ، وضحت بأبنائها ، في سبيل تحريرهم واستقلالهم ••• وقد صرحت مرارا بأن ما نحتاج اليه لترقية هذه البلاد يتوقف على معاونة أمة تمدنا بأموالها ورجالها ، وبما أن الامة البريطانية أقرب الامم لنا ، وأكثرها غيرة على مصالحنا ، فاننا سنستمد منها ونستعين بها وحدها على الوصول الى غايتنا المنشودة في اسرع وقت • ولا يغرب عن الاذهان انه اذا كان الناس على دين ملوكهم فالملوك على دين شعوبهم ، فعلى قدر التضامن يكون النهوض ••• واني لاآلو جهداً بأن استعين برجال الامة على اختلاف مواهبهم وتباين طبقاتهم وتفاوت معتقداتهم فالكل عندي سواء ••• والامة بمجموعها هي حزبي ، لاحزب لي سواها ••• وان اول عمل أقوم به هو مباشرة الانتخابات وجمع المجلس التأسيسي ••• فالى الاتحاد والتضامن ، الى الروية والتبصر ، الى العلم والعمل ، أدعو أمتي ، والله الموفق والمعين »[٢٥].

لم تستغرق الحفلة وقتا طويلا ، وتقول المس بيل انها عند انتهاء الحفلة ذهبت الى دائرتها ، وأخذ الزوار يتقاطرون اليها وهم في الغالب من المدعوين الذين حضروا الحفلة ، وكان علي السليمان أحدهم فصار يحدثها عـــن انطباعاته في الحفلة ، وقال لها : « والله ، لقد كان السر برســي كوكس

---

(٢٥) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـج١ ص ٤٧ •

كالقمر بينهم ، وكان وجهه كالجنة...»(٢٦) .

كان السيدمحمد الصدر قد أرسل الى الملك رسالة يهنؤه فيها بتسنم العرش ويقترح عليه أن يزور الكاظمية بغية التيمن بمشهد الامام الكاظم(٢٧) . وقد استجاب الملك لهذا الاقتراح وحضر الى الكاظمية في صباح ٢٥ آب ، حيث اقيمت له حفلة في الصحن الشريف . وقد افتتح الحفلة محمد عبدالحسين ، ثم قام السيد محمد الصدر وقدم للملك سيفاً ذا غمد مذهب وارتجل كلمة طلب فيها تحقيق أماني الشعب ، فأجابه الملك بأنه سيبذل جهده في هذا السبيل . وعند هذا حدثت مفاجأة لم يكن أصحاب الحفلة على علم مسبق بها ، وهي ان الشاعر رشيد الهاشمي نهض وألقى قصيدة تائية لاتخلو من غمز بالملك . وفيما يلي بعض ابياتها :

يالابس التاج في بغداد هُنّيتا
به اذا كنت لاستقلاله جيتا

فزنه بالعلم والعدل الأعم ولا
ترصع لزينته دراً وياقوتا

واستعمل الحزم وانقذ أمة نصبت
من بعد نهضتها للذل طاعوتا

ياقائد الشعب لاتفسد قيادته
ولا يرى لك حبل العهد مبتوتا

واهجم على الشام واركز عند هامته
رمح العراق وجاورها بتكريتا

ماذا أقول لقوم بننا نقضوا
عهداً رأيناه عند الضيق مثبوتا

---

(26) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 239.

(٢٧) عن وثائق البلاط الملكي ـ رقم الاضبارة ك/١١ ، رقم الوثيقة ٣٠٨.

يا أمـــة نقضـت بالشـــام حلفتنـــا
لقد عطست فهل أســمعت تسميتا[٢٨]

حدثني سامي خوندة وكان حاضرا في الحفلة : انه لاحظ امتعاضا بدا على الملك من هذه القصيدة ، فخشى على رشيد الهاشمى ان تعتقله الشرطة من جرائها ، فخرج معه قبل انتهاء الحفلة وذهب به الى بيت السيد محمد الصدر للاحتماء به من الاعتقال •

والغريب ان جريدة « دجلة » حين وصفت الحفلة فى اليوم التالى لم تذكر هذه القصيدة بل ذكرت قصيدة أخرى فيها مدح للملك عظيم[٢٩] • ويبدو ان الشاعر كان قد أعد في تلك المناسبة قصيدتين فأنشد احداهما في الحفلة وأعطى الثانية الى الجريدة •

الوزارة الجديدة :

لم يكد الملك ينتهى من مشاكل التتويج حتى بدأ يواجـه مشـاكل الدولة ، وكانت اولى تلك المشاكل حول تشكيل الوزارة الجديدة • فقـد استقالت الوزارة النقيبية حسب الاصول ، وكان كوكس يريد اسناد رئاسة الوزارة الى النقيب مرة أخرى بينما كان الملك يريد اسنادها الى رجل غير متهم بالتعاون مع الانكليز •

أرسل الملك عبدالواحد الحاج سكر الى النجف ليطلب من رجال الدين فيها التعاون معه في تشكيل الوزارة • وقـد ذهب عبدالواحد الى النجف ، وبعد المداولة مع بعض رجال الدين فيها أرسل الى الملك رسالة هذا نصها :

---

(٢٨) عبدالله الجبورى (ديوان رشيد الهاشمى) ـ بغداد ١٩٦٤ ـ ص ٦٩ ـ ٧٠ •

(٢٩) جريدة « دجلة » ـ في عددها الصادر في ٢٦ آب ١٩٢١ •

بسمه تعالى

لاعتاب جلالة حضرة مليكنا المعظم

لايخفى على جلالتكم أني اجتمعت فى النجف بخدمة حضرات العلماء الاعلام حجتي الاسلام حضرة الشيخ شيخ جواد صاحب الجواهر وحضرة الشيخ شيخ عبدالكريم الجزائرى وبقية العلماء العظام ٠ وبينت لهم حسن نواياك الاسلامية ٠ وكثير ظهر منهم التشكر التام لجلالتك ٠ وقد أمروني أن أكتب لجلالتك عنهم مزيد امتنانهم منك وتبريكهم لحضرتك بتبوء عرش العراق الذى هو من أهم الثغور الاسلامية ويدعون لملوكيتك بالتسديد ولشخصك بالتوفيق للخدمات الاسلامية وطول البقاء ٠ وقد أمروني أيضا أن أعرض لحضرتك أنهم بعد أن ائتمنوك على ملوكية العراق فهم يأتمنوك أيضا على تعيين الوزراء بنظرك العالي ٠ ولا يقبل كل فرد منهم أن يكون شاغلا لأحد هذه المناصب قطعيا ٠ ولا يمكن ذلك ٠ سوى أنهم يأملون من جلالتك أن لاتجعل فى هذه المناصب الا المتدين المسلم الوطني خصوصا رئاسة الوزارة وأخص منها وزارة الداخلية فان عليها المعول بعد الله حيث يترتب عليها أمور مهمة تخص تشكيل المؤتمر المطلوب من حضرتكم تشكيله بالوقت العاجل على الوجه الكامل ٠ وينتظرون من جلالتك سرعة التلبس بما يرجونه من جلالتكم ٠ وفي هذه المدة يراقبون ويترقبون من جلالتك وعدك لهم بحسن الاحوال وتحصيل الامانى ٠ وأهم ما عندهم فعلا سرعة اقدامك في تعيين وزير للداخلية متدين عارف بتعيين المأمورين الذين بسببهم يصلح تشكيل المؤتمر أو يفسد والله الموفق والمعين ٠

٢٥ ذى الحجة ١٩٣٩ — عبدالواحد حاج سكر [٣٠]

(٣٠) عن وثائق البلاط الملكي ــ رقم الاضبارة ك/١١ ، رقم الوثيقة ٢٦٤ ٠

رضخ الملك أخيرا لمشيئة كوكس في اسناد رئاسة الوزارة الى النقيب، ولكن مشكلة أخرى واجهته حول من يتولى وزارة الداخلية . تقول المس بيل في رسالة مؤرخة في ٤ ايلول : ان الاسبوع الماضي كان كله مشغولا بمشكلة تشكيل الوزارة الجديدة ، وقد أرسل الملك يستدعيني فى يوم الاربعاء ، ولما ذهبت اليه أخذ يحدثني بجدية حول الوزارة ، وكانت بؤرة المشكلة وزارة الداخلية التى ظلت شاغرة منذ ابعادالسيد طالب . فالملك يعتقد ان هذه الوزارة هى المقياس الذى سيقيسه الناس بها ، فاذا عيّن فيها رجلا إمعة معروفاً بخضوعه للانكليز حكم الناس على الوزارة كلها بأنها مهزلة ، وحكموا على الملك بأنه ألعوبة بيد الانكليز(٣١) .

صار الاتجاه أخيرا الى تعيين ناجي السويدى لوزارة الداخلية ، ولكن كوكس لم يوافق على هذا التعيين . وتعلق المس بيل على ذلك قائلة : ان كوكس مصيب لأن ناجي السويدى على الرغم من أنه ذكي وحسن النية لكنه لايوثق به ، فاذا تولى وزارة الداخلية كان من الواجب علينا مراقبته مراقبة دقيقة لكى لاينحرف عن الطريق المرسوم . وتضيف المس بيل الى ذلك قائلة : انها ذهبت هي وكورنواليس الى كوكس لاقناعه بالموافقة على تعيين السويدى غير أنه أصر على رفضه(٣٢) .

وقع اختيار كوكس على توفيق الخالدى غير ان الملك لم يوافق على ذلك . فقد كان الملك يتهم الخالدى بميله الى الاتراك . وكان الاتراك يومذاك يبثون دعايتهم فى العراق ضد فيصل والانكليز ، وقد جاءوا بالسيد أحمد السنوسي الى مقربة من حدود العراق الشمالية لاعلان الجهاد ، واشيع ان الفرنسيين في سوريا ارسلوا الى السنوسي مبلغا قدره عشرون ألف باون لمساعدته في الجهاد .

(31) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 242.

(32) Loc. cit.

ذهب جعفر العسكري الى المس بيل وقال لها : ان تعيين الخالدي في مثل هذه الظروف أمر مهلك لانه يدعم الميالين للاتراك في العراق ويعرقل عمله في وزارة الدفاع • وهو لذلك يرغب في الاستقالة • وذهب نورى السعيد بعدئذ الى المس بيل وقال لها مثل ذلك وأخذ يحذرها من الميالين للاتراك الموجودين فى العراق • وقد اعترضت المس بيل على نورى السعيد قائلة له : ان الخطر لايكمن في هؤلاء المؤيدين للاتراك وحدهم بل هـو يكمن أيضا في جنون أصحابه المتطرفين • فرد عليها نوري قائلا :ان المتطرفين ليسوا خطرين الى هذا الحد مادامو يحملون الشعور العربى ، وان سيدى فيصل يعرف كيف يتعامل معهم ، وهم سوف يختفون[٣٣] •

استمر الخلاف والجدال في هذا الشأن ثلاثة أسابيع تقريبا ، وأخذ الملك يهدد بأنه يريد الذهاب الى لندن ليضع القضية بين يدي المسؤولين هناك • وذهب كورنواليس اليه بصحبة الكولونيل جويس ، كما ذهبت اليه المس بيل ، وصاروا يحاولون اقناعه بعدم الذهاب الى لنـدن فى الوقت الحاضر ، حيث قالوا له بأن الناس سيفسرون ذهابه بانه نتيجة نزاعه مـع كوكس حول تشكيل الوزارة ، وهذا أمر مضر بهما معا • وتقول المس بيل : « أعتقد أننا استطعنا أن نقنعه ، ولكننا لم نتقدم أية خطوة فى طريق تشكيل الوزارة »[٣٤] •

تم الاتفاق أخيرا على اسناد وزارة الداخلية الى ضابط غير معروف كان رئيسا للتجنيد اسمه الحاج رمزى ، اما ناحي السويدى فقد عين وزيرا للعدلية • وقد اجري تغيير على وزارة المعارف والصحـة حيـث جعلـت وزارتين منفصلتين فأسندت وزارة المعارف الى الشيخ عبدالكريم الجزائرى، أما وزارة الصحة فاسندت الى طبيب مسيحي من الموصل اسمه حنا خياط •

---

(33) Ibid. vol. 2, p. 242 - 245.

(34) Ibid. vol. 2.p. 242.

وتقول المس بيل : انها هي التي عينت حنا خياط في الوزارة اذ قدمته الى كوكس واقترحت عليه فصل وزارة الصحة عن وزارة المعارف ، فكان لها ما أرادت[٣٥] .

وأعلن تشكيل الوزارة الجديدة في ١٢ ايلول ١٩٢١ ، فكان فيها النقيب رئيسا للوزراء ، والحاج رمزي وزيرا للداخلية ، وناجي السويدى للعدلية ، وجعفر العسكرى للدفاع ، وعزت الكركوكلي للاشغال والمواصلات ، وعبداللطيف المنديل للتجارة ، ومحمد علي فاضل للاوقاف، وحنا خياط للصحة ، وعبدالكريم الجزائرى للمعارف .

ولم يكد يعلن تشكيل الوزارة حتى ارسل عبدالكريم الجزائرى من النجف اعتذاره عن الاشتراك فيها، وهنا بدأ التداول والجدال من جديد حول من يتولى وزارة المعارف على شرط أن يكون شيعيا . وتم الاتفاق أخيرا على اختيار السيد هبة الدين الشهرستانى من كربلاء وجاء الى بغداد لتولى الوزارة .

الشيعة ومدرسة الحقوق :

بعد انتهاء الملك من مشكلة الوزارة الجديدة ، بدأ يواجه مشكلة أخرى هي ضرورة ادخال شبان من الشيعة في الوظائف الحكومية ، غير انه لم يجد بين الشيعة عددا كافيا من ذوى التعليم الحديث الذين يصلحون لاشغال تلك الوظائف . وبعد المداولة مع مستشاريه ، ولا سيما سكرتيره رستم حيدر ، استقر رأيه على تشجيع الاذكياء من شبان الشيعة من ذوي التعليم القديم على الدخول فى مدرسة الحقوق التى كانت قد أعيد فتحها في خريف السنة الماضية .

كان توفيق السويدى قد عين مديرا لمدرسة الحقوق في تشرين الثاني

(35) Ibid vol. 2, p. 244.

١٩٢١ خلفا لمديرها السابق الكولونيل بيل . وقد أشار السويدي في مذكراته الى المشكلة التي حدثت آنذاك حول قبول الشبان الشيعة في المدرسة فقال مانصه :

« ومما أذكر انه حدث في يوم من الايام ان أتاني البعض من طلاب الدخول ، بأيديهم أوراق ممضاة من قبل الشيخ شكر مدير المدرسة الجعفرية يشهد فيها ان الطالب حاملها هو من خريجي الثانوية ، مع علمي بان المدرسة لم تصل الى الدرجة الثانوية لا في عهد الاتراك ولا في عهد الاحتلال . فأفهمت الطالب المتقدم بأن عليه ان يصدق شهادته من وزارة المعارف أو يدخل امتحان الفحص لاثبات كفاءته الثانوية . ثم اعقبه عدة شبان يدعون أنهم متخرجون من المدرسة الجعفرية ويحملون مثل هذه الورقة الغريبة . ويحضرني من أسمائهم : عبدالرزاق الازري ، وعباس مهدي ، ومحمد حسن كبة ، وأحمد زكي الخياط ، ومحمد الشماع ، وعبدالحميد مهدي ، وعبدالهادي الظاهر ، وسعد صالح ، وجعفر حمندي، وغيرهم . فرفضت قبولهم والاعتماد على الاوراق التي في ايديهم . عندئذ راجعوا الحكومة وراجعوا البلاط . وفي ذات يوم أتاني المرحوم محمد رستم حيدر قائلا لي : ان جلالة الملك يرغب في مساعدة هؤلاء وقبولهم في الكلية! فأفهمته وضعهم القانوني... ولما أصر علي رستم بأن أبذل جهدي لمساعدتهم قائلا : ان جلالة الملك يرغب أكيدا بان يقبل هؤلاء في الكلية ، أجبته : بأن دخول الطلاب للمدارس العالية بارادات ملكية قد مضى دوره ، وهذه أمور كانت تقع في زمان السلطان عبدالحميد ... ولهذا فاني آسف لعدم تمكني من أن أعمل شيئاً لهم اذا لم يحققوا ماطلبته منهم . فذهب غاضبا ولم يرجع ثانية ... »[٣٦] .

لم تنته المشكلة عند هذا الحد ، فقد كان الملك مصرا على ادخال

---

(٣٦) توفيق السويدي (مذكراتي) ـ بيروت ١٩٦٩ ـ ص ٧٦ـ٧٧

اولئك الشبان في مدرسة الحقوق ، وقد اضطر توفيق السويدى أخيرا الى قبولهم • ويدعي السويدى ان الملك أرغم ساطع الحصرى الذى كان مديرا عاما للمعارف آنذاك على المصادقة على شهاداتهم ، ثم أتوا اليـــه بعدئذ فقبلهم في المدرسة « وأمره الى الله »[٣٧] •

مما يجدر ذكره ان هذا الذي ذكره توفيق السويدي في مذكراته لم يؤيده ساطع الحصري عليه • فقد ذكر الحصرى فى مذكراته انه لم يصادق على شهادات الشبان الشيعة ولكن السويدى هو الذى تساهل فى قبولها • ويعطينا الحصرى تفاصيل كثيرة في هذا الموضوع تسيء الى مكانة السويدى إذ يقول بأن السويدى انتهز الفرصة وأخذ يتساهل في قبول شهادات الارمن واليهود بالاضافة الى شهادات الشيعة ، حتى بلغ الأمـر بمدير مدرسة الاليانس أنه أخذ يعطي الشهادة المزورة لمن يرغب فيها لقاء خمسين روبية ، وكذلك فعل آرتين كيدوريان مدير مدرسة الأرمن لقـاء ثلاثين روبية • أما الشيخ شكر فكان يعطي الشهادة مجانا « لوجه الله » • ويقول الحصري : انه لما واجه السويدى بهذه الحقيقة أجابه السويدى قائلا : « مولانا ، هل تظن أنا ماكنت أعرف الحقيقة ، ان الملك طلب أن نتساهل في قبول الجعفرية ، وأنا تســاهلت في قبول الجعفرية وغـير الجعفرية »[٣٨] •

ويضيف الحصرى الى ذلك قائلا : انه راجع الملك في هذه القضية وبين له الاضرار التى تنتج عنها فأجابه الملك : « أنا ماقلت لهم أن يقبلوا أيا كان ، ولا أن يقبلوا شهادات مزورة • كل مافى الامر أني خلال حديثي مع الوزراء قلت لهم نحن امام مشكلة • الجعفرية يشكون من قلة الموظفين من مذهبهم • وتعرف ان السبب الاصلي في ذلك هو قلة حملة الشهادات

(٣٧) المصدر السابق — ص ٧٧
(٣٨) ساطع الحصرى (مذكراتى في العراق) — بـيروت ١٩٦٧ — ج١ ص ٤٠٨ •

منهم • والحكومة تضطر الى تعيين أشخاص ناقصي الدراسة ، الا يمكن أن يجدوا طريقة لحل هذا الاشكال ، وضمان دراسة الشبان الجعفرية الذين فات عليهم وقت الدراسة سابقا » • وقد اقترح الحصري على الملك لحل المشكلة أن يفتح ثانوية مسائية يستطيع الكسبة والموظفون ان يدرسوا فيها لكي يتمكنوا بعدها من دخول المعاهد العالية • وقد أعجب الملك بهـــــذا الاقتراح وأسست الثانوية المسائية على الفور[٣٩] •

الملك في محـــــرم :

حل شهر محرم عامذاك في ٤ ايلول ، وهو الشهر الدى يعلن الشيعة فيه حدادهم على مقتل الحسين بن علي • وقد اهتم الملك فيصل بهذا الشهر على نحو مافعل الانكليز عقب احتلالهم بغداد ، حيث ساعد المواكب الحسينية بمبالغ من المال وأهدى صفائح النفط لمشاعل المواكب الليلة ، كما اوعز ان يقام باسمه وعلى نفقته الخاصة مجالس تعزية في صحن الكاظمية فـــي العشرة الثانية من محرم • وحضر الملك بنفسه مجلس التعزية غير مرة ، وجلس في أحد اواوين الصحن بين رجال الدين •

وفي اليوم العاشر من محرم وهو اليوم الذي تقام فيه تمثيلية مقتــل الحسين في صحن الكاظمية ، حضر الملك الى الصحن مع حاشيته ، وكانت قد أعدت له المقصورة الكبيرة التى تقع فوق باب القبلة ، فجلس فيهـــا وأخذت المواكب تمر من أمامه ، وأمر باهداء الخلع الى النواحين في المواكب والى القائمين بتمثيل المقتل •

ومما لفت الانظار في ذلك اليوم وجودالعلم العراقى الجـــديد ذى الالوان الاربعة بين اعلام المواكب ، وكانت تلك اول مرة يرفع فيها العلم العراقى في المواكب الحسينية • والظاهر ان بعض القائمين بشؤون المواكب امتعضوا من وجود هذا العلم بين الأعلام في ذلك اليوم ، فهو في نظرهـــم

---

(٣٩) المصدر السابق ـ ج١ ص ٤٠٩ •

العلم الذى رفعه الشريف حسين عند تحالفه مع الانكليز الكفار ضد الدولة العثمانية المسلمة بينما كان المجتهدون فى العراق يرفعون علم الجهاد لنصر الدولة العثمانية • ولهذا رأينا حامل العلم يسير في أثناء التمثيل الى جانب ممثل عمر بن سعد وليس الى جانب ممثل الحسين أو أخيه العباس أو غيرهما من أهل البيت •

كان ساطع الحصرى حينذاك جالسا في المقصورة الصغيرة المجاورة لمقصورة الملك • وقد لفت نظره هذا المنظر ، كما أشار الى ذلك في مذكراته • فهو يقول فيها : انه لاحظ العلم العراقى محمولا الى جانب ممثل عمر بن سعد وهو قائد الجيش الاموي المعادى للحسين ، فكان العلم يسير معه اينما سار ، وكانت اللعنات تطلق من حناجر الناس ــ ومن النساء بوجه خاص ــ كلما ظهر ممثل عمر بن سعد • ومعنى هذا ان العلم العراقى كان يسير فى موكب القائد الذى يلعنه الناس •

أخذ الحصرى يفكر بالمحاذير العظيمة التي تنجم عن ذلك ، فالتفت الى الخلف فرأى بين المرافقين صبيح نجيب ، وهو يعرفه من ايام دمشق لانه كان مرافقا للامير زيد ، فقال له : ان حامل العلم يجب ان يسير الى جانب ممثل الحسين وليس الى جانب ممثل عمر بن سعد • فنزل صبيح نجيب من المقصورة ليعطي التعليمات للمسؤولين عن تنظيم الاحتفال • وقد أطاع حامل العلم ما أمر به فصار يتباعد عن ممثل عمر ، ويتوجه نحو ممثل الحسين • ولكنه لم يكد يقترب من ممثل الحسين حتى أخذ الممثل يدفعه بشدة ، وكلما حاول حامل العلم السير بجانبه كان هو يكرر الدفع له ، ويظهر علائم الغضب والتأنيب • وجاء صبيح نجيب الى الحصرى يسأله : « ما العمل ؟ » فقال الحصري : « أحسن طريقة ، الآن ، أن ينسحب حامل العلم من الميدان بهدوء ، دون أن يلفت أنظار الناس • والمهم أن لايسير بجانب الفارس الذى يمثل عمر » • وهكذا تم انسحاب حامل العلم من الصحن الشريف •

ويقول الحصري : انه بعد العودة الى بغداد روى القصة الى الملك ، فاستغرب الملك منها وقال « ان ذهني كان مشغولا بسماع بعض الشروح وتتبع حركات المواكب وأصوات الجماهير ، فلم انتبه الى اوضاع العلم » وقد استصوب الملك الطريقة التى عالج الحصرى بها ذلك الامر[٤٠] .

قائممقام سامراء :

كان الشيخ مهدي الخالصي يريد ان يكون لسامراء قائممقام يداري زوار الشيعة ويدرأ الأذى عنهم ، وقد وقع اختياره على رجل من أهـــل الكاظمية يحمل الجنسية الهندية اسمه أغا محمد . وكتب بذلك كتابـــا أرسله الى الملك فيصل . وحين تلقى الملك رسالة الخالصي صادف أن دخل عليه علي البازركان فأخذ يشكو اليه من هذا الطلب الذى يريده الخالصي ومن صعوبة تحقيقه . يقول علي البازركان في ذلك مانصه :

« ... ذهبت في ذات يوم لزيارة جلالة الملك فيصل الاول في قصر شعشوع ، وكنت أدخل عليه بلا استئذان ، فشاهدته في غرفته وهو يتناول الشاي فلما رآني قال لي : أنظر ياعلي ، وأعطاني رسالة واذا بها من الامام الشيخ مهدى الخالصي الى الملك فيصل يطلب فيها أن بعـين المرزا محمد الهندى معاون حاكم الكاظميةالسياسى قائممقاما لقضاء سامراء لخدماته التى قدمها للمسلمين . ثم علق جلالته على تلك الرسالة : ماذا سيقول الناس عني اذا عينت هنديا في هذا المنصب ، ولماذا قمتم انتم بثورتكم ضد الانكليز ألاجل ان اعين لكم الهنود في مناصب الدولة ، وهل ليس فى العراق من يصلح لهذه المناصب ؟ فقلت له : سيدى ، اننى سأعمل لك عملا يرضيك في هذه المشكلة . فأبتسم جلالته وقال لي : إن استطعت ان تعدل الشـــيخ مهدى الخالصي عن تعيين هذا الهندى فستجعلنى ممنونا لك »[٤١].

---

(٤٠) المصدر السابق ــ ج١ ص ٨٨ ــ ٨٩ .

(٤١) علي البازركان (الوقائع الحقيقية) ــ بغداد ١٩٥٤ ــ ص ١٧٧ .

وأخذ البازركان من جانبه يعمل لاقناع الخالصي بالعدول عن رأيه . فذهب اولا لمقابلة الحاج كاظم ابو التمن في محله في السوق ، ثم ذهبا معاً الى الكاظمية لمقابلة الشيخ مهدى الخالصى . ولما تحدثا الى الخالصى في الموضوع قال لهما : « نعم أنا الذى طلبت تعيين المرزا محمد من الملك فيصل الاول لانه من الاخيار » . فقال له البازركان : « وهل خلا العراق من الاخيار والمخلصين حتى نطلب تعيين الهنود ؟ » فقال الخالصي : « انني لا أعرف رجلا يصلح لهذا المنصب غيره » ، فقال البازركان : « أنا اعرف شخصا وأظنه سيكون عند حسن ظنكم » ولما تساءل الخالصي عن هذا الرجل من هو ، أجابه البازركان بأنه جلال بابان .

وفي اليوم التالي جاء علي البازركان الى الخالصي وبصحبته جلال بابان لتقديمه اليه فأمر الخالصي ابنه الشيخ محمد بأن يحرر كتابا الى الملك يطلب فيه تعيين جلال بابان بدلا من أغا محمد . وأسرع البازركان فأخذ الكتاب وذهب به الى الملك . وحين تسلم الملك الكتاب قال يخاطب البازركان : « بارك الله فيك ياعلي انقذتني » . ثم تناول الملك قلما وأحال الكتاب الى وزير الداخلية حيث كتب عليه : « انني منتظر القرار كما جاء في هذا الكتاب » . وقد حمل البازركان الكتاب الى وزير الداخلية، فلما قرأه الوزير قال : « ياعلي انك لم تنقذ جلالة الملك من هذه المشكلة فقط بل أنقذتنا جميعا »[٤٢] .

وفي ٤ كانون الاول ١٩٢١ باشر جلال بابان بوظيفته في سامراء[٤٣]، وأخذ يبذل جهده في مداراة الزوار ودرأ الاذى عنهم .

---

(٤٢) المصدر السابق – ص ١٧٧ – ١٧٩ .

(٤٣) يونس ابراهيم السامرائي (تاريخ مدينة سامراء) – بغداد ١٩٧٣ – ج٣ ص ٨٢ .

غارة « الاخوان » :

بينما كان الملك فيصل يتقرب الى الشيعة ويتحبب اليهم على النحـو الذي ذكرناه وقعت حادثة كانت بمثابة القنبلة هزت المجتمع العراقي وكانت سبباً في ازدياد التقرب بين الملك والشيعة •

ففي ١١ آذار ١٩٢٢ بينما كانت بعض العشائر العراقية ترعـــى مواشيها في موقع جنوب الناصرية على بعد ثلاثين ميلا من سكة الحـديد أغارت عليها قوة كبيرة من « الاخوان » الوهابيين التابعين لابن سعود بقيادة فيصل الدويش ، فأوغلت فيها نهبا وتقتيلا • وقد قدرت المصادر العراقية عدد القتلى بما يقارب السبعمائة ، كما قدرت المنهوبات بـ ١٣٠ فرسـا ، و ٢٥٣٠ بعيرا ، و ٣٨١١ حمارا ، ٤٣٠١٠ شاة ، و ٧٨١ بيتاً(٤٤) •

أثارت الحادثة رعبا شديدا في العراق ولا سيما بين عشائر الفرات الاسفل والاوسط ، وظن الكثيرون أنها مقدمة لهجوم وهابي عام على العراق وان الاخوان سيذبحون البشر كما يذبحون الغنم وسيهدمون العتبـات المقدسة وينتهكون حرمات النساء ويهلكون الحرث والنسل • ومما يجدر ذكره ان العراق كان قد عانى في الماضي من غارات الوهابين وشهد مافي تلك الغارات من نهب وسفك • أضف الى ذلك ان العشائر العراقية وصلتها أخبار مبالغ فيها عن ضراوة « الاخوان » وشدة ميلهم الى النهب وسفـك الدماء • فأدى ذلك الى انتشار موجة من الذعر بين الناس وساد الهلع •

يجب أن لاننسى ماكان بين العائلتين الهاشمية والسعودية من عـداء قديم ، وعندما حدثت غارة « الاخوان » تألم الملك فيصل منها ألما شـديدا ، وقد زاد في ألمه ما وجد لدى كوكس من فتور وتردد في اتخاذ التدابـير الرادعة ضد « الاخوان » •

---

(٤٤) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ج١ ص ٥٩ •

الواقع ان الانكليز كانوا قد أرسلوا طائرة استطلاع الى موضع الغارة حال سماعهم بها ، فأطلق « الاخوان » الرصاص عليها وأصابوها مما ادى بالانكليز الى توجيه أربع طائرات أخرى اليهم ، فقذفتهم تلك الطائرات بعدد من القنابل ووجهت عليهم رصاص الرشاشات • وقد اصيبت أحدى الطائرات أثناء ذلك وسقطت على الارض غير ان الطيار ومساعده نجيا وتمكنا من الوصول الى سكة الحديد بعد سير على الاقدام لمسافة خمسة وعشرين ميلا • وفى صباح اليوم التالي أرسل الانكليز أربع طائرات أخرى ، فلحقت « الاخوان » وأمطرتهم بالقنابل والرصاص ، وقد أصيبت طائرتان منها ، ولكنها عادتا سالمتين •

كان الشائع في العراق آنذاك ان غارة « الاخوان » جرت بايعاز من الانكليز ، او برضا منهم على الاقل ، على أساس ان الصداقة التى تربط بين كوكس وابن سعود وثيقة جدا وليس من المعقول أن يفعل ابن سعود ما يغضب صديقه كوكس • وقد حاول كوكس ان يدرأ هذه التهمة عنه فكتب الى الملك رسالة يخبره فيها بما اتخذته القوة الجوية البريطانية من اجراءات ضد « الاخوان » • فأرسل الملك اليه جوابا يبدى فيه شكره على ما فعلت الطائرات البريطانية ولكنه أعلن عن رأيه في ضرورة اتخاذ اجراءات أشد ، وأشار الى ان الحكومة العراقية لاتملك السلطة او الصلاحية الكافية للدفاع عن حدود البلاد وان العشائر أصبحت غير واثقة من مقدرة الحكومة على حمايتها وهذا يؤدي الى افدح الضرر بالدولة العراقية الناشئة[٤٥] •

كان الملك يريد من كوكس أن يكون مثله متحمسا في تأديب «الاخوان» ، غير أن كوكس كان ينظر في الامر نظرة أخرى ، وأخذ يعتذر بأنه ينتظر وصول التعليمات اليه من لندن كما ينتظر جواب ابن

---

(٤٥) عن وثائق البلاط الملكى – رقم الاضبارة ة/٤/آ٥ ، رقم الوثيقة ٤٥،

سعود على برقيته التي ارسلها اليه • وتقول المس بيل ان جواب ابن سعود تأخر عدة ايام لان ابن سعود يرسل برقياته عادة على بعير الى البحرين لتبرق من هناك الى بغداد ، وهذا يحتاج الى وقت(٤٦) •

ازمة وزارية :

عندما استيأس الملك من مساعدة كوكس له في أمر الدفاع عن العراق تجاه « الاخوان » أخذ يفكر في خطة أخرى هي استنفار العشائر العراقية وتجهيزها بالسلاح من جهة ، وتقوية الجيش العراقي من الجهة الاخرى • ولكن هذه الخطة لم تنل قبولا من كوكس ، ولعله خاف منها إذ كان يعتقد ان تجهيز العشائر بالسلاح ـ ولا سيما تلك العشائر التي قامت بثورة العشرين ـ يعني تشجيعها على القيام بثورة أخرى •

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ان الملك كان في ذلك الحين يحف به عدد من رؤساء العشائر الذين شاركوا في ثورة العشرين من أمثال عبدالواحد الحاج سكر وشعلان أبو الجون ومحسن ابو طبيخ وعلوان الياسري وقاطع العوادي • وكان هؤلاء يؤكدون للملك ان العشائر العراقية قادرة على محاربة «الاخوان» وكسرهم لو كان لديها السلاح الكافي ،وكانوا يشجعون الملك على الصمود تجاه كوكس وعلى اعلان الجهاد على « الاخوان » •

أرسل الملك في ٢٧ آذار الى مجلس الوزراء يطلب منه الموافقة على زيادة حصة وزارة الدفاع من الميزانية لتقوية وسائل الدفاع عن العراق تجاه تجاوزات اتباع ابن سعود • ولما عرض هذا الطلب على المجلس انبرى له ناجي السويدي يعارضه ، حيث أشار الى أن غارة « الاخوان » هي نتاج العداء التقليدي بين العائلتين الهاشمية والسعودية ، وان الدفاع عن العراق

---

(46) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 260.

موكول الى بريطانيا إذ هى التى أخذت على عاتقها صيانة الامن الداخلي في العراق مع درء الاخطار التى تهدده من الخارج • وقد رد جعفر العسكرى على السويدى قائلا : بأن الاتفاق قد حصل سابقا بين الملك والمندوب السامى على ان تكون الحكومة البريطانية مسؤولة عن الدفاع عن جانب دجلة الأيسر وعن العمارة والبصرة ، أما الحكومة العراقية فتكون مسؤولة عن جانب دجلة الايمن وعن جانبي الفرات الايمن والايسر ، بشرط أن تؤازرها قوة الطيران الانكليزية ، وعلى هذا فان الدفاع عن حدود العراق تجاه « الاخوان » يقع على عاتق الحكومة العراقية •

كانت معارضة ناجي السويدى مفاجأة غير سارة للملك ، إذ كان ناجى معدودا من انصار الملك ومؤيديه ، فما هو السبب الذى جعله يغير موقفه الآن • ومما زاد في استياء الملك ان أربعة وزراء أيدوا ناجي السويدى في معارضته هم : عزت الكركوكلي وحنا خياط وعبداللطيف المنديل والحاج سرى • وكان رئيس الوزراء يؤيدهم من طرف خفي كما ان ساسون حسقيل تفوه بما يشبه التأييد لهم[٤٧] •

أرسل الملك يستدعي اليه الوزراء المعارضين وأعلن لهم أنه فقد ثقته فيهم وأنهم يجب أن يستقيلوا • وقد ذهب كوكس وكورنواليس الى الملك في محاولة لتهدئة غضبه دون جدوى[٤٨] • وبعد هذا أرسل سكرتير الملك الى رئيس الوزراء كتابا شديد اللهجة ننقل منه ما يلي :

« كان أمل صاحب الجلالة ان يتخذ المجلس الموقر في جلسته المنعقدة في ٢٧ آذار ١٩٢٢ قرارا جليا يكفل العمل به صيانة حدود العراق ورعاياه من تجاوزات قبائل البادية • ولقد آسفه رأى وزير العدلية ومن أخذ مأخذه من حضرات الوزراء بعد أن أوضح لهم وزير الدفاع حراجة الموقف في

(٤٧) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) – ج١ ص ٦١–٦٤ •
(48) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 266.

وادى الفرات وان مسؤولية الدفاع عنه واقعة على الحكومة العراقيـــة ، ولاجل ذلك ينبغي أن تقام مخافر ومحارس في مواضع معينة لمراقبة القبائل المناوئة وصد اعتداءاتها من أية جهة جاءت ... فبناء على ما تقدم أُمرت أن أعبر لفخامتكم عن أسف صاحب الجلالة على ما ارتآه وزير العدلية وبعض زملائه »[٤٩] .

وصل جواب ابن سعود الى كوكس في ٢٩ آذار ، وقد أعرب فيه ابن سعود عن أسفه لما حدث وقال ان فيصل الدويش فعل ما فعل بغير اذن منه ، وسوف ينال المذنب عقابه . فعرض كوكس الجواب على الملك وعلى رئيس الوزراء كما اوعز بنشره في الجرائد بغية تهدئة الرأي العام، ولكن الرأي العام لم يهدأ بل ازداد هياجا . يقول غريفز : « وعلى الرغم من ابداء ابن سعود لأسفه فان البلاد كانت غاضبة وفي هيـــاج ، وكانت الاشاعة القائلة بأن الانكليز هم المسؤولون عن الحادثة قد نالت رواجا بين السكان الجهلة ، فأستخدمها المهيجون لاثارة المشاعر ضد الانكليز . وانتهز علماء الشيعة الفرصة للمزايدة من أجل السلطة السياسية تحت دعـــوى الوطنية ... »[٥٠] .

استفحال الازمة :

كان مجلس الوزراء قد قرر في ١٨ آذار ارسال لجنة الى الناصرية للتحقيق في غارة « الاخوان » مؤلفة من نوري السعيد ممثلا عن وزارة الداخلية ، وداود الحيدرى ممثلا عن وزارة العدليـة ، والرئيس الاول الحاج رمضان ممثلا عن وزارة الدفاع ، على أن ينضم اليهم الميجر ييتس

---

(٤٩) عن وثائق البلاط الملكى ــ رقم الاضبارة ة/٤/٥ آ ، رقم الوثيقـة ٦٠ .

(50) Graves (op. cit.) - p. 310.

مستشار لواء المنتفق • وفي ٢٩ منه عادت اللجنة الى بغداد وقدمت تقريرها الى مجلس الوزراء ، وقد تضمن التقرير تقديرا للخسائر « الفظيعة » التى تكبدتها العشائر العراقية من جراء غارة « الاخوان » ، كما اشار التقرير الى ان الحكومة العراقية مسؤولة عن وقوع الحادثة لان متصرفية المنتفق كانت قد شعرت بقرب وقوع الخطر في حينه وطلبت النجدة من الحكومة غير أن الحكومة لم تنجدها(٥١) •

وفي صباح اليوم التالي ـ أي ٣٠ آذار ـ طلعت جريدة « العراق » وفي صدرها مقالة افتتاحية بعنوان « حول اعتداء الاخوان على عشائر المنتفق » أشارت فيها الى ان صاحب الجريدة قابل نورى السعيد على أثر عودته معزملائه اعضاء اللجنة من الناصرية ووجه اليه عدة أسئلة • وقد نشرت الجريدة أجوبة نوري وكان فيها تهجم شديد على الوهابيين مع انتقاد لاذع للوزراء الذين لم يوافقوا على تقوية الجيش العراقى • وقد ذكر نورى السعيد بصراحة انه عند عودته وجد بعض كبار الموظفين لايميلون الى توسيع الجيش بحجة قلة الموارد المالية ، وأعلن ان ذلك أمر مؤسف ، وسببه أنهم لم يطلعوا على حراجة الوضع ولو انهم اطلعوا عليه حقا لغيروا رأيهم(٥٢) •

وفى اليوم نفسه صدرت جريدة « الاستقلال » وفى صدرها مقالة افتتاحية عنيفة جدا مذيلة بتوقيع « العلوى » وعنوانها : « الدفاع ! الدفاع! » وتحته البيت التالى :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لايتقى الشتم يشتم

(٥١) عبدالرزاق الحسنى (المصدر السابق) ـ ج١ ص ٦٠ـ٦١ •
(٥٢) جريدة «العراق» ـ في عددها الصادر في ٣٠ آذار ١٩٢٢ •

وقد حملت المقالة حملة شعواء على ابن سعود واتباعه وعلى الذين يؤيدونه في العراق، وأطلقت على ابن سعود لقب « زعيم بلشفيك الجزيرة» و « لنين نجد ؟؟!! » ، وقالت ان هناك أشخاصا لاعلاقة لهم بهذا القطر يبثون اشاعات مؤداها ان غارة « الاخوان » بسيطة وذلك لكي تبقى الامة غافلة فتؤخذ على حين غرة مع العلم ان الغارة كانت هجوما كبيرا سفكت فيه الدماء الغزيرة وترملت النساء وتشرد الاطفال ، فهل تقبل ذلك أمة كالأمة العراقية المعروفة بشدة ابائها وأنفتها ...(٥٣) .

ان هاتين المقالتين وما فيهما من تهجم ضمني على الوزراء المعارضين كان لهما أثر شديد على مجلس الوزراء الذي انعقد في ذلك اليوم . فلما انتهى سكرتير المجلس من تلاوة تقرير اللجنة اسرع ناجي السويدي فقدم استقالته ، وتبعه في ذلك الحاج رمزي وعبداللطيف المنديل وعزت الكركوكلي وحنا خياط . وأسرع الملك فأصدر ارادته في اليوم التالي بقبول استقالتهم ، وبتعيين توفيق الخالدي وزيرا للداخلية ، وصبيح نشأت وزيرا للاشغال والمواصلات . وكان ساسون حسقيل قد قدم استقالته أيضا تضامنا مع الوزراء الخمسة الذين استقالوا غير أن رئيس الوزراء رفض استقالته بايعاز من كوكس .

غضب كوكس على الملك لانه لم يستشره في قبول استقالة الوزراء الخمسة ، كما غضب على نوري السعيد وعلى جريدة « الاستقلال » . أرسل كوكس الى رئيس الوزراء كتابا يلفت نظره فيه الى تصريحات نوري السعيد في جريدة « العراق » ويعتبرها خرقا خطيرا للآداب الرسمية إذ كيف يمكن ان يتصدى موظف في الحكومة لانتقاد الوزراء بتلك الصورة . وطلب كوكس من رئيس الوزراء وضع قوانين تمنع من ذلك في

---

(٥٣) جريدة « الاستقلال » - في عددها الصادر في ٣٠ آذار ١٩٢٢ .

المستقبل[٥٤] . وكذلك أرسل كوكس كتابا آخـــر الى رئيس الوزراء يقول فيه عن مقالة « الاستقلال » بأنها في غاية الخطورة وانها تؤدى الـى ارباك الحكومة وعرقلة أعمالها بالنظر الى ما ورد فى جواب ابن ســعود من لهجة معتدلة . وطلب كوكس تبليغ جريدة « الاستقلال » بوجوب نشر مقالة تعلن فيها عن اسفها عن مقالتها السابقة وتشير الى موقف ابن سعود السلمي تجاه العراق . وأرســل كوكس نسخة الى الملك من كل من الكتابين[٥٥] .

وفي ١ نيسان أرسل كوكس الى تشرتشل في لندن برقية يشـــكو فيها من تصرفات الملك فيصل وقال فيها ما يلى :

« ان هذا الاجراء المتهور الذى اتخذه في سورة من التهيج ، دون استشارتي أنا أو أي شخص آخر ، كان مؤسفاً جدا ، ولا سيما بالنسبة للمنديل حيث سيتأثر رأي البصرة بشكل سلبي باستقالته الاجبارية ... وفي الوقت الذى أسفت بشدة لتصرف الملك المتهور فقد نصحته عند سماع ماحدث بأنه سيكون من الاكثر ملائمة فى الظروف الراهنة أن يقدم النقيب استقالة الوزارة كلها وان يدعى فورا الى تشكيل وزارة جديدة . الا ان الملك فضل المطالبة باستقالة خمسة وزراء في القضية ، ومن سوء الطالع ان يتبع هذا استقالة ساسون التى لم تقبل على أية حال » .

رد تشرتشل على كوكس قائلا : « ... انني مندهش من أن يكون فيصل قد طرد أربعة وزراء دون استشارتك ، ومن المؤكد ان هذا التصرف لم يكن منطبقا مع روح تعهداته الشخصية بأخذ نصيحتك في المسائل الهامة. وسأكون آسفا جدا اذا أصر ساسون أفندى على الاستقالة . ان بامكانك اذا شئت أن تخبره بأنني أبرقت شخصيا بشأنه » .

---

(٥٤) عن وثائق البلاط الملكي ـ رقم الاضبارة ة/٤/٢٥ ، رقم الوثيقة ٦٦.
(٥٥) عن وثائق البلاط الملكي ـ رقم الاضبارة ة/٥/٢٥ ، رقم الوثيقة٦٣.

الظاهر أن الملك أحس بضرورة الاعتدال في موقفه تجاه كوكس ، فأخذ يخفف من شدته • نلاحظ ذلك في البرقية التي ابرقها كوكس الى تشرتشل جوابا على برقيته السابقة • حيث قال مانصه :

« ••• يبدو الآن ان فيصل يدرك أنه كان متهورا جدا ، ويميل الى السعي وراء ايجاد وسائل لتمكين واحد أو اثنين من العودة بعد فترة قصيرة اذا كان يستطيع ذلك دون ان يفقد كرامته • واعتقد ان من الافضل ان تكون رسالتك اليه بصدد تلك المسألة رسالة شخصية معبرة عن خيبة ظنك من انه قد سلك هذا الطريق المقلق دون تشاوره معي أو مع مستشاريه الطبيعيين •• ان وجهة نظري هي أنه ليس من سياسة حكومة صاحب الجلالة البريطانية ولا اتجاهي الشخصي أن تدمر مكانته كملك وأن يُجبر على التنازل عن طريق اضطراره الى ابطال تصرفات متهورة او منصوح بها على نحو سيء كان قد اقدم عليها دون تشاور •• ولكن اذا أظهر ميلا مفرطا في ذلك الاتجاه فان علاجي هو طلب اعفائه وان يعلن سبب ذلك »(٥٦) •

الدعوة الى مؤتمر كربلاء :

بينما كانت الازمة في بغداد على اشدها كان الفرات الاوسط يتمخض عن حركة قوية أريد بها جمع العشائر واثارتها للدفاع عن العراق تجاه هجمات « الاخوان » • وكان وراء هذه الحركة بعض رؤساء العشائر كعبد الواحد الحاج سكر وعلوان الياسري وقاطع العوادي •

وقد عقد علماء النجف عدة اجتماعات للتداول في هذا الموضوع كان على رأسهم السيد أبو الحسن الاصفهاني والمرزا حسين النائيني • وقرروا أخيراً عقد مؤتمر في كربلاء يحضره رؤساء العشائر ووجهاء المدن للمباحثة في

---

(٥٦) صالح جواد كاظم (محاولة استجلاء جديدة) ـ مجلة «المثقف العربي» ـ في عددها الصادر في شهر حزيران ١٩٧٤ •

وضع خطة للدفاع عن البلاد • ثم ارسلوا الى الشيخ مهدى الخالصي في الكاظمية البرقية التالية وهى مذيلة بتوقيع السيد أبو الحسن والمرزا حسين :

« جناب حجة الاسلام محمد مهدى الخالصي دامت بركاته • انه لاينبغي الاتكال على وعد السلطة البريطانية فى دفع شر الخوارج الاخوان عن المسلمين فبناء عليه نأمل حضوركم فى كربلاء قبل الزيارة بأيام وتأمرون رؤساء العشائر كالسيد نور وأمير ربيعة وسائر الرؤساء بعد ابلاغهم سلامنا بالحضور كما اننا نحضر مع من فى طرفنا من الرؤساء لاجل المذاكرة فى شأنهم ان شاء الله »(٥٧) •

تقرر أن يكون عقد المؤتمر من ١٠ الى ١٥ شعبان ، ويوافق ذلك من ٨ الى ١٣ نيسان • وقد اختير هذا الوقت بمناسبة زيارة « المحيه » التى تقع في منتصف شعبان • وأرسل الشيخ مهدى الخالصي ولده الشيخ محمد الى الملك يدعوه لحضور المؤتمر فلبى الملك الدعوة وقال انه سيحضر الى كربلاء في يوم ١٤ شعبان • وكذلك أرسل الخالصي الى مائة وخمسين رئيسا من رؤساء العشائر برقية هذا نصها :

« بمناسبة تجاوز الاخوان على حدود العراق تقرر ان يحضر العلماء وجميع رؤساء القبائل فى اليوم العاشر من شهر شعبان المعظم فيلزم حضوركم في اليوم المذكور الى كربلاء » •

وفي أوائل نيسان تألفت فى الكاظمية بايعاز من الشيخ مهدى الخالصي لجنة للاشراف على المؤتمر وتنظيم السفر اليه ، وكان أعضاؤها : نور الياسري وكاظم ابو التمن وقاطع العوادى وعلوان الياسرى وباقر الشبيبي

---

(٥٧) محمد مهدى البصير (تاريخ القضية العراقية) ــ بغداد ١٩٢٣ ــ ج٢ ص ٣٩١ــ٣٩٢ •

وعبدالحسين الجلبي • وقد اجتمعت اللجنة ووضعت منهاجا من ثلاث عشرة مادة طبعته في احدى مطابع بغداد ، وكان أهم ماورد في المنهاج اختيار أربع لجان فرعية هي كما يلي :

اللجنة الاولى تؤلف من محمد الخالصي وعبدالحسين الجلبي وأبو طالب الاصفهاني ومهمتها بث النصح فيوجوب المحافظة على الراحة التامة والسكينة في الاجتماعات • وتسافر اللجنة الى كربلاء عن طريق الحلة والنجف •

اللجنة الثانية تؤلف من صادق الاسترابادي وحمدي الباچچي وعبدالرسول كبة وادريس الكاظمي وعبدالهادي الجلبي ، ويكون كاظم ابو التمن المسؤول عنها والموكول بادارة شؤونها ، ومهمتها اعداد العدة لسفر الشيخ مهدي الخالصي ومن معه من أهل الكاظمية وبغداد الى الحلة فكربلاء •

اللجنة الثالثة تؤلف في كربلاء من محمد حسن ابو المحاسن وعيسى البزاز وخليل الاسترابادي وهاشم شاه ومحمد الكشميري ومحمد رضا نصر الله وعمر العلوان وعبدالكريم عواد ومهمتها تنظيم الاجتماعات في كربلاء •

اللجنة الرابعة تؤلف من رؤساء وخدام العتبات المقدسة في كربلاء ، ومهمتها التعرف على القادمين وتعيين محل سكناهم وتمهيد طريق ايصالهم الى الاجتماعات •

وفيصباح ٥ نيسان غادر الكاظمية حسب الموعد المعين أعضاء اللجنة الاولى وهم محمد الخالصي وعبدالحسين الجلبي وأبو طالب الاصفهاني فذهبوا الى النجف حيث اتصلوا بالسيد أبو الحسن الاصفهاني والمرزا حسين النائيني من أجل تعجيل سفرهما الى كربلاء • وقد استجاب الاصفهاني لطلبهم حالا ، أما النائيني فقد امتنع عن السفر • ويحدثنا الشيخ محمد الخالصي في مذكراته عن امتناع النائيني فيقول مانصه :

« ... ولاقيت المرزا النايينى فامتنع من الحضور معتذرا بأنه بلغه أننا رتبنا منهاجا لهذا الاجتماع . وهو لايوافق على ذلك لان المنهاج من أعمال دعاة المشروطية على ما يقول ، فعجبت من ذلك اشد العجب لان المرزا النايينى كان من أصلب دعاة المشروطية وهو الذى كتب كتاب تنبيه الامة يدعو فيه الى المشروطية والقانون الاساسى والتجدد ، في حين أننا كنا ننكره عليه ولم نزل ننكر ذلك بالمعنى الذى كان النايينى يقصده منه ، على ان المنهاج لاربط له بالمشروطية بوجه . وكان ذلك الرجل الحازم يتجاهل ويتبله ، فلم أزل أناظره ويصر على امتناعه حتى قلت له انك أنت الذى أبرقت بذلك فما وجه امتناعك وكيف نجيب الناس اذا سألوا عن سبب عدم حضورك وما هو العذر عنه ، فلم يؤثر عليه ذلك ولم يزل يزداد اصرارا على عدم الاشتراك في الاجتماع وعدم المضي الى كربلاء . فلما يئست منه فارقته منكرا عليه أخلاقه وأعماله ... » وأخذ الشيخ محمد بعد ذلك يذم المرزا النايينى ذماً قبيحاً لامجال لذكره هنا(٥٨) .

وفي ضحى الجمعة ٧ نيسان تحرك موكب الشيخ مهدى الخالصي من الكاظمية . وخرج أهل الكاظمية لتوديعه ، فامتلأت ساحة باب الدروازة بالناس وهم يهتفون بالصلاة على محمد وآل محمد . فاتجه الموكب نحو جانب الكرخ حيث التحق به الكثيرون من أهل بغداد ، وعند وصوله الى الحلة جرى له فيها استقبال عظيم ، وأغلقت الاسواق له . وبات الخالصى في الحلة فى بيت الشيخ محمد سماكه ، ثم غادرها صباحا متوجها الى كربلاء . وكان رؤساء كربلاء قد خرجوا لاستقباله الى طويريج في أربعة عشر سيارة ، وكان معهم من النجفيين الشيخ عبدالكريم الجزائرى والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي والشيخ باقر الشبيبي . كما خرج لاستقباله أربعمائة فارس من عشيرة المسعود وغيرهم . وعند وصوله الى كربلاء أدى الزيارة ثم نزل في دار المرحوم المرزا محمد تقى الشيرازي(٥٩) .

---

(٥٨) نقلا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصى المخطوطة .

(٥٩) جريدة « الرافدان » ـ في عددها الصادر في ١٢ نيسان ١٩٢٢ .

مشاركة اهل السنة :

كان الشيخ عبدالوهاب النائب قد وجه الدعوة الى عـــدد من علماء السنة ببغداد لحضور اجتماع يعقد في تكية الخالدية للتداول في أمـــــر « الاخوان » وهل يجوز حربهم • وفى صباح ٥ نيسان تم عقد الاجتماع وحضره اكثر المدعوين بينما تخلف البعض منهم ، وكان من بين المتخلفين محمود شكرى الآلوسي وعبدالحليم الحافاتي ويوسف العطـــا وحمدى الاعظمي وسليمان السنوى وقاسم المفتى •

افتتح عبدالوهاب النائب الاجتماع ، وأخذ يذكر الفظائع التى اقترفها الوهابيون في المسلمين العراقيين ، ثم تساءل قائلا « ما تقولون فى هذه الطائفة المسماة بالاخوان ، هل ترون وجوب قتالهم وردعهـــم عن امثال هــــذه التجاوزات نظرا لكونهم هتكوا حرمات المسلمين واستباحوا دماءهم وأموالهم بغير ذنب وتأويل ؟ » ثم استشهد بما فعل أبو بكر بأهل الردة ، وما فعله الامام علي بالخوارج الذين كانوا اكثر من هؤلاء صلاة وصياما • واقترح ان يُقرأ الفصل الخاص بالوهابية فى كتاب ابن عابدين • فقرأ أحـــد الحاضرين فقرة من الكتاب مفادها ان من يستبيح دماء المسلمين كافر تجب مقاتلته ، فوافق الحاضرون على ذلك واجمعوا رأيهم على وجوب الدفـــاع العام • ثم نهض احمد الشيخ داود فتكلم بما يؤيد ذلك • وحصلت محاورة فقهية بين عبدالوهاب النائب وأحمد الشيخ داود في هذا الشأن ، إذ سأل النائب : « ماذا نسمي هؤلاء أبغاة أم خوارج ؟ » فقال أحمد : « انهـــم الخوارج بعينهم » • واشار النائب الى مافعل الامام علي بالخوارج وهو ابن عم المصطفى • فقال الحاضرون : « وأنعم به قدوة » • وذكر أحمد كيف انهم سبوا النساء ووطأوهن مع أنهن من نساء المسلمين • فقال أمجـــــد الزهاوى : « يجب تأديبهم بكل صورة » • وعند هذا قال النائب : « ان اخواننا الجعفرية قد صمموا على الاجتماع واعطاء القرار بهذا الخصوص ولما لم يكن بيننا وبينهم خلاف في أي شيء فكلمتنا واحـــــدة » • فقال الحاضرون : « لاشك في ذلك » •

استقر رأي الحاضرين على انتخاب وفد منهم لحضور مؤتمر كربلاء فأختير النائب رئيسا للوفد ، واختير احمد الشيخ داود وابراهيم الراوى وعبدالجليل الجميل اعضاء • وباشروا بكتابة الفتوى ، وهذا نصها « ماقول علماء المسلمين الاعلام فيمن يدعى الاسلام ويحكم بشرك من خالف معتقدهم من جماعات المسلمين مستحلين قتالهم ودماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم بغير سبب وقد هجموا على بلاد المسلمين عداءاً وبداءاً فهل يجب قتالهم ودفاعهم أم لا ؟ افتونا مأجورين ! الجواب والله سبحانه وتعالى أعلم: نعم يجب قتالهم والحالة هذه » • وقد وقع على هذه الفتوى عبدالوهاب النائب وعبدالملك الشواف وابراهيم الراوى وخضر القاضي ومنير القاضي وعبدالجليل الجميل وطه الراوى ونعمان الاعظمى وعلي القرداغي وأمجد الزهاوى ومحمد رشيد الشيخ داود وخليل حسن النقي وبهاء الدين النقشبندي وأحمد الراوي ومحمد رؤوف[٦٠] •

وفى الساعة الثامنة من صباح ١٠ نيسان خرج موكب علماء السنة من جامع الفضل ببغداد يتقدمهم عبدالوهاب النائب وابراهيم الراوى وأحمد الشيخ داود وعبدالجليل الجميل ، ومعهم عدد من الشباب المثقف • وخرج الجمهور لتوديعهم بأعلامهم وطبولهم • وساروا حتى وصلوا الجسر فعبروه متوجهين الى مقربة من محطة القطار في الكرخ ، ومن هناك ركبوا السيارات متوجهين الى كربلاء حيث وصلوها في الساعة الرابعة بعد الظهر • وبعد أن اجتمعوا بالخالصي في دار الشيرازي توجهوا الى دار قاسم الرشدى فنزلوا عليه ضيوفاً •

وفي مساء ذلك اليوم نفسه وصل الى كربلاء وفدمن الموصل مؤلف من مولود مخلص وسعيد الحاج ثابت وأيوب عبدالواحد وعبدالله النعمة وثابت عبدالنور وعبدالله آل رئيس العلماء وعجيل الياور ومحمد أغا رئيس

---

(٦٠) جريدة « الاستقلال » ـ في عددها الصادر في ٦ نيسان ١٩٢٢ •

الكركرية . ونزلوا في دار عمر العلوان .

ووصلت الى الخالصي برقية من أهل تكريت وشرقاط يذكرون فيها انهم انتدبوا مولود مخلص ليمثلهم في المؤتمر وأنهم مستعدون لتنفيذ أى قرار يصدر منه بأموالهم وأنفسهم(٦١) . ثم وصلت الى الخالصي من تكريت مضبطة بهذا المعنى وهى تحمل التواقيع التالية : النقيب السيد أحمد، رئيس عشيرة تكريت محمد عرب ، رئيس عشيرة تكريت مصطفى الحاج حسن ، رئيس عشيرة البيگات أحمد الخطاب ، رئيس عشيرة البيگات ندا الحسين ، رئيس عشيرة تكريت زيدان الخلف ، رئيس عشيرة الحديثيين مقيم ، رئيس عشيرة الحديثيين سلمان الحاج حميد(٦٢) .

لم يهن على البعض قيام هذا التضامن الطائفي في كربلاء فأخذوا يتقولون عليه وينشرون عنه اشاعات غير حسنة . وقد أشارت الى ذلك جريدة « الاستقلال » حيث قالت : ان بعض المغرضين هالهم مارأوا من تضامن الأمة ووقوفها صفا واحدا تجاه الوهابيين فأخذوا ينفثون سمومهم ، وقد انتهزوا فرصة اتفاق الزعماء على الاجتماع في كربلاء فأخذوا ينشرون الاشاعات الباطلة ويختلقون الاحتمالات التى لاتخطر ببال عاقل(٦٣) . ولم تتحمل وزارة الداخلية هذا الكلام فأصدرت أمرها باغلاق جريدة «الاستقلال» ثلاثة أسابيع بتهمة أنها تنشر أخبارا مشوشة للاذهان(٦٤) .

انعقاد المؤتمر :

اعتذر الملك عن حضور المؤتمر تحت ضغط من كوكس ، ووافق على أن يمثله في المؤتمر وزير الداخلية توفيق الخالدى(٦٥) . ولم يكن

---

(٦١) جريدة « دجلة » ـ في عددها الصادر في ١٣ نيسان ١٩٢٢ .
(٦٢) جريدة « الرافدان » ـ في عددها الصادر في ١١ نيسان ١٩٢٢ .
(٦٣) جريدة « الاستقلال » ـ في عددها الصادر في ٦ نيسان ١٩٢٢ .
(٦٤) جريدة « الاستقلال » ـ في عددها الصادر في ٥ أيار ١٩٢٢ .
(٦٥) عن وثائق دائرة الوثائق العامة بلندن ـ رقم (أف٠ أو٠ ٣٧١ ـ ٧٧٧٠) .

الملك يطمئن الى الخالدى ، كما رأينا ، ولهذا أرسل الى كربلاء نــوري السعيد لكي يمثله بصفة شخصية . وحين وصل نوري الى كربلاء خلع لباسه الرسمى ولبس النعال وأخذ يتصل بالوطنيين من أمثال عثمان العلوان واخيه عمر وقاطع العوادى وقاسم الرشدى . وكان يعاونه فى ذلك مدير شرطة كربلاء هاشم العلوي[٦٦] .

بلغ زوار كربلاء حنيذاك زهاء مائتي ألف ، ولم يسبق أن شهدت كربلاء مثل هذا الازدحام في زيارة « المحية » . وقد ارسلت الحكومة الى كربلاء قوة من الجند للمحافظة على الامن مؤلفة من ٢٠٠ جندي من المشاة و ٣٠٠ من الخيالة ، بقيادة محي الدين السهروردى . وذهب الشـيخ محمد الخالصي لزيارة الجنود فى مقرهم بصحبة محمد حسن أبو المحاسن ، وألقى عليهم كلمة أشار فيها الى مطاليب العراق وحذرهم من أن يخدعهم الانكليز فيستعملوا السلاح ضد اخوانهم المسلمين . وقد رد أحد الضباط عليه بكلمة حماسية أشعرته بان الجيش سيقف الى جانب الوطنيين اذا قامت الحرب بينهم وبين الانكليز[٦٧] .

وفي صباح ٩ نيسان افتتح المؤتمر باجتماع تمهيدى حضره الشـيخ مهدي الخالصي والسيد أبو الحسن الاصفهانى وتوفيق الخالدى وكبـار المدعوين . وقد تقرر في ذلك الاجتماع تنظيم مضابط يوقعها الرؤسـاء والوجهاء وتتضمن مبادىء الشعب ومقاصده الاساسية المتعلقة بقضـية « الاخوان » . وفي الاجتماعات التى عقدت في الايام التالية جرى تنظيـم المضابط والتوقيع عليها . وهذه صورة لواحدة منها :

بسم الله الرحمن الرحيـم

نحن الموقعين ادناه سادات وزعماء ورؤساء قبائل العراق أصالة عن

(٦٦) صالح جواد كاظم (المصدر السابق) ـ ص ١٧٨ .
(٦٧) نقلا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصى المخطوطة .

انفسنا وتمثيلا عن افراد قبائلنا تلبية لدعوة حجج الاسلام دامت بركاتهم الذين يجب علينا اطاعتهم وهي فرض دياتنا اللازمة في اعناقنا كل وقت وحين ، قد حضرنا كربلاء المشرفة في اليوم الثاني عشر من شهر شعبان ١٣٤٠ وبارشاد رؤساء الدين العلماء وبناءاً علىّ ما أوقعه الخوارج الاخوان بأخواننا المسلمين من الافعال الوحشية من القتل والسلب والنهب ، فقد تعاهدنا وتعاقدنا واتفقت كلمتنا بحيث لايخالف بعضنا بعضا فيما تقتضيه مصلحة بلادنا وحفظ المشاهد المقدسة وقبور الاولياء فقررنا مدافعة الخوارج الاخوان ومقاتلتهم بمعاضدة جيش مليكنا النظامي بكل ما في وسعنا واستطاعتنا واتخاذ التدابير اللازمة ، وبناءاً على تعلقنا بعرش جلالة مليكنا المعظم فيصل الاول دامت شوكته فأمر كيفية دفاع الخوارج الاخوان ومقاتلتهم وعدد المدافعين من القبائل وسلاحهم واعاشتهم ومكانهم وزمانهم وتنظيمهم عائد لارادة صاحب الجلالة مليكنا وتدبيره الصائب غير أننا نطلب استرداد الاموال المنهوبة وتأدية ديات قتلانا التي سفكت دمائها ظلما وعدوانا . وقد نظمنا بذلك نسختين قدمنا واحدة لعرضها لاعتاب صاحب الجلالة والثانية تبقى تحت اشراف العلماء الاعلام والله المستعان[٦٨] .

وفي صباح ١٣ نيسان ، وهو يوافق منتصف شعبان ، انعقد الاجتماع النهائي في دار الشيرازي ، وكان اجتماعا عاما كبيرا . فأفتتحه جعفر أبو التمن حيث قرأ برقية وصلت من الملك في شكر القائمين بالمؤتمر ، فوقف الحاضرون احتراما لها . ثم ألقى أبو التمن خطابا أثنى فيه على علماء الدين لعنايتهم بأمر سلامة البلاد وبسط فيه الفظائع التي اقترفها الاخوان في الحجاز والعراق ، وختم خطابه بالدعاء للملك ولعلماء الدين والثناء على أعضاء المؤتمر . ثم انفض المؤتمر قبيل الظهر[٦٩] .

---

(٦٨) جريدة « العراق » ـ في عددها الصادر في ١٥ نيسان ١٩٢٢ .
(٦٩) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ـ ج٢ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٨ .

ومما يلفت النظر انه في الوقت الذي كان فيه المؤتمر منعقدا خرجت جريدة « العراق » وفيها خبر مفاده ان جعفر أبو التمن مرشح لوزارة التجارة(٧٠) • وفي ١٥ نيسان صدرت الارادة الملكية باسناد الوزارة الى أبو التمن فعلا • ويعلق غريفز على ذلك قائلا : إن تعيين أبو التمن كان بمثابة ترضية من النقيب للمتطرفين(٧١) •

ولكننا يجب ان لاننسى في هذا الصدد ان دخوله أبو التمن في الوزارة أعقبه بعد تسعة ايام دخول رجل آخر يعد مناقضا له في موقفه السياسي ، هو عبدالمحسن السعدون • فقد أسندت الى السعدون وزارة العدلية • وقد لعب هذا الرجل فيما بعد دورا مهما جدا في السياسة العراقية المؤيدة للانكليز ـ كما سنأتي اليه بتفصيل في الفصل القادم •

الرؤساء المنشقون :

كان مؤتمر كربلاء في ظاهره هادئا غير أنه في الحقيقة لم يكن كما يبدو في الظاهر ، فقد حصل انشقاق بين رؤساء العشائر في أثناء المؤتمر حيث امتنع بعضهم عن توقيع المضابط وكان على رأسهم عداي الجريان رئيس ألبو سلطان ، ورشيد العنيزان رئيس عشيرة اليسار ، وعمران الزنبور رئيس بني عجيل ، وشمران الچلوب رئيس آل فتلة الهندية ، ومراد الخليل رئيس الجبور(٧٢) •

وقد اجتمع هؤلاء المنشقون في الحلة عقب انفضاض مؤتمر كربلاء ، وقرروا تنظيم مضبطة مضادة لمضابط المؤتمر يحتجون فيها على تدخل علماء الدين في أمور السياسية ويعلنون تمسكهم بالانتداب البريطاني •وقد اتصل ثلاثة منهم بعلي السليمان رئيس الدليم ، فقال لهم انه سوف يذهب

---

(٧٠) جريدة « العراق » ـ في عددها الصادر في ١٢ نيسان ١٩٢٢ •

(71) Graves (op. cit.) - p. 310.

(٧٢) جريدة « العراق » ـ في عددها الصادر في ١٧ نيسان ١٩٢٢ •

الى بغداد لمقابلة كوكس والحصول على رأيه في هذا الموضوع وطلب منهم ملاقاته في بغداد •

وفي ١٩ نيسان وصل علي السليمان الى بغداد وقابل كوكس ليسأله عن رأيه في أمر تنظيم العريضة المضادة ، فنصحه كوكس بأن لا يفعلوا ذلك حيث قال ان أية مضبطة تصدر منهم بعد التشاور معه سيعتبرها الناس دسيسة بريطانية وتكون اذن بلا فائدة • وأرتاى كوكس أن من الافضل لهم أن يذهبوا لمقابلة الملك ويوضحوا له الاخطار التي يقوده المتطرفون اليها ويقودون البلاد معه •

وفي ٢٣ نيسان ذهب علي السليمان ومعه أربعون من رؤساء العشائر لمقابلة الملك • وأخذوا يتحدثون اليه بما أوصاهم به كوكس فذكروا له بعبارات واضحة انهم لم يقسموا بالولاء له الا بشرط أن يصغي للنصائح البريطانية • وفي اليوم التالي ذهبوا جميعا لمقابلة النقيب ، وقد حبذ لهم النقيب تنظيم المضبطة المضادة وشجعهم عليها • فقرروا الأخذ برأيه ، ونظموا مضبطة طويلة ملأوها بالشتائم على المؤتمر وعلى القائمين به • وهذا نصها :

« كنا قد دعينا الى الاجتماع في كربلا المشرفة الذي كان ميعاده من يوم ١١ الى ١٤ شعبان ١٣٤٠ فلبينا الدعوة • وبعد أن اجتمعنا بحجة الاسلام الشيخ مهدي الخالصي واطلعنا على الورقة التي يراد توقيعها فوجدنا ان تلك المطاليب المدرجة فيها لا فائدة منها للحكومة والبلاد ولمحنا من وراء الستار أن نوايا الذين وقعوا تلك الورقة هي نوايا مضرة بمصالح الحكومة العراقية وجالبة للويلات والمصائب على هذه البلاد كما جربنا ذلك من قبل • ومن حيث اننا في بادىء الأمر كنا بايعنا سيدنا المفدى جلالة الملك فيصل الاول بصورة معروفة وشرائط معلومة مما لا يتزلزل أبديا لذلك رفضنا الاشتراك بتوقيع تلك الورقة حفظا لهذه البلاد وشرف

الحكومة العراقية من القلاقل والمشاغب التي تؤول الى الخراب والدمار •
ولقد اجتمعنا نحن الموقعين أدناه رؤساء قبائل العراق وبحثنا فيما يسعد هذا الوطن ويدعم أركان حكومته ويجلب الخير والرّفاه والاطمئنان لاهل البلاد والبادية من سكانه فرأينا ذلك منحصرا في المواد الآتية :

(١) من حيث ان حكومتنا العراقية هي الان في الدور الابتدائي ومحتاجة الى من يمد اليها يد المساعدة ماديا وأدبيا فالى أن تبلغ درجة الكمال والاستغناء عن الغير يجب أن يطلب من حكومة بريطانيا المنتدبة من قبل عصبة الأمم على العراق كل المساعدات المطلوبة والتي يتوقف عليها توطيد أركان حكومة العراق كحفظ النظام وتوطيد الامن واعمار البلاد ويجب أن يعتمد عليها كصديق مخلص للبلاد وأهل البلاد •

(٢) من حيث أن أغلب رجال هيئة الحكومة الحاضرة ليسوا من العرب الخلص الذين تشكل منهم اكثرية العراق الساحقة وليس لهم تجربة ولا علم في شؤون البلاد وأحوال العباد بل هم لفيف من عناصر مختلفة لا يمكن أن تثق العشائر بهم أو تضع اعتمادها فيهم يجب أن يستبدلوا برجال البلاد المعروفين الذين يمكن أن يوثق بهم ويعتمد عليهم وتخولهم في هذه البلاد مراكز اجتماعية خاصة بين العشائر •

(٣) اذا تم تشكيل هيئة الحكومة العراقية من الذين مر وصفهم في المادة الثانية يجب تشكيل مؤتمر عراقي يبت شكل الحكومة ونوع الادارة في هذه البلاد •

بناء عليه نسترحم الاسراع في تطبيق هذه المواد الثلاثة لتهدأ الافكار وتطمئن القلوب والله الموفق للاصلاح[٧٣] •

---

(٧٣) عثرت على هذه الوثيقة من بين وثائق البلاط الملكي وهي مكتوبة على ورقة مفردة خالية من التاريخ والتواقيع • ومن الواضح انها ليست المضبطة الاصلية بل هي نسخة عنها كتبت لتحفظ في وثائق البلاط في حينه •

وبعد تنظيم هذه المضبطة عرضوها على كوكس فنصحهم بعدم تقديمها على أساس ان موقفهم معروف وقد حقق الاثر المطلوب • وكان كوكس يخشى أن يؤدي تقديم هذه المضبطة الى تنظيم مضابط مضادة من قبـل خصومهم • والواقع ان ما كان يخشاه كوكس قد حصل فعلا • فان أفراد بعض العشائر التابعين لاصحاب المضبطة بدأوا ينظمون مضابط يعلنون فيها أنهم لايعترفون برؤسائهم الحاليين وانهم يريدون اختيار رؤساء غيرهم • وأرسل هؤلاء الافراد مضابطهم الى الخالصي بنسختين لكي يحتفظ الخالصي بنسخة منها ويقدم الاخرى الى الحكومة(٧٤) •

وفي الوقت نفسه وصل الى الحلة السيد جعفر أبو طبيخ ومعه عدد من رؤساء الخزاعل للتوقيع على المضبطة الاولى المعادية للمؤتمر • وصرح السيد جعفر ان جميع عشائر الشامية يقفون وراءهم باستثناء السيد نور الياسري وابن عمه السيد علوان وعبدالواحد الحاج سكر ، وان سالـم الخيون وخيون العبيد وبعض رؤساء المنتفق يؤيدونهم أيضا • ثم عقدوا اجتماعا كبيرا في الحلة حضره مستشار اللواء حيث أبلغوه ان الفرات كله متكتل بحزم لمقاومة أي تدخل ضد الانتداب البريطاني(٧٥) •

بين كوكس وفيصل :

ان الوثائق السرية التي أمكن الحصول عليها مؤخرا تدل دلالـة واضحة على ان صراعا شديدا حدث بين كوكس والملك فيصل حـول مؤتمر كربلاء ، فقد كان الملك يؤيد المؤتمر كما لاحظنا، بينما كان كوكس يرتاب من المؤتمر ويخشى من عواقبه ويعتبره دسيسة من البلاشفـة والاتراك لاثارة العراقيين ضد الانكليز • ففي ٤ نيسان ــ أي قبل انعقـاد المؤتمر بخمسة ايام ــ كتب كوكس الى سكرتير الملك رسالة مكتومـة طويلة قال فيها ما يلي :

---

(٧٤) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ــ ج ٢ ص ٣٩٨ •
(٧٥) صالح جواد كاظم (المصدر السابق) ــ ص ١٨٣ •

« ان السلطات العسكرية لديها معلومات محددة مفادها ان البلاشفة والكماليين ينسقون الخطط لخلق المصاعب للحكومة العراقية وللسياسة البريطانية في العراق ... وقد تسلمت قبل أيام قليلة من الوزير المفوض البريطاني في طهران نسخة من نداء موجه من النجف في ١٥ ربيع الاول - تشرين الثاني ١٩٢١ - الى الوزير المفوض الروسي وهو يتضمن تهجما على السياسة البريطانية في العراق وعلى الملك فيصل ... ان الخطط التركية البلشفية كما يعلم جلالة الملك لا تزال مستمرة وهي تجري في نفس الوقت الذي ظهرت فيه الحركة المنبعثة من النجف بسبب غارة الاخوان على العشائر العراقية والتي استغلت التذمر العام الناتج عن تلك الغارة ... وقد وصلتني أخبار من مصدر أعتقد أنه حسن الاطلاع مفادها أن الدفاع ضد هجمات الاخوان ليس سوى حجة ظاهرية وأنه ليس السبب الحقيقي للاجتماع الذي سيحضره الشيوخ والعلماء في كربلاء ، والمظنون ان هذه الحركة هي في الواقع نتيجة ما دار في الاوساط المطلعة عن وجود تعثر في مفاوضات المعاهدة حول موضوع الانتداب ، وان في النية ترغيب الملك لحضور الاجتماع في كربلا لكي يجبروه على طلب الاستقلال التام فورا من الحكومة البريطانية . وفي حالة عدم اجابة الطلب فان المتطرفين في بغداد يؤيدهم شيوخ الفرات الذين شاركوا في ثورة العشرين سوف يقومون بتجمع وطني لارغام الحكومة البريطانية على ما يريدون . ومن أجل الوصول الى اهدافهم فانهم سيحاولون في البداية الحصول على الاسلحة من السلطات البريطانية بحجة الدفاع ضد الاخوان ... » . ويختم كوكس رسالته بقوله : « ان المعلومات التي تضمنتها هذه الرسالة بالاضافة الى الاتجاه العام للاستخبارات العسكرية ربما أعطت جلالة الملك وحكومته مادة للتأمل الجدي النشيط ، وخاصة بالنظر لما ذكرته الجرائد من ان ضغطا سلط على جلالة الملك لدفعه الى حضور المؤتمر الذي سيعقد في كربلا تحت رعاية الشيخ مهدي

الخالصي » • ثم يقول كوكس : « ان مقصد هذه الرسالة ومحتوياتها من الضروري ان تعامل بسرية ، ولكني مع ذلك لا أمانع من ايصالها بصورة مكتومة الى الوزارة والى صاحب الفخامة رئيس الوزراء » •

وبعد يومين من كتابة هذه الرسالة أرسل كوكس برقية الى لندن كرر فيها ما ذكره في تلك الرسالة من كون المؤتمر من تدبير البلاشفة والاتراك ، ولكنه أضاف الى ذلك ما يدل على أنه متذمر من سلوك الملك حيث قال ما نصه :

« ان كل المعلومات التي في حوزتي وحوزة المقر العام في هذا الشأن قد قدمتها الى الملك والى النقيب ، غير أن الملك ظل متمسكا برأيه في أن اهداف المؤتمر غير مضرة وانه قادر على السيطرة على المؤتمر • أما النقيب فهو مضطرب بشكل لا يقل جدية عما أنا عليه من احتمال سقوط الملك في أيدي المتطرفين والشيعة • وقد بذلنا أنا وكورنواليس جهدنا لاقناع الملك بأن حضور المؤتمر سيكون خطأ كبيرا منه ، فوعد بأنه سيراقب التطورات في الايام القليلة القادمة قبل أن يتخذ قراره النهائي • ان خوفا حقيقيا من التطورات يوجد لدى المعتدلين • ويعزو الكثيرون الحركة كلها الى الملك نفسه باعتبار أنه ينتهز الذعر من الاخوان (وهو الذعر الذي يجري استغلاله الى أقصى حد) للحصول أولا على دعم شعبي له في موقفه من الانتداب ، وثانيا لارغام وزرائه على الموافقة على توسيع الجيش وتوفير ما يلزم لذلك من أموال • ان الملك يعترف بقيام المجتهدين بتوجيه دعوات الى شيوخ العراق • وهو لم يستشرني أو يستشر كورنوالس ناهيك عن النقيب قبل أن يساعد الحركة • واعتقادي انه فعل ذلك من غير ان يدرك نذر الحركة او احتمالاتها الكاملة » •

وفي ١٩ نيسان أرسل كوكس الى لندن برقية أخرى هذا نصها :

« ان الاجتماع في كربلاء قد انفض والزوار غادروا البلدة • وقد اخبرتكم

قبل هذا بالنتائج السياسية للمؤتمر ، ولكن من الواضح ان المؤتمر تضمن بالاضافة الى اجتماعاته الشكلية شيئا كثيرا من النقاش الحاد • وعندى معلومات وافية عن هذا النقاش بالنسبة الى طبيعة الحزبين اللذين حصل بينهما النقاش • ان المتطرفين والعلماء قد شعروا بالخيبة والحنق لفشلهم في انتاج الهياج الذى أرادوه من جراء ما أبداه الشيوخ من تعقل وما فرضته السلطة من قيود رسمية • ومن الناحية الاخرى كان هناك تجمع يمثل الشيوخ الذين كرهوا أن يجرهم العلماء الى السياسة مرة أخرى • يضاف الى ذلك أن هناك كثيرا من الشيوخ كانوا أقوياء بدرجة استطاعوا بها أن يعربوا عن رأيهم بقوة في هذا الموضوع ويمتنعوا عن المشاركة فيه • إن جزءا كبيرا من «الهواء الساخن» يصل الينا الآن من كلا الحزبين وسوف لا يزول الا بعد مضي بعض الوقت • وتدعي جرائد المتطرفين ان المؤتمر قد دعم موقف الملك كثيرا في مفاوضاته مع الانكليز حول المعاهدة على أساس رفض الانتداب والحماية والحصول على الاستقلال التام • وفي الحقيقة ان هذا هو ما كان يأمله المتطرفون ، ولكنهم لم يحصلوا عليه • ومن الناحية الاخرى هناك علامات تدل على ان من نتائج مؤتمر كربلا هبوط سمعة الملك وأعوانه في نظر اولئك الذين يريدون ابقاء الانتداب » • وينهي كوكس برقيته بقوله : « ظهرت عدة نظريات لتعليل هدف مؤتمر كربلا وكيف انبعثت فكرته تعليلا دقيقا ، حيث عزيت دوافعه الى البلاشفة او الملك حسين أو مصطفى كمال أو غيرهم ، غير أنه ليس من الصواب الاطمئنان الى أية نظرية من هذه النظريات الا بعد أن يهدأ الوضع ويستقر » •

يبدو ان الملك لم يشأ ان يستمر في صراعه مع كوكس ، ولعله خاف من العواقب ، فأخذ يظهر شيئا من التراجع تجاه كوكس • فقد كتب كوكس في ٢٥ نيسان برقية الى لندن هذا نصها :

« ان فيصل قد تأثر كما اعتقد باتجاه الرأي العام الذي ظهر منـــذ مؤتمر كربلا وبموقف عدد من الشيوخ الذين تجمعوا هنا ، فاستدعانـي اليوم بصورة مستعجلة لبحث الوضع العام ، وكان كورنواليس حاضرا ، وتحدث باسهاب كبير قائلا انه يشعر بان علاقاته معنا في الشهر الماضـي كانت تتخللها الشكوك ، وبأن الوضع الناجم مقلق وليس مرضيا ، وأنـه يشعر بأن من الضروري تصفية الجو وأكد تعلقه ببريطانيا الذي لاينفصم • وأضاف قائلا انه يدرك انه ربما ارتكب بعض الاخطاء غير أنه لم يفعـل ما فعل الا وهو معتقد بأنه يسعى لانجاح السياسة التي جاء من أجلها الى العراق بدعوة منا • وقال ان عليه ان يتذكر دائما بأننا أعربنا عن عجزنا عن مساعدته بالأموال والقوات خارج نطاق برنامج التخفيض ، وان عليه أن يعتمد على جهوده الخاصة قدر الامكان » •

وفي ٢٩ نيسان أبرق كوكس الى لندن مرة أخرى يقول : «لاشك أن الاحداث الأخيرة كان لها تأثير ممتاز في المعتدلين وفي تأديب فيصل معاً فقد جاء الملك اليوم لرؤيتي راجيا ان لا يحصل لدى حكومة صـاحب الجلالة البريطانية انطباع بأنه يعمل ضدها أو يعارض سياستها في أي حال من الاحوال ، واذا وجد أنه قد أخذ على عاتقه مهمة ليس في مقـدوره انجاحها فانه سيعتزل الحياة في بريطانيا ، غير أنه لن يخسر صداقتنا ••• انه أخذ يدرك الآن قوة العناصر المعتدلة ••• وان هذا تقدم كبير ، واعتقد انه جدير بأن أبلغك به بلا تأخير »(٧٦) •

الاتفاق مع ابن سعود :

يعتبر مؤتمر كربلا فاشلا بوجه عام ولكنه مع ذلك لم يكن خاليـا من بعض الفوائد للعراق • ومن هذه الفوائد أنه جعل كوكس يبذل جهده

---

(٧٦) نقلنا هذه البرقية وما قبلها عن وثائق دائرة الوثائق العامة بلندن ــ رقم (اف• او• ٣٧١ــ٧٧٧٠)

لتسوية النزاع بين العراق وابن سعود بشكل ينسجم مع مصلحة العراق الى حد غير قليل •

في أيار ١٩٢٢ ـ أي بعد مرور نصف شهر على مؤتمر كربلا ـ عقد في المحمرة مؤتمر بتدبير من كوكس حضره وزير المواصلات والاشغال صبيح نشأت مندوبا عن العراق ، وأحمد بن ثنيان مندوبا عن ابن سعود ،كما حضره الميجر بورديلون سكرتيركوكس مندوبا عنه • وفي ٥ أيار تم التوقيع على معاهدة لتحديد الحدود بين الدولتين السعودية والعراقية ، وهي المعاهدة التي عرفت باسم «معاهدة المحمرة» •

لم يكد ابن سعود يطلع على معاهدة المحمرة حتى ثار به الغضب وأعلن أنه يرفض توقيع المعاهدة بحجة أن مندوبه في مؤتمر المحمرة كان متساهلا وأنه خرج عن نطاق توصياته التي أوصاه بها • وأخذ ابن سعود يعلن تذمره من الانكليز بدعوى أنهم صاروا يميلون الى العائلة الهاشمية ضدا له •

كان الكاتب اللبناني المعروف أمين الريحاني في زيارة لابن سعود في تلك الايام ، وأخذ ابن سعود يتحدث له عن الانكليز وعلاقته بهم حيث قال : « يظن الناس أننا نقبض من الانكليز مبالغ كبيرة من المال • والحقيقة أنهم لم يدفعوا لنا الا اليسير مما تستحقه الاعمال التي قمنا بها أثناء الحرب وبعدها • ونحن لا نخلف معهم قبل أن يخلفوا معنا • بيننا وبينهم عهد نحافظ عليه ولو تضررنا في أنفسنا ومصالحنا •• الانكليز مديونون لنا ، ترى الصحيح يا استاذ ، ونحن لا نطالبهم ، من العار أن نطالبهم • ولكن ما هي سياستهم الآن ، تراهم يغزلون ويغزلون • تراهم يدسون الدسائس علي ـ علي أنا صديقهم ابن سعود ـ أحاطوني بالاعداء • أقاموا دويلات حولي ، ونصبوا من أعدائي ملوكا ، وهم يمدونهم دائما بالمساعدات المالية والسياسية• الشريف فيالحجاز ، وابنه عبدالله في شرق

الاردن ، وابنه فيصل في العراق .. ما القصد من هذه الاعمال ؟ وما الداعي اليها ؟ أنا ابن سعود صديق الانكليز وهم في سياستهم الشريفية يعاملوني معاملة العدو ... من هو ابن سعود في نظر الشريف وأولاده هو الجلف الكافر الخارجي . ترى الصحيح يا حضرة الاستاذ . قد قالوا ذلك . بل قالوا اكثر من ذلك . وهم مع ذلك يطلبون مني أن أحمل على الفرنسيين في سوريا لاخرجهم منها . ترى الصحيح » . وعند وصول ابن سعود في كلامه الى هذه النقطة نادى أحد كتابه وأمره أن يحضر بعض أعداد جريدة «القبلة» التي كان الملك حسين يصدرها في مكة يومذاك ، وكانت تحتوي على مقالات كلها مطاعن في ابن سعود وتطلق عليه لقب بـ «الجلف الخارجي» ... ثم عاد ابن سعود الى الكلام فقال : « لا نسلم بذرة من حقوقنا ، ولكننا لا نقول في أعدائنا ما يقولون فينا ، ولا نطلب غير ماكان لآبائنا واجدادنا من قبلنا . ليعلم ذلك الانكليز ... وليعلم ذلك الشريف واولاده ... »[(٧٧)] .

طلب كوكس من ابن سعود الاجتماع للنظر من جديد في معاهدة المحمرة ، وتقرر أن يكون الاجتماع في «العقير» وهو موضع للكمرك على ساحل الخليج العربي مقابل البحرين . وقد وصل كوكس الى هناك في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٢ ومعه حاشية مؤلفة من صبيح نشأت وزير المواصلات والاشغال ، وفهد الهذال رئيس عشيرة عنزة ، والميجر مور القنصل البريطاني في الكويت ، والميجر ديكسون الوكيل السياسى البريطاني في البحرين .

بدأت المفاوضات بين الفريقين في اليوم التالي ، واستمرت ستة أيام ، وكان ابن سعود يصر على أن تكون حدوده عند نهر الفرات ، بينما كان صبيح نشأت يريد أن يجعل الحدود على بعد مائتي ميل الى الجنوب

---

(٧٧) أمين الريحاني (ملوك العرب) ـ بيروت ١٩٥١ ـ ج١ ص ٦١ـ٦٢ .

من الفرات • وحاول كوكس ان يوفق بين المطلبين غير أن ابن سعود كان متصلبا في موقفه لا يتزحزح • وفي اليوم الاخير من المفاوضات نفد صبر كوكس من تصلب ابن سعود وظهر الغضب عليه ، وحين رأي ابن سعود ذلك غير موقفه فجأة ووافق على ما كان يريده كوكس منه • يروي الميجر ديكسون ما جرى في اليوم الاخير من المفاوضات فقال ما نصه :

« وفي النتيجة عندما حصل الاجتماع الاخير لم يكن حاضرا سوى كوكس وابن سعود والميجر مور وأنا • وقد اشتد غضب كوكس على ابن سعود واصفا موقفه بالطفولي ، فشاهدنا منظرا عجيبا من ابن سعود حين وبخه كوكس • ان ابن سعود كاد ينهار وأخذ يتكلم بشكل مثير للشفقة قائلا : ان كوكس هو الذي خلقه ورفعه الى هذه المكانة التي هو فيها ، وانه سوف يتنازل عن نصف مملكته اذا أمر كوكس بذلك • وعند هذا تم الاتفاق على الحدود الموجودة حاليا • انها الحدود التي قام برسمها فعلا السر برسي كوكس نفسه ••• »[٧٨] •

كانت الحدود التي اتفقوا عليها تتضمن بقعة حددت بشكل معين ، كأنها قطعة لوزينج أو بقلاوة ، وتبلغ مساحتها ما يزيد على سبعة الاف كيلومتر مربع قليلا ، وقد عرفت فيما بعد دوليا باسم «البقلاوة» ويقال ان صبيح نشأت هو الذي أطلق عليها هذا الاسم • وهي بقعة ذات أهمية كبيرة للقبائل العراقية والنجدية لانها تضم آبارا جيدة ، فكان الاتفاق عليها أن تكون محايدة حيث يجوز للقبائل من كلا الجانبين ارتيادها[٧٩] • فأصبحت بذلك «قطعة بقلاوة للجميع» ـ على حد تعبير أمين الريحاني[٨٠] •

---

(78) Graves (op. cit.) - p. 322 - 323.

(٧٩) صادق حسن السوداني (العلاقات العراقية السعودية) ـ رسالة جامعية غير مطبوعة ـ ص ١٢٥ •

(٨٠) أمين الريحاني (نجد الحديث وملحقاته) ـ بيروت ١٩٥٤ ـ ص ٣١٣ •

وبهذا حُلت مشكلة كانت تعتبر من أهم الاسباب التي تثير النزاع على الحدود بين الدولتين ٠

ويروى ان تحديد الحدود بتلك الصورة ترك شعورا مريرا في قلب ابن سعود ، فطلب مقابلة كوكس على انفراد ، فجاء كوكس اليه ومعه ديكسون ، وأخذ ابن سعود يخاطبه بصوت كئيب قائلا : « لقد وثقت بك ولكنك حرمتني من نصف مملكتي ، والافضل أن تأخذها كلها وتدعني أذهب الى المنفى » ٠ وحين كان ابن سعود يتكلم كان الدمع يكاد ينفجر من عينيه ٠ فتأثر كوكس من هذا المنظر وأمسك بيد ابن سعود وقال له : « اني أدرك مدى تأثرك ، ولهذا السبب أعطيتك ثلثي مساحة الكويت ، ولست أدري كيف سيتلقى ابن صباح هذه الصدمة »[٨١] ...

معنى هذا ان كوكس أخذ من ابن سعود ليعطي العراق ، ثم أخذ من الكويت ليعطي ابن سعود ٠ ويقال أن امير الكويت عاتب كوكس بعدئذ على مافعل معه ، فأجابه كوكس : «انه في تلك المناسبة السيئة كان السيف أقوى من القلم وأنه لو لم يسلم تلك الاراضي لابن سعود لكان بكل تأكيد أخذها وربما أخذ اكثر منها بقوة السلاح ، واني قد ارضيت جارك القوى وزرعت في نفسه شعورا وديا تجاه الكويت » ٠ فقال له أمير الكويت : « اذا كان الامر كذلك فاذا توفي ابن سعود في يوم من الايام وأصبحت انا قويا كجدي مبارك فهل تمانع الحكومة البريطانية اذا رفضت خط الحدود هذا غير العادل واستعدت الاراضي التى فقدتها ؟ » فضحك كوكس وقال: « كلا وليبارك الله جهودك »[٨٢] ٠

---

(٨١) حسين خلف الشيخ خزعل (تاريخ الكويت السياسى) ــ بيروت ١٩٧٠ ــ ج٥ ــ ص ١٤٤ ٠

(٨٢) المصدر السابق ــ ج٥ ص١٤٦ ٠

الفصل الرابع

الصراع بين كوكس وفيصل

رأينا في الفصل الماضي بعض مظاهر الصراع بين كوكس والملك فيصل حول تشكيل الوزارة وحول غارة «الاخوان» ومؤتمر كربلا والواقع ان الصراع بين الرجلين لم يقف عند حد معين بل كان مستمرا يخمد تارة ويلتهب تارة أخرى • وكانت هناك اسباب متعددة تعمل على اثارته من جديد كلما مال الى الخمود •

لوحظ هذا الصراع بوضوح في منطقة الفرات الاوسط ، فقد كانت هذه المنطقة ذات أهمية خاصة بالنسبة للملك وللانكليز في آن واحد • فهي موطن ثورة العشرين وكانت عشائرها منقسمة الى فريقين متعاديين : موالية للانكليز ومعارضة لهم • وكان الملك يتحبب للعشائر المعارضة ويقرب رؤساءها اليه ويجعلهم من مستشاريه وأعوانه • فكان ذلك يغيظ كوكس ويجعله دائم التذمر من الملك •

كان الملك حريصا على تعيين موظفين في الفرات الاوسط يسيرون على خطته في تقريب العشائر المعارضة ومساعدتهم • ففي منتصف تشرين الاول ١٩٢١ تمكن من تعيين علي جودت الايوبي متصرفا للواء الحلة ، وكان هذا الرجل من الضباط الذين حاربوا مع فيصل في الحجاز وسوريا ، وحين تسلم وظيفته في الحلة أخذ يسير في ادارة اللواء سيرة ترضي الملك وتغضب الانكليز[١] ، حيث أخذ يحابي الرؤساء الذين شاركوا في ثورة العشرين كما عين في الاقضية التابعة له قائمقامين يسيرون على خطته • وذكر الايوبي في مذكراته ان الشيخ مهدي الخالصي كان راضيا عنه وعن سلوكه في

---

(١) يوسف كركوش الحلي (تاريخ الحلة) ـ النجف ـ ١٩٦٥ ـ ج١ ص ١٨٠ •

ادارة اللواء حتى أنه كتب له كتابا يشكره فيه • وقد نشر الايوبي في مذكراته صورة زنكغرافية لكتاب الخالصي للتدليل على أنه كان في ذلك الوقت من الوطنيين •[٢]

وقد حاول الملك أن يعين للواء كربلا متصرفا من طراز الايوبي ولكنه لم يوفق • فقد كان حميد خان يومذاك متصرفا في كربلا ، وهو رجل يحبه الانكليز ، فعزله الملك وعين في مكانه رجلا من أعوانه اسمه الحاج سليم • ولكن هذا الرجل لم يكد يصل الى كربلاء حتى لحق به رجل مرسل من كوكس وأعاده الى بغداد • فأحدث ذلك توترا شديدا بين الملك وكوكس • وقد توسط النقيب بينهما فاقترح حلا وسطا هو تعيين عبدالعزيز القصاب في كربلا بدلا من حميد خان أو الحاج سليم[٣] • وكان القصاب حينذاك متصرفا في الكوت فانتقل الى كربلا ووصلها في أوائل شباط ١٩٢٢ وسار فيها سيرة حيادية قيل عنها انها لا ترضي الملك ولا تغضب المندوب السامي •

مشكلة المعاهدة :

كانت المعاهدة اكبر سبب للصراع بين فيصل وكوكس ، ومن الممكن القول انها كانت وراء جميع مظاهر الصراع بين الرجلين على وجه من الوجوه •

أشار كوكس في مذكرة له نشرت فيما بعد الى مشكلة المعاهدة وكيف بدأ الخلاف حولها بينه وبين الملك ، فهو يقول انه هو الذي اقترح على الحكومة البريطانية ان تقوم العلاقة بينها وبين العراق على أساس معاهدة بدلا من الانتداب ، وذكر ان السبب الذي دعاه الى ذلك هو أنه وجد العراقيين ينفرون من فكرة «الانتداب» ويفسرونها بمعنى « الانقياد للسلطة المنتدبة » ،

---

(٢) علي جودت (ذكريات) ـ بيروت ١٩٦٧ ـ ص ١٥٥ •
(٣) عبدالعزيز القصاب (من ذكرياتي) ـ بيروت ١٩٦٢ ـ ص ٢١٧ •

وقد وافقت الحكومة البريطانية على رأيه غير أنها كانت تريد معاهدة في حدود المقصود من الانتداب ، بينما كان الملك فيصل يريد الغاء الانتداب الغاءا تاما والتعويض عنه بمعاهدة تحالف بسيطة[٤] .

أما الملك فقد أوضح موقفه من المعاهدة في حديث له مع أمين الريحاني في وقت لاحق اذ قال له ما نصه :

« وعدني المستر تشرتشل وعدين : أن يلغي الانتداب ، وان يعترف بأستقلال العراق . وقد جاءنا الآن بمعاهدة طافحة بذكر الانتداب وعصبة الامم . فاذا كان الانتداب فما الفائدة من المعاهدة وما الغرض منها ؟ واذا كانت المعاهدة فما الحاجة الى الانتداب ؟ غني عن البيان أن أحد الصكين غير لازم وغير مفيد . اننا مصرون على ما وعدنا به المستر تشرتشل ، وهو ما يطلبه العراقيون ، المعتدلون منهم والمتطرفون . واني لازال أعتقد وآمل أنه يبر بوعده . والا فالموقف حرج ، يا أخي ، حرج جدا »[٥] .

بدأت المفاوضات حول المعاهدة في ٢٩ ايلول ١٩٢١ ـ أي بعد مرور ٣٨ يوما على تتويج الملك ـ وذلك حين قدم كوكس الى الملك مسودة معاهدة وصفها بأنها مسودة ليست نهائية بل هي مجرد محاولة تجريبية من أجل البدء بالمفاوضة . وفي ١٥ تشرين الاول وصل الى بغداد الميجر يونغ ـ وهو الذى عرف فيما بعد باسم السر هربرت يونغ ـ وكان مرسلا من قبل الحكومة البريطانية لكي يساعد كوكس في المفاوضة . وأخذت مسودة المعاهدة منذ ذلك الحين تنتقل مرة بعد مرة بين دار الاعتماد البريطاني ومجلس الوزراء والبلاط ، وكان الملك يحاول في كل مرة أن يجري تعديلا على المسودة فيرجعها الى مجلس الوزراء لترجع من جديد الى دار الاعتماد .

---

(٤) كوكس ودوبس (تكوين الحكم الوطني في العراق) ـ ترجمة بشير فرجو ـ الموصل ـ ص ٥٦ ـ ٥٨ .

(٥) امين الريحاني (فيصل الاول) ـ بيروت ١٩٥٨ ـ ص ١٢٦ .

ظلت المفاوضات تجري في الخفاء دون ان يعلم الرأي العام عنها شيئا حتى أواخر أيار ١٩٢٢ • ففي ٢٣ منه أعلن تشرتشل في مجلس العموم البريطاني جوابا على سؤال وجه اليه اذ قال : « ان الملك فيصل وحكومته لم يخبرا بريطانيا عن رفض الشعب العراقي للانتداب » • وحين نشر هذا التصريح في جرائد بغداد حدثت ضجة كبرى في الرأي العام ، وأخذت المعارضة تتحفز للعمل •

كان الوقت آنذاك في أواخر شهر رمضان ، وقد انتظرت المعارضة حلول العيد • وفي صباح ٢٨ أيار ، وهو اليوم الاول من عيد الفطر ، عقد اجتماع عام في جامع الوزير المقابل للقشلة ، فألقيت فيه الخطب الحماسية للاحتجاج على تصريح تشرتشل • ثم تقرر عقد اجتماع آخر كبير في جامع الحيدرخانه عصرا • وأصدرت جريدة «الاستقلال» منشورا تدعو الجماهير فيه الى حضور الاجتماع • وفي الوقت المعين من عصر ذلك اليوم تم عقد الاجتماع ، وخطب فيه محمد باقر الحلي وأحمد الشيخ داود ومهدي البصير • وعند انتهاء الخطباء من القاء كلماتهم جرى انتداب ستة أشخاص لينوبوا عن الشعب في الاحتجاج ضد تصريح تشرتشل وهم : محمد الصدر ومحمد الخالصي وأحمد الشيخ داود ومهدي البصير وحمدي الباچچي وياسين الهاشمي •

خرج المندوبون الستة من جامع الحيدرخانة وساروا متجهين نحو القشلة بغية مقابلة الملك ، وكانت الجماهير تسير خلفهم • وحين وصلوا الى القشلة لم يجدوا الملك في مقره الرسمي • فحضر اليهم وزير الداخلية وقابلهم بلطف وبشاشة ، ثم اتصل بالملك في قصر شعشوع طالبا تعيين موعد لمقابلة المندوبين ، فاجابه سكرتير الملك بان الملك مستعد لمقابلتهم في قصره غدا[٦] •••

---

(٦) منشور جريدة « الاستقلال » الصادر في ٤ شوال ١٩٤٠ •

عقد المندوبون اجتماعا تمهيديا في صباح اليوم التالي في بيت أحمد الشيخ داود ، ولم يتخلف عنهم سوى ياسين الهاشمي اذ أرسل اليهم مذكرة صغيرة قال فيها : انه مضطر بكل أسف لاخبار زملائه بأنه لا يستطيع الاشتراك معهم في مذكراتهم وسائر مساعيهم الا انه غير مخالف لهم برأيه ومعتقده[7] • ومن الجدير بالذكر ان الهاشمي كان يومذاك قريب العهد بالعودة من سوريا اذ كان وصوله الى بغداد في اليوم التاسع من الشهر نفسه ، وكان قبل ذلك ممنوعا من العودة ولم يسمح له بها الا بعد أن ضمنته القنصلية البريطانية بدمشق بأنه سيكون أمينا مخلصا[8] • ولهذا فهو لم يحب أن يورط نفسه في مشكلة مع الانكليز ، ولعله آثر الابتعاد عن النشاط السياسي موقتا حتى ينجلي الموقف •

وفي الموعد المحدد ذهب المندوبون ـ بعد أن أصبح عددهم خمسة ـ لمقابلة الملك فجرى بينهم حديث طويل لا نعرف عنه سوى ما ذكره اثنان من المندوبين هما مهدي البصير ومحمد الخالصي • وقد أعطانا كل منهما صورة عن المقابلة تختلف عما أعطاه الآخر • ففي رواية البصير : ان الملك قال انه يود أن يعلم الشعب بأنه لم يحدث حتى الآن شيء يضر بمصالح العراق وانه ساهر كل السهر على صيانة منافع البلاد ومصالحها ، وعليه فانه يود أن يطمئن بال الشعب[9] • أما محمد الخالصي فيقول : اننا طلبنا من الملك التصريح بان العراق مستقل لا يشوبه أي تدخل أجنبي بأي اسم كان ، فأخذ يخادعنا على عادته بمهارة تفوق الحد ولكنها لم تؤثر علينا لمعرفتنا بأساليب خداعه ، وقد وافق بعد الالحاح على أن نعلن رفض

---

(٧) محمد المهدي البصير (تاريخ القضية العراقية) ـ بغداد ١٩٢٣ ـ ٢ ص ٤٦٢ •

(٨) سامي عبدالحافظ القيسي (ياسين الهاشمي) ـ رسالة جامعية غير مطبوعة ـ ص ٨٧ ـ ٩١ •

(٩) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ـ ج٢ ص ٤٦٣ •

الانتداب ونعلم عصبة الامم بذلك برقيا[١٠] ...

وعند خروج المندوبين من عند الملك أذاعوا بيانا نشرته جريدة «الاستقلال» قالوا فيه ان الملك لم يعمل ضد رغائب الشعب وانه ساهر على مصلحة البلاد وان الامور جارية على أحسن ما يرام ، وانهم سيباشرون بارسال البرقيات في رفض الانتداب الى المراكز الحرة في العالم المتمدن[١١]. ثم كتب المندوبون صورة البرقية ، وهذا نصها :

« لقد أثبت العراقيون رغبتهم الاكيدة فى الاستقلال التام ورفضهم أى أنتداب كان رفضا باتاً . وحركتهم الخطيرة سنة ١٩٢٠ أعظم شاهد على ذلك . وبمناسبة تصريح المستر تشرتشل في البرلمان الانكليزى بشأن مسألة الانتداب في العراق أقام الشعب العراقي مظاهرة سلمية فوضنا فيها أن نعلن أمام مجلسكم الموقر ولدى البرلمانات الاخرى عن رأيه في رفض الانتداب . وعليه فاننا نرفض كل انتداب ونحتج على كل قرار يعارض الاستقلال التام للعراق .

التواقيع : محمد الخالصي ، السيد أحمد الداود ، السيد محمد الصدر ، حمدي بك الباججي ، محمد المهدي البصير »[١٢] .

حمل المندوبون هذه البرقية وذهبوا بها الى دائرة البرق لابراقها الى عصبة الامم والمجالس النيابية في امريكا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا ، ودفعوا ١٥٠٠ روبية اجرة لابراقها ، ولكن الرقابة أخرت ابراقها واتصلت بالملك تسأله هل يأذن بابراقها أم لا . وهنا شعر الملك بأنه اصبح في موقف حرج لا يدري كيف يخرج منه ، فهل يسمح بابراق البرقية وفي ذلك اغضاب للانكليز ، أو يمنعها وفي ذلك أغضاب للوطنيين .

كتبت المس بيل في ٦ حزيران تقول : ان البرقيات لا تزال نائمة

---

(١٠) نقلا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة .
(١١) منشور جريدة « الاستقلال » الصادر في ٤ شوال ١٩٤٠ .
(١٢) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) — ج٢ ص ٤٦٤ .

في صندوق دائرة البرق ، والملك يحاول محاورة المندوبين حولها • ثم تعلق على ذلك قائلة : « آه من الملك ، الملك ! ياليته كان اكثر حزما وصلابة ! انه يضيع الآن فرصة العمر ـ ولكن ماذا في وسع الانسان أن يصنع ؟ » • ثم كتبت بعد يومين تقول : « اني أشعر الآن بكثير من السرور ، فلقد وافق الملك على منع البرقيات المذكورة نهائيا • ولما استأجر الحمير الخمسة ـ تقصد المندوبين ـ سيارة لارسال البرقيات الى ايران بغية ابراقها من هناك أخبرهم الملك أن عملهم هذا سيؤدي الى أفدح الضرر • فتوقفوا »(١٣) •

مشكلة المنتفق :

في الوقت الذي كان فيه الصراع يشتد حول المعاهدة كان لواء المنتفق ـ الذى يسمى الآن بمحافظة ذي قار ـ في حالة شديدة من الاضطراب والفوضى ، وقد كان ذلك عاملا اضافيا في استفحال الخلاف بين فيصل وكوكس •

وصف التقرير البريطاني المرفوع الى عصبة الامم حالة لواء المنتفق بقوله : « كانت قبائله تحتفظ بالسلاح الذي كان لديها ، وأخذت علاوة على ذلك تبذل جهدها للحصول على المزيد منه ، بحيث أصبح هذا اللواء اليوم ربما من اكثر مناطق العراق تسليحا • ولهذا أخذت القبائل تشعر بأن في مقدورها تحدي الحكومة وهو الامر الذي كانت هذه القبائل مشهورة به في العهد العثماني ، وكذلك اقتنعت القبائل ان الحكومة العربية الجديدة من الممكن تحديها دون أن ينتج عن ذلك أي خطر • ان الحكومة في عهد الاحتلال كانت قد اتبعت طريقة في الادارة المدنية لقمع الفوضى الموروثة من العهد العثماني هيفي إعادة السلطة الى شيوخ العشائر وتدعيمها بالنفوذ البريطاني من أجل تنفيذ أوامر السلطة العليا • ولكن ثورة

(13) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vil. 2; p 273-274.

ملكنا المفدى بارسال البطل الضرغام السيد ياسين باشا الهاشمي متصرفا لنا لهلكنا عن آخرنا . فنسأل الله ان يوفقنا لرضائه ورضاء العلماء وطاعة ملكنا وسيدنا دامت شوكته ... الاحقر محمد حسن الشيخ حيدر[18]

لم يستطع الهاشمي البقاء في لواء المنتفق طويلا ، فقد اخذت العشائر الموالية للانكليز لاسيما الازيرج والغزي والحسينيات يشتمونه سرا وعلنا ويطلبون اليه ترك اللواء والعودة الى بغداد . فاضطر الهاشمي ان يغادر الناصرية ليلا بعد ان أوكل امور اللواء الى قائممقام سوق الشيوخ رؤوف الكبيسي[19] .

وعلى أثر مغادرة الهاشمي لواء المنتفق أرسل الميجر ييتس الطائرات لقصف بعض العشائر المعارضة ، كما أمر بالقاء القبض على عبدالمهدى المنتفقي وباقر الشبيبي متهما اياهما بتدبير المظاهرات ضد سياسته . ومكث هذا الرجلان في السجن بضعة أيام أرسلا خلالها عدة برقيات الى جرائد بغداد يحتجان فيها على اعتقالهما ، فأصدرت وزارة الداخلية أمرها بالافراج عنهما[20] .

لم يقف الامر عند هذا الحد ، بل اشتد النزاع من جديد بين الميجر ييتس ورؤوف الكبيسي مما أدى بالحكومة الى استدعاء الكبيسى الى بغداد وعزله عن وظيفته[21] وقد نفد صبر الملك مما وصلت اليه الاحوال في المنتفق فأرسل الى لندن جبرائيل حداد باشا ليبلغ الحكومة البريطانية شكواه بشأن الميجر ييتس وبشأن القضية الكردية ايضا[22] .

---

(١٨) عن وثائق البلاط الملكي ـ رقم الاضبارة ك/١١ ، رقم الوثيقة ١٦٧ .
(١٩) عبدالعزيز القصاب (المصدر السابق) ـ ص٢٣١ ـ ٢٣٢ .
(٢٠) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ـ ج٢ ص٤٦٦ ـ ٤٦٧ .
(٢١) المصدر السابق ـ ج٢ ص٤٦٧ .
(22) Graves (Sir Percy Cox) - London , second impression - p. 312

المس بيل تتكلم :

في اوائل حزيران ١٩٢٢ كتبت المس بيل رسالة طويلة بثماني عشرة صفحة الى والدها تخبره عن الوضع في العراق وموقف الملك منه • وهذه الرسالة ذات اهمية تأريخية غير قليلة لانها تمثل رأي الانكليز في الملك فيصل آنذاك • فقد كشفت الرسالة عن مبلغ الالم الشديد الذى كانت تشعر به المس بيل تجاه الملك فيصل ، فهى بعدما احبته وساعدته على تبوء عرش العراق وجدته أخيرا يؤيد زعماء المعارضة الذين هم على حد تعبيرها أشد المتطرفين دناءة • وقد شبهت المس بيل فى رسالتها الملك فيصل بالتمثال الرائع من الثلج يذوب امام بصرها • ننقل فيما يلي جزءا من تلك الرسالة المهمة ، فهى تقول :

« في الساعة الرابعة والنصف ذهبت لتناول الشاي عند الملك ، وصممت ان أفصح له للمرة الاخيرة عن كل ما يجول بخاطرى تجاهه ••• وقد بدأت الحديث معه بسؤالي له عما اذا كان هو واثقا من اخلاصي وحبي الشديد له ، فكان جوابه أنه ليس لديه شك فى ذلك لانه يعرف ماذا فعلت من أجله فى السنة الماضية • فقلت له اني اذن استطيع ان اتكلم معه بحرية تامة واني في غاية التعاسة ، فقد كنت قد كونت تمثالا من الثلج جميلا فاتنا ومنحته ولائي ثم رأيت التمثال يذوب امام عيني ، وقبل أن تختفي ملامحه النبيلة فضلت أن أذهب • فأنى بالرغم من حبي للامة العربية وشعورى بالمسؤولية عن مستقبلها لا استطيع ان أتحمل رؤية احلامى تتبخر وهى الاحلام التى كنت اهتدى بها يوما بعد يوم • فقد كنت أعتقد انه لايسير الا في هدى أسمى المبادىء ولكني رأيته أصبح ضحية لانواع شتى من الاشاعات الخبيثة ، فهو يصغي لاقوال أناس كانوا خلال الحرب قد خانوا العرب الذين تعاونوا مع الانكليز وهم غدا عندما يعود الاتراك الى العراق سيخونون الذين تعاونوا مع فيصل • وجئت له بمسألة الناصرية كمثال على ذلك وقلت له انه على خطأ في حكمه على تلك المسألة من أولها

ملكنا المفدى بارسال البطل الضرغام السيد ياسين باشا الهاشمى متصرفا لنا لهلكنا عن آخرنا • فنسأل الله ان يوفقنا لرضائه ورضاء العلماء وطاعة ملكنا وسيدنا دامت شوكته •••   الاحقر محمد حسن الشيخ حيدر[١٨]

لم يستطع الهاشمي البقاء في لواء المنتفق طويلا ، فقد اخذت العشائر الموالية للانكليز لاسيما الازيرج والغزي والحسينيات يشتمونه سرا وعلنا ويطلبون اليه ترك اللواء والعودة الى بغداد • فاضطر الهاشمى ان يغادر الناصرية ليلا بعد ان أوكل امور اللواء الى قائممقام سوق الشيوخ رؤوف الكبيسي[١٩] •

وعلى أثر مغادرة الهاشمي لواء المنتفق أرسل الميجر يتس الطائرات لقصف بعض العشائر المعارضة ، كما أمر بالقاء القبض على عبدالمهدى المنتفقي وباقر الشبيبي متهما اياهما بتدبير المظاهرات ضد سياسته • ومكث هذا الرجلان في السجن بضعة أيام أرسلا خلالها عدة برقيات الى جرائد بغداد يحتجان فيها على اعتقالهما ، فأصدرت وزارة الداخلية أمرها بالافراج عنهما[٢٠] •

لم يقف الامر عند هذا الحد ، بل اشتد النزاع من جديد بين الميجر يتس ورؤوف الكبيسي مما أدى بالحكومة الى استدعاء الكبيسى الى بغداد وعزله عن وظيفته[٢١] وقد نفد صبر الملك مما وصلت اليه الاحوال في المنتفق فأرسل الى لندن جبرائيل حداد باشا ليبلغ الحكومة البريطانية شكواه بشأن الميجر يتس وبشأن القضية الكردية ايضا[٢٢] •

---

(١٨) عن وثائق البلاط الملكي ـ رقم الاضبارة ك/١١ ، رقم الوثيقة ١٦٧ •
(١٩) عبدالعزيز القصاب (المصدر السابق) ـ ص٢٣١ ـ ٢٣٢ •
(٢٠) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ـ ج٢ ص٤٦٦ ـ ٤٦٧ •
(٢١) المصدر السابق ـ ج٢ ص٤٦٧ •
(22) Graves (Sir Percy Cox) - London , second impression - p. 312

المس بيل تتكلم :

في اوائل حزيران ١٩٢٢ كتبت المس بيل رسالة طويلة بثماني عشرة صفحة الى والدها تخبره عن الوضع في العراق وموقف الملك منه • وهذه الرسالة ذات اهمية تأريخية غير قليلة لانها تمثل رأي الانكليز في الملك فيصل آنذاك • فقد كشفت الرسالة عن مبلغ الالم الشديد الذى كانت تشعر به المس بيل تجاه الملك فيصل ، فهى بعدما احبته وساعدته على تبوء عرش العراق وجدته أخيرا يؤيد زعماء المعارضة الذين هم على حد تعبيرها أشد المتطرفين دناءة • وقد شبهت المس بيل فى رسالتها الملك فيصل بالتمثال الرائع من الثلج يذوب امام بصرها • ننقل فيما يلي جزءا من تلك الرسالة المهمة ، فهى تقول :

« في الساعة الرابعة والنصف ذهبت لتناول الشـاي عند الملك ، وصممت ان أفصح له للمرة الاخيرة عن كل ما يجول بخاطرى تجاهه ••• وقد بدأت الحديث معه بسؤالي له عما اذا كان هو واثقا من اخلاصـي وحبي الشديد له ، فكان جوابه أنه ليس لديه شك فى ذلك لانه يعرف ماذا فعلت من أجله فى السنة الماضية • فقلت له اني اذن استطيع ان اتكلم معه بحرية تامة واني في غاية التعاسة ، فقد كنت قد كونت تمثالا من الثلج جميلا فاتنا ومنحته ولائي ثم رأيت التمثال يذوب امام عيني ، وقبـل أن تختفي ملامحه النبيلة فضلت أن أذهب • فأني بالرغم من حبي للامة العربية وشعورى بالمسؤولية عن مستقبلها لا استطيع ان أتحمل رؤية احلامي تتبخر وهى الاحلام التى كنت اهتدى بها يوما بعد يوم • فقد كنت أعتقد انـه لايسير الا في هدى أسمى المبادىء ولكني رأيته أصبح ضحية لانواع شتى من الاشاعات الخبيثة ، فهو يصغي لاقوال أناس كانوا خلال الحرب قد خانوا العرب الذين تعاونوا مع الانكليز وهم غدا عندما يعود الاتراك الـى العراق سيخونون الذين تعاونوا مع فيصل • وجئت له بمسألة الناصرية كمثال على ذلك وقلت له انه على خطأ في حكمه على تلك المسألة من أولها

الى آخرها . فالميجر يتس كان أحد الرجال الثلاثة الذين وقفوا الى جانبي ضد ويلسون أثناء تأييدى للقضية العربية ... وقد تنبأت للملك بأن الميجر يتس سوف يستقيل من وظيفته من جراء الشكوك السيئة التى يحيطـه الملك بها ، واني سوف استقيل فى اليوم نفسه لانى سوف لاأنتظر ان يقوم الانذال الذين وضع الملك ثقته فيهم بتسويد سمعتى فى عينه . وقد احتدت المحاورة بيني وبينه حول هذه المسألة ، وأخذ هو يقبل يدي مرة بعد أخرى مما أدى الى ارتباكى الشديد . ثم قال ان واجبه يقضي عليه أن يطمّن الوطنيين المتطرفين الذين رفضتم انتم الاعتراف بهم مرة بعد مرة .فأجبته ان هذا ليس بصحيح فنحن لم نرفض سوى أولئك الذين يعملون لخدمة أنفسهم ، اما الذى يعمل منهم بأخلاص في سبيل الحكومة الوطنية فنحـن قبلناه ورحبنا به أيضا...خذ مثلا جعفر ابو التمن الذي كان من زعماء ثورة العشرين هو اليوم وزير، ونحن بوجه عام ، وأنا بوجه خاص ، على صلة ودية معه . وليس من المعقول انا سوف لانجد طريقة للعمل معهم بشرط ان الملك فيصل يؤيدنا فى ذلك . وفى نهاية المقابلة حصلت على اذن منه لنشر تكذيب رسمى لما كانت الجرائد تنشره من تقارير ... ولما أردت الخروج حاولت تقبيل يده فاحتضنني هو بحرارة ....» .

وتختم المس بيل رسالتها قائلة : ان الملك فيصل هو من أحب الناس الى القلب انما تعوزه قوة الخلق بشكل يدعو الى الدهشة . فهو في أعماق نفسه يثق بنا على الرغم مـن كثرة الانحـرافات التى تحـرفه عن الطريق[٢٣] .

ومما يلفت النظر أنه في الوقت الذى كانت فيه المس بيل تشعر بخيبة أمل في الملك فيصل كان الكثير من زعماء المعارضة الوطنيين يشعرون بخيبة أمل فيه كذلك . يقول أمين الريحاني في ذلك : لقد أساء الناس فهم موقف

(23) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 272 - 273.

الملك فيصل فى تلك الايام ، فلم ينصفه الانكليز ولا أنصفه العراقيون ، إذ قال الانكليز عنه انه انقلب عليهم بعد التتويج ، وقال المتطرفون من الوطنيين انه يخدم مصالح الانكليز ويعمل بأمرهم • وفي الحقيقة ان الملك فيصل لاهذا ولا ذلك ، فقد كان يريد ان يحفظ عرشه من جهة ويريد ان يحمل الانكليز على الوفاء بوعدهم دون ان يعاديهم من الجهة الاخرى[٢٤]•

الوزراء والمعاهدة :

في مساء ٢٢ حزيران قدمت الصيغة النهائية للمعاهـــدة الى مجلس الوزراء للمصادقة عليها ، فحدثت حولها مناقشة وجدال حاد • وانتهـــت الجلسة قبيل الساعة الثامنة مساءا دون الوصول الى قرار فيها • واسرع سكرتير المجلس حسين افنان الى المس بيل في دارها في محـــلة السنك ليخبرها بما جرى في الجلسة • وقد سجلت المس بيل في رسالة لها ماذكره حسين أفنان لها • وفيما يلي نذكر ماورد فى الرسالة حول تلك الجلسة•

كان أول المتكلمين في الجلسة عبدالمحسن السعدون ، وقد حض على قبول المعاهدة ، فانبرى توفيق الخالدى يقول ان ٩٥ بالمائة من الشعـــب العراقي لايقبل بمعاهدة تتضمن مبدأ الانتداب • فوجه رئيس الوزراء الى جعفر العسكرى سؤالا عن الجيش هل هو قادر على قمع الاضطرابات فى البلاد فى حالة حدوثها ، فأجاب العسكري ان ليس هناك عربـي يحارب عربيا آخر • وكان جعفر ابو التمن أثناء ذلك ساكتا وكأنه كان رقيبـــا على زملائه الوزراء لكى ينقل اخبارهم الى رؤسائه علماء الشيعة ولهذا كان كل واحد من الوزراء ينظر اليه بطرف عينه خوفا منه ماعدا عبدالمحســـن السعدون وساسون حسقيل • وقد تكلم أبو التمن أخيرا فقال ان مجلس الوزراء لايمكنه النظر فى المعاهدة إذ هى قضية يجب ان ينظر فيها المجلس التأسيسي ، وان السادة المقدسين وأقطاب الاسلام كلهم يعارضون المعاهدة

---

(٢٤) أمين الريحاني (المصدر السابق) ـ ص١٢٥ ٠

فخالفه في ذلك ساسون حسقيل قائلا ان انتخاب المجلس التأسيسي يحتاج الى عدة اشهر ، واقترح ان يوافق مجلس الوزراء على المعاهدة ثم ترفع بعدئذ الى المجلس التأسيسي للمصادقة عليها • ودامت المناقشة حول هذه النقطة ساعتين ، ثم تقرر تأجيل الجلسة الى يوم ٢٤ حزيران • ويقول السيد حسين افنان ان رئيس الوزراء النقيب لم يكن قادرا على اتخاذ أي قرار ، فقد كان مصابا بشلل ذهني...(٢٥) •

كان يوم ٢٤ حزيران يوما صاخبا في بغداد ، فقد شاع بين الناس ان المعاهدة على وشك التصديق دون ان يكون فيها ذكر لالغاء الانتداب ، ولهذا أغلقت الاسواق وتشكلت وفود تمثل المهن المختلفة كالبزازين والحدادين والنحاسين والبقالين وغيرهم(٢٦) ، وساروا بمظاهرة في شارع الرشيد متجهين نحو دار النقيب الواقعة على النهر قرب الباب الشرقي ، وقد أشار التقرير البريطاني الى ان المظاهرة كلها كانت من تدبير الشيخ مهدي الخالصي(٢٧) •

وعند وصول الوفود المهنية الى دار النقيب طلب بعضهم مقابلته ، فاذن لهم بذلك واخذوا يتكلمون امامه مظهرين احتجاجهم على المعاهدة • والظاهر انه لم يتحمل رؤية جماعة من العوام يتدخلون في شؤون السياسة والحكم ، فهذا أمر لم يتعود عليه ولم يكن يتصور انه سيقع في يوم من الايام ، فسألهم : « باسم من تحتجون ؟ » فأجابوه « بأسم البلاد » • وعند هذا لم يطق النقيب صبرا فنهض من على مقعده وهز عصاه في وجوههم غاضبا منتهرا حيث قال لهم : « ومن أنتم لتحتجوا باسم البلاد ؟ أنا صاحب البلاد ، وأنا أعلم منكم بحاجات البلاد وأغراضها • عودوا الى بيوتكم

---

(25) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 276.

(٢٦) جريدة «الاستقلال» ــ في عددها الصادر في ٢٥ حزيران ١٩٢٢ •

(27) Report on The Administration of Iraq - 1922 - 1923 - p. 13.

واشغالكم » فخرجوا من عنده ساكتين(٢٨) •

وعند الظهر وصل الى دار النقيب وفد خاص مرسل من الشيـــخ مهدي الخالصي ويتألف من محمد الخالصي وعبدالحسين الجلبي ورجلين آخرين • فدعاهم النقيب الى الجلوس وصار يتبسط معهم في الحديث • وانبرى محمد الخالصي يتكلم معه حول المعاهدة وأخذ يحذره من ســـوء عاقبتها كما حذره من عذاب يوم القيامة ، فأجابه النقيب قائلا : « ان رجلي قد تدلتا الى قبري ، واني على وشك الموت ، ولم يبق لي من بدني عضو يلتذ بلذة من شدة الضعف ، وهيهات أن أضيع آخرتي لايام قلائل أعيشها في الدنيا غير ملتذ بشيء ، فليثق الشيخ أبوك وليعلم كل احد اني لا أمكر للاسلام ولا اكيد له » • وبعد ذلك دعاهم الى تناول طعام الغداء معه •
يقول محمد الخالصي في مذكراته : انهم حين تناولوا الطعام على مائدة النقيب لاحظوا ان النقيب أكل برغم شيخوخته اكثر مما أكلوا هم الاربعة ، وانه عندما أحضر له التفاح بعد انتهاء الطعام أكل منه أكلا ذريعا يفـوق مايمكن ان يأكله الاربعة في حالة الجوع • ويعلق محمد الخالصي على ذلك قائلا : « علمت ان الرجل يكذب في أقواله إذ ان من كان هذا اكله فهو في شغل شاغل عن الاسلام وخدمته »(٢٩) •

وعلى أي حال فقد صادق مجلس الوزراء على المعاهدة في جلستـه المنعقدة في ٢٥ حزيران • ومن الانصاف ان نذكر ان النقيب ادرج فـي صلب المعاهدة عبارة تقضي بوجوب تصديقها من قبل المجلس التأسيسي • وقد حاول كوكس صرف النقيب عن ادراج هذه العبارة في المعاهدة غير ان أن النقيب اصر عليها وقال يخاطب كوكس : « هذا رأيي ورأي بلدي في

(٢٨) أمين الريحاني (المصدر السابق) ـ ص١٣٨ •
أمين الريحاني (ملوك العرب) ـ بيروت ١٩٥١ ـ جـ٢ ص٣٨٥ •
(٢٩) نقلا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة •

المسألة ، فليس بيني وبينكم الا الصداقة في سبيل الواجب ، ولقد قبلت ان أتحمل المسؤولية في سني هذه ، فأذا أصررتم على وجهة نظركم فسأترك المقام وأدخل الى هنا ـ وأشار الى غرفة خاصة تؤدى بابها الى المكتبة ـ ولا يراني أحد بعد »(٣٠) .

كان جعفر أبو التمن غائبا عن الجلسة التي صودق فيها على المعاهدة ، ثم حضر في اليوم التالي فأبدى اعتراضا على مقدمة المعاهدة وبعض موادها لاحتوائها على ما يتضمن مبدأ الانتداب . ثم قدم استقالته وخرج . وقد حاول الملك بعدئذ اقناع النقيب بتأجيل قبول الاستقالة . ولكن النقيب اصر على قبولها . وفي ٢٩ حزيران أرسل النقيب حسين افنان الى أبو التمن وهو يحمل اليه رسالة مقتضبة يقول فيها انه قبل استقالته .

اشتداد التوتر :

في يوم ٢٦ حزيران ـ وهو اليوم الذى قدم أبو التمن استقالته فيه ـ اجتمع عدد كبير من رؤساء العشائر وزعماء المعارضة عند الشيخ مهدى الخالصي في الكاظمية . وقد أعلن الخالصي في اثناء الاجتماع ـ حسبما روته المس بيل في احدى رسائلها ـ قائلا : ان بيعتهم للملك فيصل اصبحت لاغية لانه أخل بالشروط التى تعهد بها اثناء البيعة والتى تنص على المحافظة على استقلال البلاد(٣١) .

وفي اليوم التالي توتر الوضع في بغداد والكاظمية ، وبلغ كوكس ان زعماء المعارضة عازمين على القيام بمظاهرة كبيرة ، ودعاه ذلك الى ارسال برقية الى بو شهر يسأل فيها عن بناية السجن في جزيرة هنجام وهل هي في حالة استعداد لايواء معتقلين . وقد تعمد كوكس أن يجعل خبر البرقية معروفا لكي يسمع بها الناس فتبعث الخوف في قلوبهم...(٣٢) .

---

(٣٠) خيري أمين العمري (شخصيات عراقية) ـ بغداد ١٩٥٥ ـ جـ١ ص٢٠.
(31) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, 275 - 277.
(32) Ibid - vol. 2, p. 277.

لم تقع في ذلك اليوم اية مظاهرة مما جعل كوكس يظن ان برقيته أخافت الناس ، غير ان صحف المعارضة اشتدت في حملاتها واخذت تنشر العرائض المعادية للانتداب . وقد بلغ الانكليز ان الملك فيصل كان يدعم تلك الصحف وان اربعة من أعوانه ذهبوا الى النجف لجمع التواقيع ضد الانتداب . يضاف الى ذلك ان الملك امتنع عن تصديق المعاهدة وطالب ببعض التعديل في صيغتها العربية ، وأخذ يتصل بالوزراء سرا يحثهم على التعديل .

تقول المس بيل في رسائلها التي كتبتها في تلك الآونة : ان دمها صار يغلي من جراء هذا السلوك المزدوج الذي يسير عليه الملك فيصل ، وان كوكس كان ممتعضا كذلك ويشعر بالخيبة الشديدة من الملك . ولم تطق المس بيل صبرا فقررت قطع علاقتها بالملك نهائيا ، وأخبرت نوري السعيد بذلك ، فذهب نوري بالخبر الى الملك ، فارسل الملك اليها يدعوها لتناول الشاي معه ، ولكن المس بيل رفضت دعوته ، ثم قبلتها أخيرا بعد الحاح شديد من كورنواليس . وحين وصلت اليه استقبلها بحماس وأخذ يتحدث اليها محاولا اقناعها بحراجة موقفه ، ولكنها جابهته بقولها انها لاتصدق كلمة واحدة مما يقول . وقد استمرت المحادثة بينهما ساعتين أنهاها الملك بان احتضنها بحرارة شديدة ــ على حد تعبيرها . وهي تقول انها خرجت من عنده وهي متفقة معه عاطفيا ومختلفة سياسيا . ثم تقول أخيرا : انه اذا لم يسلك الطريق الصحيح في المستقبل فسيفقد عرشه للمرة الثانية ، ولست أدري اين يجد له عرشا ثالثا[٣٣] .

هدأ الوضع نسبيا خلال شهر تموز ، ولكنه عاد الى التوتر من جديد في أواخر ذلك الشهر . ففي ٣٠ منه كتبت المس بيل تقول ما نصه :

« كان الملك في هذا الاسبوع متعبا لنا جدا ، فان الدعاية المضادة

(33) Ibid - vol. 2, p. 276 - 280

للانتداب التي تجري في لواء الحلة بموافقة ضمنية من الملك جعلت الفرات الاوسط قريبا من آذاننا الى أقصى حد • وقد قتل احد الشيوخ الموالين لنا هناك لاسباب سياسية ، ولما اراد المستر كورنواليس اتخاذ الاجراءات اللازمة للقبض على القاتل اتهمه الملك بحضور السر برسي كوكس بأنه يقف دائما الى جانب اعدائه • وقد ابدى السر برسى دهشته من هذا القول إذ كيف يجوز لفيصل وهو ملك دستورى ان يتدخل في امور ادارية كالقبض على قتلة• فأفحم الملك وأجاب بغضب انه سيترك الديوان ويذهب الى بيته• ولكنه لم يفعل ، بل بقي في الديوان مستمرا على استقبال كل الاوغـــاد والمسيئين ، وقد أنتج سلوكه هذا رد فعل لدى الشيوخ المؤيدين للانتداب ، حيث جاؤوا الى دائرتي وملأوها ، وكان علي السليمان أحدهم ، وصاروا يحلفون على ان الملك يعمل على اسقاطهم • وكان الملك يتدخل أيضا فى تعيينات الشرطة الى درجة كادت تؤدي الى استقالة الضباط الكبـــار منهم ــ العرب والانكليز معا ــ وجاء هؤلاء الى دائرتي لينضموا الى الشيــوخ المتذمرين » •

وتضيف المس بيل الى ذلك شيئاً يتعلق بنوري السعيد فتقول : « يبدو أن نوري السعيد كان وراء تعيينات الشرطة الاخيرة ، ولهذا دعوته لتناول طعام الغداء معي وطلبت منه توضيحا لما جرى • وقد استطاع نوري أن يبرىء نفسه من الامر ، فأخبرته عن سلوك الملك المتعب وقلت له ان الملك اذا ظل على سلوكه هذا فليس هناك أي ضابط بريطاني يقبل أن يخـدم تحت امرته • وقال نوري انه مستعد أن يغادر العراق غدا اذا كان ذلك نافعا • ان نوري يعلم بأن العراق لا يمكن ان يكون دولة بغير مساعدتنا ، واذا لم يكن هو مستحقا لذلك فان ابنه او ابن ابنه سوف يرى العمل منجزا• وهذا هو الامل الذى يجعله مطمئناً » • ثم تقول المس بيل : « انى لاأحب أحدا من بين جميع العراقيين ــ من الملك فنازلا ــ مثلما أحب نوري • انه

ابن موظف عراقي فكيف استطاع ان يكتسب هذه البصيرة المدهشة ؟ فهو قادر أن يفهم من نصف كلمة . انه ادرك وجهة نظرنا ومشاعرنا حول الحقيقة والشرف ، وجعلها أمام نظره هدفا ومثالا نهائيا ، وهو أمر ربما كان من المستحيل تحقيقه في الشرق ... ان ثقته المطلقة باستقامتنا وحكمتنا تجعلني أحمر خجلا على الدوام ... »[٣٤] .

اجتماع في النجف :

كانت منطقة الفرات الاوسط شديدة الحساسية لما يجري في بغداد من صراع بين الانكليز والمعارضة . فكان كل حدث يقع في بغداد يجد له صدى في تلك المنطقة على وجه من الوجوه .

وفي شهر آب عندما بلغ الصراع اشده أخذ رؤساء الفرات الاوسط الذين شاركوا في ثورة العشرين يتحفزون للقيام بثورة أخرى . يقول كوكس : « ان منطقة الفرات على وشك القيام بثورة كانت معالمها تدل على أنها لن تكون أقل خطورة من تلك التي كانت هذه العناصر المتطرفة نفسها قد أثارتها سنة ١٩٢٠ »[٣٥] .

وفي ١٢ آب حلت زيارة عيد الغدير في النجف ، والظاهر ان رؤساء العشائر ارادوا استغلال تلك الزيارة ، وقد لوحظ ان ازدحام الزوار في النجف آنذاك بلغ حدا لم تشهد البلدة مثيلا له من قبل ، حتى اضطر الكثير من الزوار الى النوم في الصحن الشريف ، وفي الطرقات والساحات العامة ، وقيل ان عدد الزوار آنذاك بلغ الثلاثمائة ألف[٣٦] .

وكانت وزارة الداخلية قد أحست بخطورة الامر فحشدت في النجف قوة كبيرة من الشرطة ، كما أوعزت الى عبدالعزيز القصاب متصرف

---

(34) Ibid - vol. 2, p. 285 - 286.

(٣٥) كوكس ودوبس (المصدر السابق) ـ ص٥٩ .
(٣٦) عبدالعزيز القصاب (المصدر السابق) ـ ص٢٢١ .

كربلاء بالذهاب بنفسه الى النجف لمراقبة الحالة • وقد ذهب المتصرف الى النجف قبل الزيارة بثلاثة ايام ، ونزل فى دار البلدية الواقعة عند مدخل البلدة • وفى اليوم التالي وصل النجف متصـــرف الحلة علي جـودت الايوبي ومعه قائممقام الشامية وقائممقام أبو صخير وبعض موظفي لـــواء الحلة ورؤساء عشائرها • وتبين فيما بعد أن الملك أوعز له بذلك • وقـد نزل الايوبي في دار عبدالمحسن شلاش ••

ولم يكد أهل النجف يسمعون بوصول الايوبي حتى هبوا للترحيب به ، وقررت هيئة مدرسة الغري أن تقيم له حفلة تكريمية في المدرسة ، وقد عارض متصرف كربلاء اقامة تلك الحفلة خشية حدوث تجمع يهدد الامن، ثم وافق أخيرا • وأقيمت الحفلة فى وقتها المعين وألقيت فيهـا خطـب وقصائد حماسية ضد الانتداب وفي المطالبة بالاستقلال التام الناجز • وفـي ختام الحفلة ألقى الايوبي خطابا حماسيا • وبعد مرور بضع ساعات على انتهاء الحفلة وصلت الى الايوبي برقية من وزارة الداخلية تأمره بالعـــودة الى الحلة فوراً •••(٣٧) •

وفي ليلة يوم الغدير ـ أي في مساء ١١ آب ـ اجتمع في دار السيد أبو الحسن الاصفهاني عدد كبير من رؤساء العشائر كان منهم عبدالواحد الحاج سكر ومحسن أبو طبيخ وعبادي الحسين وعلوان الياسري وشعلان ابـو الجون وقاطع العوادى • وأرسل الاصفهاني الى متصرف كربلاء يرجو منه الحضور الى داره • وحين حضر المتصرف وجدهم جالسين فوق ســـطح الدار • وتكلم الاصفهاني قائلا : ان السيد محسن ابو طبيخ لديه أمور يود عرضها عليكم • ثم تكلم أبو طبيخ فقال ما يلي :

« كنتُ في بغداد وقد قابلت مستشار الداخلية كورنواليس وذكرت

---

(٣٧) على جودت (المصدر السابق) ـ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ •

له أعمال المستشارين الانكليز في الالوية وضغطهم على الناس وتجبرهم وتعسفهم وطلبت منه رفعهم من الالوية • وبعد الكلام الطويل معه وعدني بأنه سيزيح هؤلاء المستشارين عن مراكزهم • وقد مضت مدة فلم ينفذ وعده فأطلب من المتصرف أن يطلب الى الداخلية تنفيذ هذا الامر حالا • واذا لم يتحقق ذلك فنحن في حل مما يحدث في البلاد » •

وعند انتهاء أبو طبيخ من كلامه التفت الاصفهانى نحو المتصرف يسأله : « ماذا تقول في هذا الطلب ؟ » ، فأجاب المتصرف : « انـي لا أعلم بهذا الوعد ولكن عليّ شيء واحد هو السؤال من الوزارة عن هذا الموضوع وتبليغكم جوابها عن ذلك » • فطلب الحاضرون ان يكون الجواب غدا وانهمّ ينتظرونه بصورة مستعجلة حتى يعملوا اللازم • وهنا التفت المتصرف نجو الاصفهانى شارحا له خطورة الوضع في النجف لكثرة الزوار فيها من جهة ولكثرة الشرطة من الجهة الاخرى، وأبدى خشيته أن يحصل احتكاك يؤدي الى سفك الدماء ، ولهذا فهو يرجو من الاصفهاني اصدار فتوى بتحريم التجمعات في داخل البلدة اثناء الزيارة• وحين سمع الاصفاني هذا القول التفت الى الشيخ عبدالكريم الجزائرى الذى كان جالسا بجانبه وأخذ يكلمه بالفارسية ، ثم أعلن الاصفهانى موافقته على رأي المتصرف وأوعز الى الجزائري بكتابة الفتوى • وبعد ان تمت كتابتها وضع الاصفهاني عليها توقيعه وناولها الى المتصرف ، فأخذها هذا وغادر الاجتماع مسرعا لكي يعلن الفتوى على الناس بواسطة المناديين المحليين • وقد انتجت الفتوى ثمرتها فورا حيث لم يقع بعدئذ في النجف أي تجمع يخل بالامن •

وأبرق المتصرف الى وزارة الداخلية يستفسر منها عما قاله محسن أبو طبيخ في شأن المستشارين ، فعاد اليه الجواب من الوزارة ومن كورنواليس ، وكلاهما ينفيان صدور أي وعد حول سحب المستشارين ، وطلبت الوزارة من المتصرف تكذيب الخبر حالا •

وجد المتصرف نفسه في موقف دقيق للغاية ، إذ هو كان يخشى ان يؤدي تكذيب الخبر الى هياج الناس والقاء الخطب والقصائد المثيرة ، وقد رأى من الحكمة ان يتريث في الامر . وعندما جاء اليه بعض الرؤساء في دار البلدية يطلبون منه الجواب قال لهم : انه سيبلغهم الجواب قريبا . فانصرفوا . ولكنهم لم يكادوا يخرجون من عنده حتى شاع بينهم أن المتصرف عازم على القاء القبض عليهم ، فأسرعوا الى مغادرة النجف حيث ذهبوا الى أبو صخير ومن هناك أبرقوا الى وزارة الداخلية يشكون فيها من المتصرف ويتهمونه بأنه اراد القبض عليهم من غير أن يكونوا قد قاموا بأي عمل يخل بالامن[٣٨] ، ثم ذكروا في برقيتهم أنهم عازمون عزما أكيدا على مقاطعة الحكومة اذا لم تنفذ مطاليبهم حالا...[٣٩] .

يقول عبدالعزيز القصاب في مذكراته : انه في الواقع لم يقصد القاء القبض عليهم كما تخيلوا ، بل كان ينوي زيارتهم لتوضيح الامر لهم. وقد أرسل أحد الخدم ليستعلم عن أماكن سكناهم من أجل زيارتهم ، ولكنهم حين سمعوا ان الخادم يسأل عنهم ظنوا خطأ ان ذلك من اجل اعتقالهم فركبوا سياراتهم وخيولهم وغادروا النجف مسرعين[٤٠] .

استقالة الوزارة :

انتشر الاضطراب في بعض انحاء الفرات الاوسط ، لا سيما في منطقة أبو صخير والشامية . وشعر توفيق الخالدى وزير الداخلية بعجزه عن معالجة الموقف مادام الملك يؤيد القائمين بالاضطراب . وفي ٣ آب قدم الخالدى استقالته من الوزارة . وحين انعقد مجلس الوزراء في ٩ آب تكلم الخالدي شارحا سبب استقالته فقال : ان الاضطراب يعم البلاد منذ

(٣٨) عبدالعزيز القصاب (المصدر السابق) ـ ص٢٢٦ .
(٣٩) عبدالرزاق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية) ـ صيدا ١٩٦٥ ـ جـ١ ص٦٨ .
(٤٠) عبدالعزيز القصاب (المصدر السابق) ـ ص٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

عشرة ايام وان ذلك قد أدى الى مشاغبة المتطرفين واستفحال الحركة ضد سياسة الحكومة • ثم عرض الخالدي على المجلس برقيـة مـن متصرف كربلاء وكتابا من قائممقام أبو صخير فيهما ذكر مايجري في النجف وعشائر الشامية من الخلل والارتباك مما أدى الى ظهور الوهن في المملكة(٤١) • ثم ذكر الخالدى ان المتطرفين يدّعون ان الملك يؤيدهـم في مهاجمـة الحكومة(٤٢) ، ولهذا فهو يرى ان الملك يجـب ان يعلن على الناس معاضدته للوزارة وثقته بها • وقد تكلم رئيس الوزراء مؤيدا رأى الخالدي• وبعد المداولة قرر مجلس الوزراء باتفاق الآراء رفع الطلب التالي الى الملك :

«بناء على ما سُمع من الاشاعات التي نشرها بعض المتطرفين في العاصمة والالوية ، والتى سببت قلقا وارتباكا في بعض الاماكن ، وما يخشى مـن تفاقم الامر اذا دامت الحالة على ماهى عليه الآن ، يطلب مجلس الوزراء من حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم أن يؤازر حكومته المجدة فى تمشية الامور على مايرومه جلالته ويرضاه ، ليظهر للشعب ان حكومة جلالته مستندة على مؤازرة جلالته»(٤٣) •

في ١٢ آب أرسل الملك جوابه على طلب المجلس قائلا انه لا يجد مبررا لتبديل خطته الحاضرة • وقد دل هذا الجواب على ان الملك كان راغبا شخصيا فى سقوط الوزارة على خلاف رغبة السـر برسـي كوكس(٤٤) • وعندما تلي جواب الملك في مجلس الوزراء شعر الوزراء بأنهم يجب ان يقدموا استقالاتهم ، فقدموها كلهم ماعدا واحدا منهم هـو محمد علي فاضل وزير الاوقاف •

---

(٤١) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ جـ١ ص٨٧ •
(42) Graves (op. cit.) - p. 315.
(٤٣) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ جـ١ ص٨٧ •
(٤٤) فيليب آيرلاند (العراق) ـ ترجمة جعفر خياط ـ بيروت ١٩٤٩ ـ ص٢٨٠ •

كتب النقيب الى الملك يقول له بانه امتنع عن قبول استقالة الوزراء راجيا منه تأييده في موقفه هذا واعلان ثقته به وبهم • واسرع كوكس الى الملك يحثه على دعم موقف النقيب في رفض استقالة الوزراء ، وقد وافق الملك في اول الامر على ما طلبه كوكس ثم غير رأيه بعد قليل طالبا استقالة النقيب بدعوى أن بقاءه في الحكم غير دستوري بعد استقالة اكثر وزرائه[٤٥] • وقد اضطر النقيب عند هذا الى تقديم استقالته •

أصبح الوضع في غاية الدقة ، ومما زاد في دقته ان الملك أرسل الى كوكس رسالة شخصية تحتوي على ما يشبه التهديد حيث قال فيها : بالنظر الى عدم الاستقرار الموجود حاليا ، وعدم تحديد المسؤولية بينه وبين المندوب السامي في شؤون الادارة الداخلية ، فهو مضطر ان يبين للمندوب السامي وللحكومة البريطانية بأنه في حالة وقوع ثورة في البلاد ، وهو أمر متوقع حدوثه حسب معلوماته السرية على حد تعبيره ، فأنه غير مسؤول عما يترتب عليها من مسؤولية • وطلب الملك في رسالته من المندوب السامي أن يأخذ الحكم على عاتقه ، أو يفسح له المجال في ادارة شؤون البلاد بالطريقة التي يراها مناسبة •

كان هذا بالنسبة الى كوكس فوق مايمكن تحمله • فسوّد جوابا الى الملك شديد اللهجة ألقى فيه مسؤولية الاضطراب الراهن على عاتق الملك• ولكن كوكس لم يرسل هذا الجواب الى الملك ، بل أوقف اصداره لكي لا يحدث تأثيرا سيئاً على الاحتفال بيوم التتويج الذي كان قريبا[٤٦] •

تقول المس بيل : ان نوري السعيد ذهب الى الملك وأخبره بأنه فقد ثقة الانكليز وأنه سائر نحو الدمار ، ولكن الملك ظل سائرا في طريقه لايرعوي حيث يلعب دور الطفل الوقح الذي لاينفع فيه اي اقناع[٤٧] •

---

(45) Graves (op. cit.) - p. 315.

(٤٦) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) ـ ص٢٨٠ •

(47) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 291.

تاسيس الاحـزاب :

في ٢٥ حزيران ١٩٢٢ كان مجلس الوزراء قد أصدر قانونا أجاز فيه تأسيس الاحزاب ووضع عقوبات صارمة على اى تجمع لم تصدر بـه اجازة رسمية • والمظنون ان هناك ثلاثة أسباب دعت الحكومة الى اصدار مثل هذا القانون ، وهى :

اولا : كانت الحكومة تخشى ان تتطور الحالة فى صيف ١٩٢٢ الى مثل ما تطورت اليه في صيف ١٩٢٠ من حيث اقامة المظاهرات السياسيـة باسم « المواليد » النبوية و « التعازي » الحسينية ، فأرادت منع ذلك عـن طريق القانون •

ثانيا : كانت الحكومة تعتقد ان مؤيديها في العراق اكثر من المعارضين لها انما هم غير منظمين ، وهم بعد صدور القانون قد يتمكنون من تشكيل حزب أو أحزاب خاصة بهم يغلبون بها المعارضين او يفحمونهـم على الاقـل •

ثالثا : كان وزير المالية ساسون حسقيل قد أبدى رأيا في مجلس الوزراء هو ان الحكومة اذا منعت الناس من تأسيس الاحزاب فأنهـم يلجأون الى تشكيل احزاب سرية • والظاهر ان الوزراء ، والانكليز من ورائهم ، قد اقتنعوا بصحة هذا الرأي لاسيما وأنه صادر من ساسون الذى كان موضع ثقة الانكليز واعجابهم •

وعلى أي حال فقد تأسست في شهر آب ١٩٢٢ ثلاثة أحزاب كان اثنان منها معارضين هما حزب النهضة والحزب الوطني ، والثالث مؤيد للسلطة هو الحزب الحر •

تأسس حزب النهضة في الكاظمية في ٢ آب ، وكان اعضاء لجنتـه التنفيذية امين الجرجفجي وأحمد الظاهر وعبدالرسول كبة وآصف قاسم أغا وعبدالرزاق الازري ومهدي البير ومحمد حسن كبة • اما الحـزب

الوطني فقد تأسس في بغداد في ١٩ منه وكان أعضاء لجنته التنفيذية : جعفر أبوالتمن واحمد الشيخ داود وحمدي الباچچي ومولود مخلص وعبدالغفور البدري ومهدي البصير وبهجت زينل • وقد لوحظ في حينه ان حزب النهضة كان مدعوما من السيد محمد الصدر بينما كان الحزب الوطنى مدعوما من الشيخ مهدي الخالصي(٤٨) • ويقال ان التنافس التقليدى بين آل الصدر وآل الخالصي كان له أثره فى تكوين ذينك الحزبين ، ولولا ذلك لكان الحزبان حزبا واحدا •

أما الحزب الحر فقد تأسس في بغداد بتأييد من النقيب ، وكان ابنه الاكبر السيد محمود رئيسا له بينما أعضاء لجنته التنفيذية هم : جميل صدقي الزهاوى وعبدالمجيد الشاوي وفخري الجميل وحسن غصيبه وداود النقيب • وقد كتبت المس بيل في ١٥ آب تقول : « ان ابن النقيب ، السيد محمود ، قد أصبح رئيسا لحزب معتدل بعد الشيء الكثير من الدفع والحث • أما القوة المحركة الحقيقية فهي شيخ علي السليمان • وقد شكل المتطرفون حزبا لهم أيضا ولكنه حسبما سمعت عنه لم يحصل على تقدم كبير • وقد جاءني علي السليمان ومعه كل شيوخ العشائر الكبار حيث جعلهم يوقعون على الانتماء لحزب السيد محمود • انهم ملأوا دائرتي بالأمس فوق طاقتها وأوضحوا لي أنهم مستعدون لتنظيم البلاد كلها في سبيل تأييد العلاقات الانتدابية مع بريطانيا العظمى • انه كان شيئا مدهشا هذا الفوران التلقائي في الألوية من أجلنا ، ولكن هناك الحزب المعارض في مقدوره أن يسبب اساءة واضحة ، وربما أنتج ثورة ، ما لم نحث الملك على ضبطهم » • وأضافت المس بيل في اليوم التالي الى ذلك تقول : « عاد شيوخ العشائر الى مواطنهم لتنظيم الفروع الحزبية في الألوية ، واني سوف أرسل علي السليمان طائرا الى الرمادي • ان رجال القوة الجوية

---

(٤٨) محمد المهدي البصير (المصدر السابق) ـ ج٢ ص٤٥٠ ـ ٤٥١ •

الطيبين جهزوا طائرة خاصة لهذا الغرض لاني ذكرت لهم ان ذلك سوف يزيده مهابة وأن ذلك يوافق مصلحتنا ••• ان المتطرفين يبذلون كل ما في وسعهم لاثارة الفرات الاوسط ••• »[٤٩]

حادثة مثيرة :

عندما قدم الوزراء استقالتهم في ١٤ آب اعتبر الوطنيون ذلك نصرا لهم وأخذوا يجاهرون أمام الناس بأن وزارة وطنية سوف تخلف الوزارة النقيبية قريبا برئاسة محمد الصدر وان جعفر أبو التمن وحمدي الباچچي ومولود مخلص سيدخلون فيها • وفي ١٩ آب نشرت جريدة «المفيد» بيانا من محمد الصدر يحث الناس فيه على المثابرة في المطالبة بالاستقلال التام ورفض الانتداب بكل الوسائل المشروعة •

وفي ٢٠ آب عقد الحزبان المعارضان جلسة مشتركة برئاسة محمد الصدر ، وتلتها جلسة أخرى في اليوم التالي ، حيث قرر الحزبان المعارضان تدبير مظاهرة عامة في يوم التتويج وتقديم عريضة الى الملك تتضمن مطاليب الشعب في الاستقلال التام وتأليف وزارة وطنية من الاكفاء المخلصين •

وفي ٢٣ آب حل يوم التتويج ، فجرى الاحتفال به في مقر الملك المطل على النهر في القشلة حيث كان الملك يستقبل المهنئين فيه • وعند هذا جاءت المظاهرة التي دبرها الحزبان المعارضان ، وكانت كبيرة قدر عدد المشاركين فيها بنحو عشرة آلاف • فامتلأت ساحة القشلة بهم وأخذوا يهتفون بسقوط الانتداب والاستعمار • ثم وقف مهدي البصير على الشرفة المطلة على الساحة فألقى خطبة حماسية باسم الحزب الوطني ، ثم أعقبه محمد حسن كبه بخطبة أخرى باسم حزب النهضة •

وفي الوقت الذي كان فيه البصير يلقي خطبته وصل كوكس ومعه المس بيل وأفراد حاشيته ، وحين أخذ كوكس يصعد الدرج المؤدي الى

(49) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 289-290.

قاعة استقبال الملك هتف رجل من بين المتظاهرين اسمه حسون أبـــو الجبن(٥٠) قائلا : « تسقط بريطانيا ! يسقط الاستعمار ! » ، وقـد ردد المتظاهرون هذا الهتاف ، فظهرت علامات الارتباك على وجه كوكســ وحاشيته غير أنهم استمروا في صعودهم الدرج ، ثم أدوا مراسيم التهنئة كما ينبغي وعادوا من حيث أتوا •

اعتبر كوكس هذه الحادثة اهانة شديدة موجهة اليه والى دولته ، وظن انها لم تكن قد جرت مصادفة بل كانت مدبرة من قبل أمناء الملـك وخاصة رئيسهم فهمي المدرس • ويقول كوكس في تقريره الذى أرسله الى لندن عن الحادثة : أن امناء الملك تعمدوا تعيين موعد لزعماء المعارضة لكى يحضروا لتهنئة الملك قبيل حضوري ، وكذلك تعمدوا اطالة بقاءهم هناك ، فلما وصلت أخذ مهدي البصير الذي كان من مهيجي ثورة العشرين يلقي خطبة نارية في اهانة الانكليز ، وهو قد فعل ذلك بتوجيه أو باذن من فهمي المدرس(٥١) •

ومن الجدير بالذكر ان أمين الريحاني روى الحادثة بشكل آخــر، فهو يقول فى ذلك مانصه : « جاء صباح اليوم الثالث والعشرين من شهر آب وفد الحزبين المذكورين ومعهم جمهور من الانصار احتشدوا فى فناء القصر ، فطلب الزعماء من الملك أن يأمر بمن يمثل جلالته لسماع الخطب هناك • فأمر جلالته رئيس الامناء لينوب عنه • فخطب في الجمع خطيب الحزب الوطني ، الشاعر الضرير الشيخ مهدى البصير ، فهيج في رئيس الامناء الشجون فانتصب خطيبا • وحق له الكلام إذ كان الملك أنابه عنه ،

---

(٥٠) كان هذا الرجل بقالا له دكان في سوق السراي واشتهر بحماسه في المظاهرات ، قيل انه كان يلبس في بعض الاحيان كفنا على منوال ما يفعل أهل التطبير في المواكب الحسينية للتدليل على أنه فدائي فــي سبيل الوطن •

(51) Elie Kedourie (Chatham House Version) - London 1970 - p. 243.

وحق له أيضا ان يبرهن على حماسة ـ وقيل حماقة ـ فيه أنسته انــه موظف فى البلاط ، وأن المندوب السامى لبريطانيا العظمى قادم في تلك الساعة ليهنىء جلالة الملك بعيد الجلوس ، وان عليه واجب الاستقبال والترحيب . وقد اتفق انه بينما كان حضرة الاستاذ رئيس الامناء يخطب ضد الانتداب أقبل المندوب السامى السر برسي كوكس ورجال الوكالة البريطانية لاداء التبريك فاستقبلهم الجمع صارخا : ليسقط الانتــداب ! ليسقط الانكليز ! »[٥٢] .

الواقع ان رواية الريحانى هذه لم تؤيدها الوثائق البريطانية والعراقية، وقد كذبها مهدي البصير نفسه[٥٣] . ومهما كان الحال فقد أرســل سكرتير المندوب السامى في صباح اليوم التالي رسالة الى الملك شديدة هذا نصهــا :

سعادة رئيس الديوان الملكي المحترم

نرجو أن تخبروا جلالة الملك بان فخامة المعتمد يحتج بعنف ضد ما لقيه من المعاملة ، في وقت كان فخامته يمثل حكومة ملك بريطانيا العظمى ، مارا بباب غرفة الاستقبال ليؤدي مراسيم التبريك ، وان فخامته أخبر لندن بهذه الحادثة ويطلب أن يعتذر اليه وان يعزل فهمي أفندي المدرس اذا كان هو المسؤول رسميا ، ويطلب فخامته بيانا عن الاجراءات التى ينوى جلالة الملك اتخاذها ضد الخطيبين اللذين حقرا مقام الملك بالقائهما خطبا مهيجة .

٢٤ أوكست سنة ١٩٢٢ م التوقيع : جانين بيرسي[٥٤]

---

(٥٢) أمين الريحاني (ملوك العرب) ـ جـ٢ ص٢٩٧ ـ ٢٩٨ .

(٥٣) خيري العمري (فهمي المدرس) ـ في مجلة «الاقلام» ـ في عددهــا الصادر في كانون الاول ١٩٦٤ ـ ص٧٩ .

(٥٤) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ جـ١ ص٩٥ .

وعندما وصلت هذه الرسالة الى الملك أمر حالا بعزل فهمي المدرس من منصبه ، كما أمر سكرتيره رستم حيدر بكتابة جواب الى المنـــدوب السامي يبدي فيه أسفه العظيم على ما حدث ويتعهد بانه سيعمل اللازم حسب رغبات المندوب السامي ، ويرجو أن لايبقى أي أثر للحادث في ذاكرته •

تشير بعض القرائن الى ان فهمي المدرس كان منذ بداية تعيينه فـــي البلاط يعمل سرا في تأييد المعارضة ، وقد أحس الانكليز بذلك ، ولـــذا رأينا كوكس ينتهز فرصة المظاهرة وما جرى فيهـــا لكي يتخلص منه • وكان فهمي المدرس يعتقد من جانبه أن رستم حيدر يختفي وراء هذه المناورة ، وظل هذا الشعور يسيطر عليه فترة من الزمن[٥٥] •

مقابلة عجيبة :

في صباح ٢٤ آب ـ أي في اليوم التالي ليوم التتويج ـ شعر الملـك بألم شديد في بطنه • فاستدعي بعض الاطباء لفحصه كان من بينهم أمين معلوف وسندرسن وصائب شوكت ، فاختلفوا في تشخيص مرضه • يقول سندرسن في مذكراته : انه شخّص المرض بالتهاب الزائدة الدودية بينما شخصه أمين معلوف بأنه مرض بسيط سيخف بعد قليل[٥٦] • وقد حدثني صائب شوكت قائلا بانه هو الذى شخص المرض بالتهاب الزائدة بينمـــا شخصه سندرسن بانه ملاريا •

وبعد اجراء التحليلات المختبرية تحقق تشخيص المرض بانه التهاب الزائدة ، وتقرر اجراء عملية جراحية للملك في قصره في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي على ان يقوم بها كبير الجراحين في المستشفى الملكـي الدكتور ابراهام • وحين علم كوكس بقرار اجراء العملية للملك طلب من

---

(٥٥) خيري العمري (المصدر السابق) ـ ص٧٩ •

(56) Sinderson (Ten Thousand and one Nights) - London 1973 - p 66 - 67.

سندرسن قائلا : « يجب ان ارى الملك قبل العملية ، أرجوك أن تخبره انى سأكون في القصر فى الساعة السابعة والنصف » •

وفي الصباح الباكر من اليوم التالي حضر الى القصر ابراهام ومعه جراح آخر أصغر منه اسمه وودمان لكي يعاونه على اجراء العملية • وقد عُهد الى سندرسن بمهمة التخدير • ثم جاء حنا خياط مدير الصحة العام ليشهد العملية ممثلا عن الحكومة العراقية ، كما جاء عدد من الاطبـــاء العراقيين ليشهدوا العملية • ويقـول سندرسن : ان ســـتة من عبيـــد الملك المسلحين كانوا واقفين في الشرفة المطلة على النهر • ثم يعلق على ذلك قائلا : لو حدث للملك شيء لكانت فرصتنا في النجاة بعيدة جدا[٥٧] •

وفى الساعة السابعة والنصف وصل كوكس ومعه كورنواليس ، ودخل على الملك فخرج الاطباء البريطانيون الثلاثة من الغرفة ووقفوا فى الشرفة ينتظرون • وهنا يواجهنا سؤال مهم : ماذا كان قصد كوكس مـــن مقابلته للملك في تلك الساعة الحرجة ، وماذا جرى فيها ؟

لدينا روايتان حول تلك المقابلة ، احداهما رواها أمين الريحاني نقلا عن الملك نفسه ، والاخرى رواها المؤرخ البريطانى غريفز نقلا عـــن كورنواليس • وفيما يلي ننقل كلتا الروايتين لكي يتمكن القارىء من المقارنة بينهما :

يقول الريحانى : « في صباح اليوم التالي لعيد الجلوس ، عندما كان الملك فيصل محاطا بالاطباء والممرضات ، وقد أعـــدوا المباضع والادوات للجراحة ، وصل المندوب السامى السر برسي كوكس ، فسلم وأخرج من جيبه أمرا قدمه للملك ليوقعه ، وهو أمر بأعتقال سبعة من الزعماء الوطنيين ونفيهم من العراق ، قرأه الملك مكمودا وهز برأسه •فأفصح السر برسي عما يبرر العمل ، فما أجاب الملك بكلمة • ولكن احد اطباء الانكليز تقدم

(57) Ibid, p. 68.

وخاطبه قائلا : « ليس هذا الوقت ، ياحصرة المندوب لمثل هذه المسائل ».
فقال السر برسى : « المسألة ضرورية لحفظ الامن . ان البلاد في خطر ».
فقال الطبيب : « أجلها الى أن تتم الجراحة ، وهى ألزم لحياة جلالة الملك،
فيجب أن نباشرها حالا » . فقال الملك والامر بيده يخاطب السر برسي :
« بعد دقائق قليلة اكون بين ايدى هؤلاء الاطباء ، وقد لا اعود من غيبوبتي
الى الحياة . فهل تطلب مني ، يا سربرسي ، ان يكون هذا الامر آخر
أعمالي في الدنيا ؟ هل تنتظر مني أن أنفي هؤلاء الناس ، أهل البلاد ، من
بلادهم قبل موتى ؟ لا والله . انه غير ممكن ، غير ممكن » . قال هذا ودفع
الامر الى المندوب السامى ، فوضعه في جيبه ، وخرج من القاعة دون ان
يفوه بكلمة واحدة »(٥٨) .

أما رواية غريفز فهذا نصها : « في ٢٥ آب كان فيصل طريح الفراش
لاصابته بالتهاب الزائدة الدودية الحاد . فقرر أطباؤه اجراء عملية له في
اليوم نفسه . وقبل اجراء العملية بقليل زاره كوكس مع كورنواليس
بعد استئذان اطبائه . وشرحا له ان الموقف دقيق ، وانهم وصلوا الى مفترق
الطريق معه . وحضه كوكس ان يترك المتطرفين ويلتزم جانب البريطانيين ،
والا فعليه أن يواجه العواقب من تحالفه مع الاقلية الهدامة التي تسعى وراء
مصالحها . وضغط كوكس على فيصل لكي يأمر بالقاء القبض على سبعة
من قادة المهيجين . فرفض فيصل ... وقال انه واثق بان هذا الاجراء سوف
يؤدي الى قيام ثورة عامة وانه ليس في مقدوره أن يموت مع وجود هذه
المسؤولية في ضميره . وقد استمر الملك وكوكس يتجادلان في الموضوع
الى أن جاء الجراح وأصر على نقل الملك الى منصة الجراحة . ولقد كان
ذلك منظرا متأزما مع وجود حشد من العبيد والخدم خارج القاعة وهم
مسلحون متريبون ووجود ستة اطباء عراقيين داخل القاعة وهم يراقبون

(٥٨) أمين الريحاني (فيصل الاول) ــ ص١١٨ ــ ١١٩ .

مبضع الجراحة لئلا يساء استعماله . وظل الملك متمسكا بموقفه الى آخر نفس ضد الامر الذى كان يعده مأساة »(٥٩) .

قد يلاحظ القارىء ان هناك تشابها بين هاتين الروايتين ، ومن الممكن ان نستنتج في ضوء هاتين الروايتين ان كوكس اراد انتهاز وقت العمليــة لكي يحصل من الملك على الموافقة على ضرب زعماء المعارضة والقضاء على حركتهم ، غير ان الملك فوّت عليه تلك الفرصة .

ومما يلفت النظر ان كوكس لم يتطرق فى تقاريره الرسمية الى ذكر ما فعله مع فيصل ، وكذلك لم تتطرق المس بيل اليه في رسائلها ، وكأنهما أدركا ما فى ذلك الفعل من وضاعة فكتما ذكره . ويعلق الريحاني على ذلك قائلا ان كوكس عمل بالكلمة العربية المعروفة وهى « ان الكريم من ستر اهانته » ، ولهذا فانه لم يذكر تلك الحادثة فى تقاريره(٦٠) .

وعلى أي حال فان ابراهام أسرع الى اجراء العملية حال خروج كوكس من الغرفة ، وقام بها بما عرف عنه من دقة وبراعة . ويقول غريفز: ان حالة الزائدة كانت في وقت اجراء العملية على حافة الخطر إذ كانت اذ ذاك مثقوبة وكان أي تأخير في اجراء العملية ربما يؤدى الى الوفاة(٦١).

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ان الناس كانوا في تلك الآونة جاهلين بما يجرى ، وقد انتشرت الاشاعات المختلفة بينهم حول مرض الملك، فمنهم من قال ان الملك ليس مريضا ولكن الانكليز قد اضطروه الى التظاهر بالمرض ، وقال آخرون ان الاطباء اوصوا باجراء العملية بأيعـــاز من الانكليز(٦٢) . وكتب محمد الخالصي يقول عن الملك : « انه تمارض ولزم فراشه وأظهر انه على شرف الموت ، وكنت أحس من وراء ذلك الشـر

(59) Graves (op. cit.) - p. 317.

(٦٠) امين الريحاني (المصدر السابق) ــ ص١١٨ .

(61) Graves (op. cit.) - p. 317.

(٦٢) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ــ جـ١ ص٩٦ .

وأعتقد ان فيصل مريض الديـــن والوجـــدان والحميـــة لامريض البدن ... »[٦٣] .

ضــــرب المعارضة :

حين وجد كوكس ان الملك لايوافقه على ضرب المعارضة قرر ان يأخذ على عاتقه مسؤولية ذلك . وفي ٢٦ آب نشر كوكس بيانا طويــــلا موجها الى « عموم اهالي العراق » ملأه بالتهديد والوعيد ، وأعقب ذلـك اغلاق الحزبين المعارضين وتعطيل جريدتي « المفيد » و « الرافدان » . ولما ذهب جعفر أبو التمن وحمدي الباچچي الى دائرة التحقيقات الجنائيــــة للاحتجاج على هذه الاعمال التعسفية كانت الشرطة في انتظارهما وألقت القبض عليهما حالا . وكذلك ألقت القبض على مهدي البصير وأمـــين الجرچفچي وعبدالرسول كبة وسامي خونده . وأبعدوا جميعا الى جزيرة هنجام . ثم أبعد من بعدهم حبيب الخيزران . ولم يفلت من الاعتقال من رجال المعارضة سوى ثلاثة هم : أحمد الشيخ داود وعبدالغفور البدرى وابراهيم حلمي العمر ، فقد اختفى الاول والثانى منهم فلم تنلهما يـــد الشرطة ، أما الثالث فقد هرب الى ايران .

وأصدر كوكس أمره بعزل متصرف الحلة علي جودت الايوبي ، وعزل القائممقامين من اعوانه كخيرى الهنداوى وشاكر الملا حمادى ، كما أرسل الطائرات لقصف بعض العشائر كعشيرة آل فتلة في المهناوية، وعشيرة الاقرع في عفك ، وعشيرة خفاجة في الشطرة ، وعشيرة العـــزة فـــى المنصورية[٦٤] .

وفي ٢٨ آب أرسل كوكس رجلا هنديا من موظفيه اسمه محمد حسين خان الكابولي الى الشيخ مهدى الخالصي والسيد حسن الصـــدر

---

(٦٣) نقلا عن كتاب مخطوط للشيخ محمد الخالصي عنوانه «بطل الاسلام».

(٦٤) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ــ جـ١ ص٩٦ ــ ٩٩ .

في الكاظمية ينذرهما بوجوب سفر ولديهما الشيخ محمد والسيد محمد الى خارج العراق في خلال ٢٤ ساعة ، واذا لم يفعلا ذلك فسيضطر المندوب السامي الى اتخاذ اجراءات ضدهما لاتتناسب مع احترام رجـال الدين . فاضطر الرجلان الى الاستجابة لهذا الانذار . وقد غادر المحمدان ـ الخالصي والصدر ـ بغداد فى اليوم التالي متوجهين الى ايران . وخرج الكثير من أهالي الكاظمية وبغداد لتوديعهما في محطة القطار .

وصفت المس بيل فى احدى رسائلها ماقام به كوكس من ضـــرب المعارضة بأنه عمل جريء وانه أنقذ الموقف ، ثم قالت : ان المتطرفين قـــد انهارت حركتهم ، أما المعتدلون فقد رفعوا رؤوسهم عاليا ، وأخذ حـــزب السيد محمود الكيلاني يتضخم بشكل ملحوظ ، وهذا معناه أن مرض الملك كان مصادفة حسنة جاءت في أوانها . وتشير المس بيل بعد هـــذا الى ان ناجي السويدي جاء اليها وقد أعد خطة ممتازة لجمع التواقيع فـــي أنحاء البلاد من أجل توثيق العلاقات البريطانية العراقية ...(٦٥) .

موقف ياسين الهاشمي :

في الوقت الذى كان فيه الملك لايزال طريح الفراش عقب العمليـــة الجراحية التى اجريت له ذهب ياسين الهاشمى الى المس بيل في دائرتها ليتحدث اليها حول الوضع العام ، وأخذ الهاشمى يذم الملك على سلوكه المتقلب ويضع اللوم على الانكليز لانهم لم يستطيعوا السيطرة عليه .

كتبت المس بيل في رسالة لها مؤرخة في ٣١ آب حول زيارة الهاشمي لها فقالت : أنه أبدى قلقه حول مصير البلاد ، فهو قد قرأ صيغة المعـاهدة وكان رأيه ان العراق لايستطيع ان يتوقع شروطا اكثر تسامحا منها ، وتساءل الهاشمى : لماذا لم يقبلها الملك ؟ ثم قال يخاطب المس بيل : « انه ذنبكم ، لمـاذا لم تسيطروا عليه ، ولماذا سمحتم له بان يكون تحت تأثير أ'ناس

(65) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 293.

يريدون أن يسيروا بنا وبه نحو الخراب » • فأخذت المس بيل تشـــرح للهاشمي كيف أنها هي وكورنواليس وكلايتون كانوا يتملقون الملك في محاولة لاقناعه بلا جدوى • ثم تساءلت المس بيل : كيف يمكن العمل مع الملك حين يكون في القضايا الحيوية متفقا مع كوكس وكورنواليس ولكنه سرعان ما يغير رأيه حال خروج ذينك الرجلين من عنده ؟ فأجابها الهاشمي: « نعم أنا أعرف ، يأتي اليه احد الناس ، رجل من السوق ، وبكلمة واحدة يجعله يغير مقصده » • ثم قال الهاشمي : « انه الملك ، ولكن البلاد تأتي قبله » • وتأخذ المس بيل بالثناء على ياسين الهاشمي وعلى قوة شخصيته وذكائه ، إذ تقول مانصه :

« اني اعتقد ان ياسين هو رجل القدر • فهو يملك من الذكاء والنشاط اكثر من اى عربي آخر اعرفه ـ ربما ليس أقوى خلقا من علي السليمان ولكنه أوسع منه معرفة بالامور • ان الملك يعرف قوته ، ويخشاها ، ولكنه لغروره الكبير يحسب ان في مقدوره ان يخضع ياسين ويستعمله • واني اعتقد ان ياسين سوف ينال الحظوة لدى الملك عن طريق التظاهر بالرضوخ له ولكنه عندما يتمكن من الموقف بصورة مؤكدة سوف يمسك الملك من رقبته ويجبره على اتخاذ السياسة التي يريدها وعند هذا سيتلوى الملك كما تتلوى الحية ، وسوف يتقرر مصير العراق على هذا الاساس ، حيث يعيد التاريخ نفسه في العراق ، فيصبح ياسين الحاكم الفعلي ويكون الملك مجرد رئيس رمزي • ويؤسفني اني مضطرة الى الاعتقاد بأن هذا هو المصير الذى يليق بالملك ، فهو مغرور وضعيف وجبان ، ولن تنضج مثله الرائعـــة أبدا »[٦٦] •

يبدو من هذا القول ان المس بيل اكتشفت في ياسين الهاشمي الرجل الذى كان الانكليز يبحثون عنه والذى يستطيع ان يقف في وجه فيصل

---

(66) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 295 - 296.

ويجبره على الرضوخ للسياسة التى يريدونها في العراق • فالانكليز كانوا في تلك الايام قد نفد صبرهم من فيصل ، وكأنهم أصبحوا فيه بين خيارين : أما أن يعزلوه ، أو يشلوه بوضع رجل قوي أمامه يتحداه ويتغلب عليه • ولعلهم وجدوا فى الخيار الثانى ما يريحهم دون ان يثير عليهم ضجة ، وها هو ياسين الهاشمى قد جاء اليهم مستعدا للقيام بالدور المطلوب منه •

ومن غرائب الصدف انه لم تمض سوى ايام قليلة على زيارة الهاشمي للمس بيل حتى وصلت الى يدها رسالة كان الهاشمى قد ارسلها اثناء وجوده في الناصرية الى صديق له ببغداد يشتم الانكليز فيها ويصفهم بـ «الجائرين» ويدعو من الله التوفيق لطردهم من البلاد • وقد سلم الصديق هذه الرسالة الى مدير الامن العام ، وسلمها هذا الى المس بيل • وعند هذا شعرت المس بيل ان اكتشافها لم يكن صائبا وان الهاشمي ليس بالرجل الذى يمكن الوثوق به ••(٦٧) •

الملك يغير موقفه :

في ١٠ ايلول ١٩٢٢ ، على أثر شفاء الملك من مرضه جاء اليه كوكس يهنيه بالشفاء وأخذ يتحدث اليه بصراحة قائلا له ان الحكومة البريطانية سوف لاتتحمل بعد الآن اتصاله بأية حركة وطنية ولا تتساهل في أي تأخير قد يحدث في شأن تصديق المعاهدة ، وكذلك طلب منه أن يكون ملكا دستوريا ـ أي من طراز ملك بريطانيا ـ فيكف عن التدخل غير الضرورى في شؤون الادارة والموظفين • وقيل ان كوكس خيّر الملك بين أمرين : أما ان يعتذر عما فعل سابقا او يستقيل ، وقد فضل الملك الاعتذار(٦٨) • وقيل ايضا ان الملك اعتذر عن افعاله السابقة بأنه انما قام بها لعدم وجود الدستور ولان الوزارة كانت غير متجانسة ، وانه حالما يحصل على الدستور

---

(67) Ibid, vol. 2, p. 298.

(68) Gassan Attiyyah (IRAQ) - Beirut 1973 - p. 378.

والمعاهدة سوف يقوم بتنفيذ ما يطلب منه بطيبة خاطر[٦٩] .

وقدم كوكس الى الملك مسودة كتاب يصادق فيه على الاجـــراءات القمعية التى قام بها كوكس اثناء مرضه ويشكره عليها ، وقد فعل الملك ما أراد كوكس وهذا هو نص الكتاب :

عزيزى السر برسي

الآن وقد تم شفائي بحمد الله تعالى ، وسمح لي اطبائي ان استأنف أشغالي في الدولة ، أرى من واجبي قبل ان أتولى هذه التبعة أن اقدم الى فخامتكم تشكراتى القلبية ، وان أعبر لكم عن إعجابي الشديد للسياســة الحازمة والتدابير الضرورية التى اتخذها فخامتكم ، بصفتكم ممثلا لحكومة صاحب الجلالة ، لصيانة المصالح العامة والمحافظة على النظام والامن ، اثناء مرضي المفاجيء الذى صدف وقوعه بغتة في المدة التي تنقضي عادة بـين استقالة الوزارة وتأليف وزارة غيرها . وختاما أكرر تشكراتى الخالصة لفخامتكم على مساعدتكم الثمينة .

بغداد ١١ ايلول ١٩٢٢ م   صديقكم المخلص : فيصل[٧٠]

اصبحت العلاقة بين الملك وكوكس بعد هـــذا ودية كما يقـــول غريفز[٧١] . ولما حان وقت النظر فى أمر تشكيل وزارة جديدة كان رأي كوكس أن يعيد النقيب تشكليها للمرة الثالثة وان يكون اكثر أعضائهـا من الذين كانوا فى الوزارة النقيبية السابقة . فوافق الملك على جميـــع ماطلبه كوكس منه .

وفي ٣٠ ايلول تم تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة النقيب ، وكان

---

(٦٩) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) ــ ص٢٨٣ .

(٧٠) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ــ جـ١ .ص٩٧ .

(71) Graves (op. cit.) - p. 323.

فيها عبدالمحسن السعدون وزيرا للداخلية ، وساسون حسقيل وزيــرا للمالية ، وتوفيق الخالدى وزيرا للعدلية ، وجعفر العسكرى وزيرا للدفاع، وصبيح نشأت وزيرا للمواصلات والاشغال ، ومحمد علي فاضل وزيرا للاوقاف • وفى ١٧ تشرين الاول صدرت الارادة الملكية بتعيين عبدالمحسن شلاش النجفي وزيرا للمعارف ، غير انه اعتذر عن قبول الوزارة بكثرة أشغاله التجارية • ولهذا بقيت وزارة المعارف شاغرة(٧٢) •

وفي ١٣ تشرين الاول نشرت المعاهدة في بغداد وهى مذيلة بتوقيع الملك • وقد أذاع الملك بلاغا للشعب مدح فيه المعاهدة حيث وصفها بأنها بنيت على اسس المصالح المتبادلة بين العراق وبريطانيا العظمى ، وان الشعب سيقدر أهميتها بلا شك وسيزداد تمسكا بصداقة حليفتنا الكبرى على اعتبار ان صداقتها ضرورية لصيانة استقلال هذه المملكة وتأمين تقدمها الاقتصادى والعمراني(٧٣) •

يروي أمين الريحاني عن تلك الايام العصيبة التي مرت بالملك ويذكر ان الملك حدثه عنها حيث قال : ان الناس كانوا قبل مرضه يأتون اليـــه متحمسين ويقولون له : « ارفع العلم ، ونحن رجالك ، نفديك بأرواحنا »• وذكر فيصل على سبيل المثال واحدا من هؤلاء الفدائيين وكان من كبار زعماء المعارضة وأشدهمَ تحمسا ، غير أنه اختفى قبل أن ينفذ كوكس أمره بنفي الزعماء ، ثم عاد بعدئذ ليهنيء الملك بشفائه ، فسأله الملك : « وماذا فعلتم بالانكليز ؟ هل عدلتم عن اخراجهم من البلاد ؟ » فأجاب الرجـــل فورا من غير ارتباك: «قالوا لنا انكم انتم أُخرجتم من البلاد ، فسكتنا»(٧٤)•

لعل من المناسب ان نذكر محاورة طريفة جرت بين الملك والمس

(٧٢) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ جـ١ ص١٠١ •
(٧٣) جريدة «العراق» ـ في عددها الصادر في ١٤ تشرين الاول ١٩٢٢ •
(٧٤) أمين الريحاني (المصدر السابق) ـ ص١٢٢ ـ ١٢٣ •

بيل حول ياسين الهاشمي في تلك الايام • فقد كان الهاشمي مرشحا لوزارة الداخلية في الوزارة الجديدة ، وكان الملك راغبا في ذلك غير ان المس بيل لم توافق عليه • وقد ذهبت المس بيل الى الملك لاقناعه بعدم لياقة الهاشمي للوزارة ، فعرضت عليه الرسالة التى شتم الهاشمي بها الانكليز ، ثم قالت للملك مانصه : « نحن لانبالي اذا قال لنا أحد : انتم جائرون وأوغاد • وربما أجناه : والله ! الله اعلم • ولكنه حين يقول كما فعل الهاشمي : انتم الوسيلة الوحيدة لانقاذ بلادي ، ثم يكتب في الوقت نفسه يصفنا بالجور ويدعو من الله التوفيق لطردنا من البلاد ، فهذا أمر لايمكن غفرانه » • وقد حاول الملك تبرير سلوك الهاشمي فقال للمس بيل : ان مافعله الهاشمي أمر اعتيادى في الحياة الشرقية ، فالاستعباد الذى عاناه الشعب على مدى ستة قرون جعل الفرد مضطرا ان ينافق ويلعب على الحبلين لكي يحمي نفسه عن طريق المكر • حتى أنا أفعل ذلك • فنحن لم نتعود على حياة الحرية لكي نكون فى سلوكنا احرارا، ومن يريد أن يسوس الشرقيين يجب ان ينظر بمنظارهم • وتقول المس بيل انها اقتنعت بصحة ما قال الملك في الدفاع عن الهاشمي غير أنها ظلت مصرة على عدم اسناد أية وزارة الى الهاشمي فى الوقت الحاضر • وكان رأيها ان من الجائز له ان يكون وزيرا فيما بعد ، وهى تظن انه في النهاية سوف يصل الى القمة(٧٥) •

يخيل لي ان الملك فى دفاعه عن سلوك الهاشمي انما كان يدافع عن سلوكه هو • والظاهر ان المس بيل أدركت ذلك ، ولهذا قالت بان الهاشمي سوف يصل في النهاية الى القمة ، وكأنها أرادت ان تقول للملك انه سيصل الى القمة كما وصلت انت اليها •

---

(75) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 298.

الفصل الخامس

نفي الشيخ مهدي الخالصي

في ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٢ أصدر عبدالمحسن السعدون بصفته وزير الداخلية أوامره الى المتصرفين بالشروع باجراء الانتخابات للمجلس التأسيسي • وفي ٢٤ منه أعلن السعدون بلاغاً عاماً ورد في ختامه ما نصه :

« وهنا اكرر القول وألتمس من أفراد شعبنا النجيب أن لا يحفلوا بالتمويهات والأباطيل ، التي ربما يتجاسر عليها بعض من لا تهمهم مصلحة الشعب الحقيقية ، ويوحدوا آراءهم ، ويضعوا ثقتهم بمن يتوقعون منه السعي لتحقيق رغباتهم ••• ان القول الفصل هو للمجلس التاسيسي الذي يباشر الآن بانتخابه ، وفق الله الجميع لما فيه خير البلاد • »[1]

المعارضة الجديدة :

كان الانكليز والملك يظنون ان المعارضة قد انتهى أمرها وان الانتخابات ستجري حسب الخطة المرسومة • ثم تبين لهم في خلال أيام معدودة ان ظنهم هذا كان خاطئاً • فلقد انبعثت المعارضة من جديد وبزخم شديد ، وكانت في هذه المرة بزعامة المجتهدين في الكاظمية والنجف وفي مقدمتهم الشيخ مهدي الخالصي •

ظهرت أولى بوادر المعارضة بشكل استفتاء موجه الى المجتهدين في ١٥ ربيع الاول ١٣٤١هـ ، وهو يوافق ٥ تشرين الثاني ١٩٢٢ ، وهذا نصه :

« حضرات علمائنا الأعلام وحجج الاسلام متعنا الله تعالى بظلهم مدى الأيام ، بلغنا أنكم بمقتضى وظيفتكم الدينية ورئاستكم الروحانية حرمتم على

(١) عبدالرزاق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية) ـ صيدا ١٩٦٥ ـ ج ١ ص ١١٢ •

كافة الامة العراقية المداخلة في هذا الانتخاب وحرمتم المساعدة فيه بكل وجه وجعلتم المساعدة فيه محادة لله ولرسوله فنسترحم أن تبينوا صحة ذلك حتى نمتثل أوامركم التي أمر الله تعالى بامتثالها أدام الله ظلكم » •

وقد ذيل هذا الاستفتاء بأجوبة المجتهدين الثلاثة الكبار وهي كما يلي:

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ نعم قد صدر منا تحريم الانتخاب في الوقت الحاضر لما هو غير خفي على كل باد وحاضر فمن دخل فيه أو ساعد عليه فهو كمن حارب الله ورسوله وأوليائه صلوات الله عليهم أجمعين ـ الأحقر أبو الحسن الموسوي الاصفهاني »

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ نعم حكمنا بحرمة الانتخاب وحرمة الدخول فيه على كافة الامة العراقية وان من دخل في هذا الأمر أو ساعد عليه أدنى مساعدة فقد حاد الله ورسوله والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين أعاذ الله الجميع عن ذلك ـ الأحقر محمد حسين الغروي النايني » •

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ نعم قد صدر منا الحكم بتحريم الانتخاب على كافة الامة العراقية فمن دخل أو تداخل أو ساعد فيه فقد حاد الله ورسوله وقد قال عز من قائل في كتابه المجيد ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم أعاذ الله الجميع من ذلك ـ الراجي محمد مهدي الكاظمي الخراساني الخالصي عفى عنه »(٢) •

ولم يقف الأمر عند هذا الأمر بل صارت الفتاوى يتوالى صدورها حيناً بعد حين ، وكانت هناك عصبة من الشباب المتحمس كرسوا جهودهم على متابعة ذلك ، فكانوا يكتبون صيغة الاستفتاء ويقدمونها الى المجتهدين ليحصلوا منهم على الفتاوى المطلوبة • يقول محمد مهدي كبة في مذكراته :

---

(٢) من وثائق البلاط الملكي ـ رقم الاضبارة ٣ ، رقم الوثيقة ٧٠ •

« كنت وجماعة من شباب الكاظمية ، ومن طلاب مدرسة الخالصي ، دائبين على العمل في كتابة صيغ الاستفتاءات ومواجهة علماء الدين واستصدار الفتاوى منهم ، وانتداب بعض الشبان لكتابتها على الاوراق والكاربون وتوزيعها بين الناس ، وارسالها الى بغداد وغيرها من أنحاء البلاد »[٣] .

وصار المجتهدون من جانبهم يشتدون في تحريمهم للانتخاب . فالسيد أبو الحسن الاصفهاني مثلا قال في فتوى صدرت له مؤخراً ما نصه : « الى اخواننا المسلمين ان هذا الانتخاب يميت الامة الاسلامية فمن انتخب بعدما علم بحرمة الانتخاب حرمت عليه زوجته وزيارته ولا يجوز رد السلام عليه ولا يدخل حمام المسلمين . هذا ما أدى اليه رأينا والله العالم بالصواب » . وأصدر الشيخ مهدي الخالصي فتوى فيها اشارة واضحة الى ما فعله كوكس من نفي وتشريد وقصف بالطيارات ، والى تأيد حزب النقيب له ، وهذا نصها :

« لما كانت الانتخابات مبنية على أساس مخالف لرغائب الامة العراقية بواسطة السلطة العسكرية والحزب الحر المعتدل الذي أسس بالقهر والقوة وسد الاحزاب الموافقة لرغائب الامة وتسويق أهلها وتشتيت جمعها واصابة المتخلف عن حزب الحر بالطيارات حتى قتل بقنابلها الاطفال والعجزة والابرياء والنساء وغير ذلك مما لو مات المسلم دونه أسفاً لما كان عندي ملوماً بل كان به جديراً . ان المداخلة بالانتخابات وكل ما يبتني على هذا الاساس المضر بمستقبل العراق بل بجميع شؤونه محرمة شرعاً باجماع المسلمين ونحكم بخروجه عن ربقة المسلمين . ومن الله التوفيق وهو حسبنا وهو نعم الوكيل »[٤] .

---

(٣) محمد مهدي كبه (مذكراتي في صميم الاحداث) - بيروت ١٩٦٥ - ص ٢٧ .

(٤) من وثائق البلاط الملكي - رقم التسلسل ١١٥ ، رقم الوثيقة ١ .

والملاحظ ان أكثر علماء الكاظمية ، أو كلهم تقريباً ، أيدوا الخالصي في تحريم الانتخاب • فهم قد تناسوا خلافاتهم الشخصية ومنافساتهم المحلية وصاروا جميعا في صف واحد تجاه الحكومة • وقد وجدنا تواقيعهم على الفتاوي التي صدرت ، وهم السيد حسن الصدر والشيخ عبدالحسين آل ياسين والسيد محمد مهدي الصدر والشيخ مهدي المراياتي والشيخ مهدي جرموقة والسيد مهدي الخراساني والمرزا ابراهيم السلماسي والشيخ اسماعيل الأسدي والشيخ راضي الخالصي والشيخ محمد الاسدي والسيد أسدالله الحيدري • وهذا دليل على قوة المعارضة التى ظهرت آنذاك •

وأخذ الشيخ مهدي الخالصي يجاهر بذم الملك ، ويشجب موقفه من المعاهدة ، ويصفه ناكثاً بوعده الذي وعد به في بداية قدومه الى العراق • وذكر محمد مهدي كبة في مذكراته ان الخالصي أعلن في جمع حاشد في مدرسته قائلا : « بايعنا فيصل ليكون ملكا على العراق بشروط ، وقد أخل بتلك الشروط ، فلم تعد له في أعناقنا وأعناق الشعب العراقي أية بيعة » • فكان لهذا التصريح من الخالصي دوي في الاوساط المختلفة ، وبلغ مسامع الملك فاستاء منه أشد الاستياء وأضمر له الحقد[٥] •

السعدون يخلف النقيب :

ضاق النقيب ذرعاً بهذه المعارضة الشديدة التي يتزعمها المجتهدون ويصولون فيها بفتاويهم • وكانت بعض منشورات المعارضة تهاجم النقيب شخصياً وتصفه بأنه مرتد عن الاسلام • ونظم الشاعر الشعبي المعروف عبود الكرخي قصيدة في ذم النقيب تداولتها الافواه ولاسيما هذين البيتين منها :

يانقيب ويانقيب	عجب ماعندك صحيب
من عفت جدك محمد	صار لك كوكس حبيب

(٥) محمد مهدي كبة (المصدر السابق) ـ ص ٢٦ •

ويروي أمين الريحاني انه زار النقيب في تلك الفترة فوجده غاضباً مضطرباً ، وقد قال له النقيب مانصه : « في البلاد وطنيون كثيرون ، وكلهم رجال سياسة ، ولكن ليس في رؤوسهم عيون تريهم ماهم فيه . أين هم من البلاد ، وأين البلاد منهم ؟ كانوا بالأمس تحت أقدام الترك ، واليوم يبيعون البلاد الى الترك بفلس لينتقموا ممن يظنونهم أعداءهم . نحن أخذنا الأمر على عاتقنا ، ولانسأل التوفيق من غير الله ، ولانتوكل الا عليه سبحانه وتعالى . أما اجتمعت بالوطنيين ياأفندي وسمعتهم يتبجحون ؟ غداً تجتمع بكبارهم في كربلا والنجف . نصف هذا الاجتهاد جهل ، ونصفه عناد ... عند الانكليز العلم ، وعندهم المال ، وعندهم الحكمة . أما الوطنيون فأي شيء عندهم ؟ هل هم يحبون البلاد أكثر منا وهي بلادنا قبل أن تكون بلادهم ؟ وأكثرهم لايزالون من الأجانب ... »[٦] .

كان النقيب حريصاً على البقاء في الحكم ، وقد كتبت عنه المس بيل ذات يوم تقول : « ان هناك أمراً واحداً هو ان النقيب لن يتخلى عن رئاسة الوزارة الا اذا حمل حملاً ورجلاه الى الامام »[٧]. هذا ولكن الانكليز بدأوا يشعرون بأنه لم يعد يصلح لهم ، فالموقف السياسي أصبح في حاجة الى رجل قوي حازم من طراز غير طراز النقيب . ومن الممكن القول ان النقيب انما كان مناسباً لرئاسة الوزارة في بداية تشكيل الحكومة عندما كان الانكليز يريدون لها رجلاً ذا قدسية أو مهابة اجتماعية . أما الآن بعد أن أشهر المجتهدون فتاويهم الصارمة فان الموقف يحتاج الى رجل حازم وليس الى رجل ذي مهابة .

كان الملك غير مرتاح من النقيب ويريد تبديله برجل من أعوانه هو

---

(٦) أمين الريحاني (ملوك العرب) ـ بيروت ١٩٥١ ـ ج٢ ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

(7) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - Vol. 2, P. 289.

جعفر العسكري ، ولكن الانكليز كانوا يعتبرون العسكري ضعيفاً غير قادر على معالجة الموقف ، وربما كانوا يعدونه آلة بيد الملك • وقد أخذ الانكليز في تلك الآونة ينظرون الى عبدالمحسن السعدون باعتباره الرجل الأمثل ، وصاروا يمهدون له الطريق لكي يخلف النقيب على رئاسة الوزارة في أقرب فرصة ممكنة •

كان الانكليز ـ كما رأينا سابقاً ـ يبحثون عن رجل قادر على الوقوف في وجه الملك وقد عثروا على هذا الرجل في شخص ياسين الهاشمي غير أنهم سرعان ما اكتشفوا خطأهم فيه • والظاهر ان الانكليز وجدوا أخيراً في السعدون الرجل المناسب الذي يبحثون عنه •

والواقع ان السعدون يختلف عن الهاشمي من حيث كونه صريحاً لا يداجي ولا يميل الى المداراة والرياء ، وقد جاءه ذلك من تراثه البدوي الذي نشأ عليه في طفولته • وكان علاوة على ذلك قوي الشخصية مهيباً ذا صلابة وثبات فاذا أبرم أمراً سار فيه قدماً لايبالي أرضي الناس عنه أم غضبوا •

ومن الجدير بالذكر ان السعدون كان معتقداً ان مفهوم الوطنية لم يتبلور بعد في العراق ، وأن اهل العراق ليسوا شعباً واحداً بل شعوباً متباينة[٨]، كما أن العراق محاط بالاعداء من كل جانب كابن سعود والاتراك والايرانيين والفرنسيين ، ولهذا فان مصلحة العراق في رأي السعدون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتعاون مع الانكليز ، فليس من الحكمة أن يواجه العراق اولئك الاعداء بمفرده مع العلم أنه لايملك من القوة ما يساعده على الصمود أمامهم ، فلو أن الانكليز انسحبوا من العراق لأكله أعداؤه المحيطون به خلال زمن قصير • وقد كان السعدون يبدي آراءه هذه علناً بلا مداجاة بخلاف بعض الساسة الذين اعتادوا ان يعلنوا أمام الناس غير

---

(٨) نقلا عن كتاب مخطوط لخيري العمري •

ما يضمرونه في قلوبهم • أضف الى ذلك انه كان لايشعر بالضعف أمام الملك وكثيراً ما كان يقف منه موقف الند للند يعارضه أويتحداه • كتبت المس بيل في ١ تشرين الثاني ١٩٢٢ تقول : ان السعدون أحد الذين أحبهم أكثر من غيرهم فهو رجل جريء لا يخاف وليس عنده أقل ميل للتردد في أن يقف في وجه الملك حين يخالفه في الرأي ، وكثيراً ما كان يفعل ذلك[٩] •

في ٦ تشرين الثاني قدم السعدون استقالته من وزارة الداخلية وذكر في تعليل استقالته ان زملاءه الوزراء لم يوافقوه على خطته في استعمال الشدة في اجراء الانتخابات والضرب على أيدي مقاطعيها • ولم يمض على استقالته سوى عشرة أيام حتى قدم النقيب استقالة الوزارة كلها • وقد قبل الملك استقالة النقيب حالا وبعد يومين عهد الملك الى السعدون بتشكيل وزارة جديدة •

ويعلق أمين الريحاني على استقالة النقيب حيث أشار الى ان الانكليز سكتوا عنها ولم يكترثوا لها ، وذكر أن الناس أخذوا يتساءلون قائلين : « وأين وفاء الانكليز ؟ » وقال البغدادي بلهجته العريضة : « يسخرونه ، ويضجرونه ، ويهجرونه »[١٠]• أي ان الانكليز بعد ان استغلوا النقيب نبذوه !

الوزارة الجديدة :

تألفت الوزارة السعدونية من السعدون رئيساً ووزيراً للعدلية بالوكالة ، وناجي السويدي للداخلية ، وساسون حسقيل للمالية ، وياسين الهاشمي للاشغال والمواصلات ، وعبداللطيف المنديل للاوقاف ، وعبدالحسين الجلبي للمعارف ، ونوري السعيد وكيلاً للدفاع •

---

(9) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 303.

(١٠) امين الريحاني (فيصل الاول) ــ بيروت ١٩٥٨ ــ ص ١٤٣ •

والملاحظ ان السعدون كان في أول الأمـر يريد اسناد وزارة الاشغال والمواصلات الى عبدالمحسن شلاش ، وقد أبرق اليه بذلك في ١٧ تشرين الثاني ، ولكن شلاش اعتذر عن قبول المنصب • والمظنون انه كان يخشى من نقمة المجتهدين والرأي العام عليه ، وبعد هذا أسند السعدون تلك الوزارة الى ياسين الهاشمي •

وقد قوبل استيزار عبدالحسين الجلبي بالاستنكار الشديد في الكاظمية وأخذ الناس يشتمونه ويذمونه ذماً قبيحاً • فهم كانوا يعدونه من أعـوان الخالصي ومريديه ثم وجدوه ينقلب فجأ فيصبح من رجال الحكومة • وفي ذات يوم وقفت له جماعة من أهل الكاظمية عند باب الصحن الشريف ، وكان على رأسهم الشيخ حسن بن الشيخ مهدي الخالصي ، وحين جـاء الجلبي يريد الدخول الى الصحن بغية المرور منه الى بيته كعادته في كل يوم تصدى له أولئك بدعوى أنه كافر لا يجوز له دخول المساجد • فانبرى رجلان من أعوانه للدفاع عنه ، وكادت تقع فتنة لولا أنه واجـه الأمـر بالاناة والحلم وذهب الى بيته عن طريق الازقة المجاورة للصحن • وقد آثر أخيراً أن يسكن خارج الكاظمية في قصر « الأيل »

صمم السعدون على القيام بالانتخابات على الرغم من صدور الفتاوى بتحريمها • وحين شرع الموظفون باجراء التدابير التمهيدية لها جوبهـوا بمقاطعة شديدة في بعض أنحاء البلاد ولاسيما في العتبات المقدسة •

ولم تقتصر المقاطعة على المناطق الشيعية وحدها بل تجاوزتها الى بعض المناطق الأخرى • ففي الموصل مثلاً الصقت اعلانات تدعو الى المقاطعـة كما أخذت الشتائم توجـه من الجمهور الى القائمين بشؤون الانتخاب • وقد شارك بعض المسيحيين في هذه المقاطعة حيث ظهـر اعـلان ملصق على باب دار البلدية مفاده ان رجال الدين المسيحيين أفتوا بمقاطعة الانتخابات ومؤازرة المسلمين فيها تمسكاً بالجامعة الوطنيـة وحفظاً للمصالح المشتركة

والتآلف القديم • وفي ٢٨ كانون الاول كتب متصرف ألموصل الى وزارة الداخلية يقول بان الهيئة التفتيشية في الموصل لم تعد ترغب فيمواصلة العمل وبدأت تخشى من عاقبة الفتاوي ،وان حركة المقاطعة ليست منبثقة من داخل اللواء بل هي آتية من العاصمة ، وان بطء حركة الانتخابات في الألوية وما يرد منها من الاخبار من اكبر الدواعي لتشويش الاذهان في الموصل(١١).

ومن الطريف ان نذكر ان حزب النقيب المسمى بالحزب الحر قد وقف موقف المعارض للحكومة اثناء الانتخابات ، فكانت جريدة « العاصمة » الناطقة بلسان هذا الحزب تنتقد سير الانتخابات • والظاهر ان حزب النقيب انما وقف هذا الموقف لكي يظهر عجز الوزارة السعدونية عن القيام بالعمل الذي كان السعدون قبل هذا يتهم الوزارة النقيبية بأنها عاجزة فيه(١٢).

قرر السعدون أن يتولى وزارة الداخلية لكي يشرف بنفسه على سير الانتخابات • كتبت المس بيل في رسالة لها مؤرخة في ١٦ كانون الثاني ١٩٢٣ تقول : « ••• جاءني رئيس الوزراء وناجي السويدي وعبداللطيف المنديل لتناول طعام الغداء عندي • وأعلن رئيس الوزراء عند وصوله أنه يخشى ان تكون لديه قشعريرة • فأجبته بان براندي الكرز علاج ممتاز ، وكان عندي لحسن الحظ شيء منه من بقايا وليمة سابقة • فاحتوشوا كلهم نصيباً كبيراً منه حتى من كان منهم لاقشعريرة لديه • وبعد هذا تناولنا غذاءاً ودياً للغاية • وقد أسروا لي أنهم يفكرون باحداث تغيير في المناصب الوزارية حيث يتحول ناجي بك الى وزارة العدلية ، ويعطى وزارة الداخلية الى رئيس الوزراء • ورجوني أن أهيء ذهن المندوب السامي لهذا التغيير ، فوافقت على ذلك حالاً ، لأن محسن بك سيكون أفضل جداً من ناجي لوزارة الداخلية ، اذ هو أقل

---

(١١) محمد مظفر الأدهمي (المجلس التأسيسي العراقي) ـ رسالة جامعية غير مطبوعة ـ ج١ ص ٣٥٧ـ٣٥٨ •

(١٢) المصدر السابق ـ ج١ ص ٣٥٦ـ٣٥٧ •

حساسية تجاه التأثيرات السياسية منه • ان السربرسي وافق على ذلك ، وقد تم الآن اجراء التعيينات ••• »[١٣]

تغيير في السياسة :

كان المتوقع عندما تولى السعدون وزارة الداخلية أن يتخذ الاجراءات الشديدة لاتمام الانتخابات والضرب على ايدى مقاطعيها • ولكن الذى حدث فعلاً كان على النقيض من ذلك • ففي أواخر كانون الثاني لوحظ ان الانتخابات توقف سيرها في جميع أنحاء العراق ، ولم تفعل الحكومة شيئاً ازاء ذلك بل سكتت عنه كأنها كانت راضية عنه •

أضف الى ذلك ان بعض رجال المعارضة الذين كانوا معتقلين في هنجام أطلق سراحهم ، وفي ١٩ شباط وصل بغداد أربعة منهم وهم : أمين الجرجفجي وحبيب الخيزران وعبدالرسول كبة وسامي خوندة • ثم وصل بعد ذلك ثلاثة آخرون هم حمدى الباججي وجعفر أبو التمن ومهدى البصير •

وكذلك قررت الحكومة معالجة التذمر الموجود في لواء المنتفق من سياسة الميجر ييتس ، فنقلت الى اللواء عبدالعزيز القصاب الذى كان متصرفاً في كربلا • وفي منتصف آذار ذهب كورنواليس الى المنتفق ليبحث الأمور بنفسه ، ووافق على الحلول التى قدمها القصاب لمشاكل اللواء • وعند عودة كورنواليس الى بغداد صدر الأمر بعزل الميجر ييتس وتعيين رجل آخر مكانه • ويصف القصاب المستشار الجديد بأنه صريح طيب القلب[١٤]•

يدل هذا كله على ان الوزارة السعدونية غيرت سياستها وأخذت تتبع طريقة اللين والتسامح تجاه المعارضة • وهنا يواجهنا سؤال : ما هو السبب الذي جعل الوزارة تغير سياستها مع العلم ان السعدون انما

(13) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 307.

(١٤) عبدالعزيز القصاب (من ذكرياتي) ـ بيروت ١٩٦٢ ـ ٢٣١ـ٢٣٥ •

استقال من الوزارة السابقة احتجاجاً على اتباعها سياسة اللين ؟

يمكن أن نعزو هذا التغير الى سببين : اولهما استفحال التهديد التركي لحدود العراق الشمالية في ذلك الحين ، وكان تهديداً في غاية الخطورة كما سنأتي اليه • ويمكن القول ان الوزارة السعدونية وجدت من الضروري استرضاء المعارضة من أجل توحيد الصفوف تجاه ذلك الخطر •

أما السبب الثاني فهو حدوث تغير في السياسة البريطانية تجاه العراق آنذاك • ففي ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٢ استقالت وزارة لويد جورج ، وقد امتنعت الوزارة البريطانية الجديدة عن تصديق المعاهدة المعقودة مع العراق • ثم ظهرت في بريطانيا حملة قوية ضد الحكومة لانفاقها المبالغ الطائلة على العراق ، وطالب بعض النواب بالانسحاب من العراق في أول فرصة ، مما دعا الوزارة البريطانية الجديدة الى استدعاء كوكس لمشاورته في الأمر • وقد طار كوكس الى لندن في ١٩ كانون الثاني ١٩٢٣وخلفه في منصبه بالوكالة السر هنري دوبس(١٥)• والظاهر ان الوزارة السعدونية لم تجد في هذه الظروف مايبرر اصرارها على الاستمرار في الانتخابات ، وربما فضلت الانتظار الى حين استقرار الرأي في بريطانيا حول المعاهدة •

استفحال التهديد التركي :

كان مصطفى كمال باشا قد انتصر على اليونانيين انتصار ساحقاً في ايلول ١٩٢٢ ، فكان لانتصاره هذا صدى عظيما في بعض الاوساط العراقية خاصة بين اولئك الذين كانوا يحنون للعهد التركي ويتمنون عودته • وقد اعتز الاتراك بهذا الانتصار فأخذوا يحشدون قواتهم على حدود العراق الشمالية بغية استرجاع الموصل وربما استرجاع العراق كله •

---

(١٥) كوكس ودوبس (تكوين الحكم الوطني في العراق) ـ الموصل ـ ص ٦٤ ، ٦٧ •

ففي تشرين الاول ١٩٢٢ وصلت الى كوكس تقارير سرية مفادها ان التجنيد قائم على نطاق واسع في جزيرة ابن عمر وسيرت وماردين[١٦] •

وفي كانون الاول وصلت الى كوكس برقية من القنصل البريطاني في حلب مفادها ان قوات تركية بقيادة يوزدمير علي شفيق بك قد هاجمت ليلاً المعسكر الانكليزي عند الحدود الشمالية ومحطة الطيران في زاخو ، وان السلطات التركية في مديات وضعت يدها على سبعمائة وخمسين ألف كيلو من الحنطة ، ووضعت بالمناقصة شراء ألفي قربة لاستعمالها في صنع الاكلاك ، كما أنها عبأت جميع السكان لتعبيد الطرق وبناء التحصينات[١٧] •

وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٢٣ وصلت الى بغداد أنباء تفيد أن أربعة افواج تركية مع ملحقاتها وصلت الى جزيرة ابن عمر ، فدعا ذلك القيادة الانكليزية في بغداد الى توجيه بعض قواتها الى الموصل ، أما الجيش العراقي فقد عهد اليه المحافظة على خطوط المواصلات • وفي ٢٨ كانون الثاني ذهب الأمير زيد الى الموصل للاشراف على شؤون الدفاع عن الحدود الشمالية ، وقد لحق به بعدئذ الكابتن كلايتون • وأخذ الاتراك يرسلون عملاءهم ودعاتهم الى العراق سراً ليتصلوا ببعض رؤساء العشائر العراقية ، ولاسيما الكردية منها ، وببعض زعماء المعارضة والمجتهدين • وقد وقع الكثير من رسائلهم في ايدى الانكليز[١٨] •

كتبت المس بيل في ٣٠ كانون الثاني الى عائلتها تقول : « هل نحن معرضون للغزو أم لا ؟ واذا كنا معرضين للغزو فهل سُنترك وحدنا ندافع حسب امكانياتنا ••• واذا لم يرسل الاتراك فيلقاً آخر أو فيلقين فنحن بخير ، اما اذا أرسلوا ذلك فالأمر يختلف • وبالرغم من مفاخرات عصمت

---

(١٦) عن دائرة الوثائق العامة بلندن ــ رقم (أف • أو • ٣٧١ـ٧٧٨١) •

(١٧) عن دائرة الوثائق العامة بلندن ــ رقم (أف• أو• ٣٧١ـ٩٠٠٢) •

(18) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, P. 308-309.

باشا فانهم لا يبدأون بالهجوم ، لان في نيتهم أن تكون القبائل المحلية هـي البادئة ، غير ان تلك القبائل مترددة في الاستجابـة للضغط • وقصارى القول : انه اذا كان الاتراك يخادعون فنحن نخادع مثلهم ، أما اذا كانـوا جادين فنحن نمسك يداً خاسرة » • ثم تقول المس بيل : « وفي هذا اليوم دعاني الملك لتناول الشاى ، وكان قلقاً يريد أن يعرف هل نحن مستعدون في النهاية للدفاع عن البلاد أم أننا نريد ترك الأمر له • وأخبرني أنه عند الضرورة قد يقبل باجراء استفتاء على شرط أن يشمل هذا الاستفتاء المناطق التركية التي معظم سكانها من العرب كنصيبين وماردين ، وان تنسحب منها القوات المسلحة لكلا الطرفين ، وأن تشرف على الاستفتاء دولة محايدة • ولكنه أيضاً سوف يطلب منا أن نقوي جانبه بالغاء الانتداب • واذا لم نقبل بهذا الاقتراح ، أو اذا كانت القوات الانكليزية في الموصل في خطر ، أو اذا ترك العرب لوحدهم ليدافعوا عن بلادهم ، فانه سيذهب بنفسه الى الحدود ليقضي فيها حياته صامداً الى النهاية » • وتعلق المس بيل على هذه الكلمة الاخيرة من فيصل فتقول : « وبروحي فانى لا أطلب شيئاً أفضل مـن الذهاب معه »(١٩)•

كانت الدعاية التركية في العراق آنذاك تستمد قوتها من الدين بدعوى ان الاتراك مسلمون وان الانكليز كفار ، ولهذا فالواجب على العراق شرعاً ان يكون تحت حكم الاتراك بدلاً من حكم الانكليز • وقد لقيت هـذه الدعاية في العراق رواجاً كبيراً ، وتبناها المجتهدون بوجه خاص لانهـم بطبيعـة مهنتهم لا يعترفون بالحدود القوميـة أو السياسية التي تفـرق بين المسلمين ، فالمسلمون في نظرهم أمة واحدة لا فرق فيهـا بين التركـي أو العربي او الفارسي ، والمسلم أولى من الكافر على أي حال •

كتبت المس بيل في ١٢ نيسان تقول : « ان المجتهدين أصـــدروا

---

(19) Loc. cit.

فتوى في تحريم الدفاع عن العراق ضد الاتـراك ، وألصقت الفتوى على باب صحن الكاظمية ، وقد وصلتني نسخة منها مبكراً في هـذا الصباح • والسؤال هو : ماذا سوف تصنع الحكومة العراقية في هذا الشأن ؟ ففي رأي المستر كورنواليس ان المجتهدين الموقعين على الفتوى يجب نفيهم الى ايران باعتبارهم رعايا ايرانيين ، ولكن هذا قرار خطير • فلو أن الملك تـــرك الأمور تسير على رسلها ، فان الأيام القليلة القادمة ربما ستكون ذات خطورة بالغة نظراً لاقتراب شهر رمضان وما يثيره من هياج ديني ••• »[٢٠] •

كان الشيخ مهدي الخالصي شديد الميل الى الاتراك ، كما أشرنا اليه من قبل • ويقال انه كان في تلك الآونة يتراسل معهم سراً • وقد انتشرت في الكاظمية قصة جديرة بالذكر في هذا الصدد هي ان رجلاً من أصـــل تركي اسمه رفعت افندى كان يعمل في الاستخبارات البريطانية ، فكان يأتي الى الخالصي بعد غياب طويل وهو يحمل اليه رسائل مدعياً انها مرسلة من مصطفى كمال باشا • فكان الخالصي يصدق بذلك ويكتب أجوبـــة الرسائل ثم يعطيها الى رفعت أفندى لكي يوصلهـــا الى مصطفى كمال باشا ، ولكن رفعت أفندى كان يوصلها الى المندوب السامي •

ان هذه قصة لاندري مبلغ صحتها ، ولم نجد في الوثائق البريطانية او رسائل المس بيل ما يؤيدها ، وربما كانت من مبالغات الخصوم ، انمـــا هي على أي حال غير مستبعدة بالنظر الى ما نعرفه في الشيخ مهدي الخالصي من ميل شديد الى الاتراك •

وهناك قصة اخرى حدثني بها رجل من أهل الكاظمية أثق به ، وهي ان الشيخ مهدي الخالصي تسلم في ذلك الحين رسالة من الاتراك فوضعها تحت الفراش الذي يجلس عليه على عادة الناس في تلك الايام ، وكان من بين رواد مجلسه رجل يعمل في الاستخبارات البريطانية اسمه

---

(2) Ibid , vol. 2, P. 313.

« ش ... » فاراد أن يحصل على الرسالة فذهب الى السيد محمد رضا الحيدري وعرض عليه مبلغ خمسمائة روبيه لقاء مساعدته في الحصول على الرسالة من تحت فراش الخالصي ، ولكن السيد محمد رضا طرد الرجل ووبخه ، فذهب الرجل ثم عاد بعد فترة من الزمن وهو يقول انه تمكن من الحصول على الرسالة ومعها رسائل أخرى لقاء مائة روبية فقط لا غير .

العودة الى التحريم :

في ٣١ آذار ١٩٢٣ عاد كوكس الى بغداد وهو يحمل ملحقاً للمعاهدة باسم « بروتكول » يتضمن موافقة الحكومة البريطانية على تخفيض مدة المعاهدة من عشرين سنة الى أربع سنوات . وقد استبشر الملك والوزراء بهذا « البروتكول » . وفي ٣٠ نيسان اذاع الملك الى الشعب بياناً افتتحه بهذه العبارة : « بعناية الله جل وعلا ، وروحانية نبيه المصطفى (ص) تمكنت حكومتنا بأن تخطو خطوة كبيرة أخرى في سبيل تحقيق اماني الأمة وذلك بعقدها الملحق الجديد للمعاهدة العراقية البريطانية »[٢١] . ولم يكد هذا البيان ينشر في الجرائد حتى بدأت البرقيات تنهال على بغداد من مختلف أنحاء العراق لتهنئة الملك والوزارة بهذه « الخطوة المباركة » .

وصادف في تلك الآونة ان القوات البريطانية تمكنت من طرد القوات التركية من راوندوز وبعض المناطق الشمالية ، فخف بذلك التهديد التركي وتقلصت الدعاية التركية الى حد كبير . وعند هذا شعر الملك ورئيس الوزراء ان الظروف ملائمة للعودة الى موضوع الانتخاب والشروع به من جديد .

استدعى الملك اليه عدداً من شيوخ الفرات الاوسط كان من بينهم

---

(٢١) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) – ج١ ص ١٢٤ .

عبدالواحد الحاج سكر ومحسن أبو طبيخ وعلوان الياسري وقاطع العوادى وشعلان أبو الجون • وأقنعهم بان « البروتكول » كسب للعراق وان الشروع بالانتخاب ضروري ، فوافق الرؤساء على رأيه ماعدا أبو طبيخ حيث صرح بأنه غير قادر على مخالفة علماء الدين الذين أفتوا بحرمة الانتخاب ولكنه يبذل جهده للتوفيق بين ارادة العلماء وسياسة الحكومة[22].

أرسل الملك علوان الياسري وقاطع العوادي الى الشيخ مهدي الخالصي في محاولة لاقناعه بسحب فتوى تحريم الانتخاب • ولكنهما لم يوفقا في محاولتهما ، وقيل ان الخالصي اتهمها بالكفر • وتروى في هذا الصدد قصة جرت للياسري هي أنه بعد أن فشل في اقناع الخالصي ذهب لزيارة مرقد الامام الكاظم ، وحين وصل الى باب المرقد رأى الخالصي خارجاً من المرقد تحف به حاشيته ، فقال الخالصي له : « كيف يجوز لك أن تأتي لزيارة الامام وأنت كافر ؟ » • فرد الياسري عليه بكلمة جارحة ، وهنا صاح أحد الحاشية بصوت مرتفع ليسمعه الجمهور : « اخرج يا كافر » ، فاضطر الياسري أن يهرب من المرقد بلا حذاء خوفاً من غضب الجمهور •

أخذ الشيخ مهدى الخالصى يعد العدة لاعادة اعلان فتاوى التحريم التي كانت قد أعلنت سابقاً • ففي ١٦ آيار أخبرت التحقيقات الجنائية وزارة الداخلية بان رسالة وصلت من النجف الى الكاظمية بخصوص التحريم ، وان الشيخ مهدي الخالصي تداول حوله مع علماء الكاظمية وأنهم وافقوا عليه جميعاً • وفي مساء ١٧ أيار ظهرت اعلانات ملصقة على أبواب الصحن في الكاظمية تذكر الناس بتحريم المجتهدين للانتخاب وتقول : ان

---

(٢٢) محمد المهدي البصير (تاريخ القضية العراقية) ـ بغداد ١٩٢٣ ـ ج٢ ص ٥٠١ •

الحكومة تحاول الآن خداع الشعب بملحق المعاهدة وانها تبذل جهدهـا لاجراء الانتخاب ضاربة بفتاوى المجتهدين عرض الحائط « فانتبهوا ياقوم ولاتنخدعوا بزخارف القول ، وعوا وابصروا ياأولى الألباب »[٢٣].

وفي ٣٠ أيار تقدم أحد المؤمنين باستفتاء موجه الى المجتهدين هذا نصه : « حجج الاسلام وآيات الله في الأنام أعز الله بكم الدين وحماية الشريعة . هل تجوز المداخلة ببعض الوجوه في انتخاب المجلس التأسيسي العراقي أو لا تجوز لكل أحـد من العراقيين ؟ أفتونـا أدام الله ظلكم على العالمين » . فكتب المجتهدون تحت هذا الاستفتاء فتاويهم حيث ذكروا فيهـا ان حكمهم السابق في تحريم الانتخـاب لايزال ثابتاً لم يتغير ، وهـم : أبو الحسن الاصفهاني وحسـين النابيني وحسن الصـدر ومحمد مهـدي الصـدر وعلي الشيرازي ومهدي المراياتي وابراهيم السلماسي ومحمد الأسـدي ومحمد مهدي الخراسـاني وصادق الخالصي وابراهيم الاعـرجي وراضي الخالصي وأسد الله الحيدري واسماعيل الأسدى . وقد كتب في آخرهـم الشيخ مهدي الخالصي يقول ما نصه : « نعم ما حكم به حجج الاسـلام وآيات الملك العلام ماضي نافذ والراد عليهم راد على الله وهو على حد الشرك بالله »[٢٤].

وأخذت الفتاوي من هذا النمط يتوالى صدورها ، فتلصق على الجدران وأبواب المساجد ، وترسل نسخ منها الى الألويـة . وكان بعض الشـبان المتحمسين يتطوعون لالصاقها على الجدران حيث يختارون الساعات المبكرة من الصباح فيتظاهرون انهم خارجون لاداء صلاة الفجر في المساجد وحين يجدون الشوارع خالية يسرعون الى الصاق الفتاوي ثم يختفون .

نفد صبر الانكليز كما نفد صبر الملك وعبدالمحسن السـعدون ، غير أنهم اختلفوا في طريقة العلاج ، فكان من رأي السعدون استعمال الشـدة

---

(٢٣) محمد مظفر الأدهمي (المصدر السابق) ــ ج٢ ص ٤٠٥ .

(٢٤) المصدر السابق ــ الملحق رقم ١٦ .

مع المجتهدين بلا خشية أو تردد بينما كان الانكليز يتخوفون من اتباع هذه السياسة ويعتقدون انها قد تؤدي الى ثورة عشائرية واضطراب الأمن • أما الملك فكان لا يزال يأمل أنه قادر على التفاهم مع المجتهدين واقناعهم على وجه من الوجوه •

مما يجدر ذكره أن اكثر المجتهدين كانوا يحملون الجنسية الايرانية ، فمنهم من كان من أصل ايراني فعلاً ومنهم من اتخذ الجنسية الايرانية في العهد العثماني تهرباً من التجنيد الاجباري • وقد وجد السعدون في هذا ثغرة يمكن أن ينفذ منها اليهم • فكان رأيه ان المجتهدين عجم وهم اذن غرباء عن العراق وليس لهم حق بالتدخل في سياسة هذا البلد ، أما اذا أرادوا العمل في السياسة فالواجب يقضي عليهم أن يتجنسوا بالجنسية العراقية ، والا فان الحكومة يجوز لها أن تبعدهم عن البلاد •

صمم السعدون على تنفيذ رأيه هذا • ففي ٩ حزيران صدر تعديل لقانون العقوبات البغدادي ، وبهذا التعديل أصبح للحكومة الحق في نفي الاجانب بسبب الجنح التي يرتكبونها • وفي ١٧ حزيران عقد مجلس الوزراء جلسة خاصة قرر فيها الشروع بالانتخابات واستعمال الشدة مع الذين يقاومونها عن طريق نفي الاجانب منهم الى خارج البلاد واحالة العراقيين منهم الى المحاكم •

وفي تلك الآونة كتبت جريدة «العاصمة» تدعو الى محاربة الدخلاء الذين لا ارتباط لهم بالعراق ، وتطلب من الحكومة أن تكف يد كل من ليس بعراقي ولا عربي عن التدخل في شؤون الأمة[٢٥] •

تمهيد :

كان محسن أبو طبيخ ـ كما أشرنا اليه آنفاً ـ قد خالف ما اتفق عليه زملاؤه من شيوخ الفرات الأوسط في أمر الشروع بالانتخاب • ويقال ان

---

(٢٥) جريدة « العاصمة » ـ في عددها الصادر في ١٤ حزيران ١٩٢٣ •

الملك امتعض من موقفه هذا وطلب منه مغادرة العراق أياما الى أن يهدأ الوضع فيعود • وقرر أبو طبيخ أن يغادر الى سوريا في ١٤ حزيران •

أراد الشيخ مهدي الخالصي أن يجعل من توديع أبو طبيخ مظاهرة سياسية تحدياً للملك والحكومة • ففي صباح اليوم المعين لسفر أبو طبيخ حصل اجتماع كبير في صحن الكاظمية حتى غص الصحن على سعته بالناس ، وحضره الخالصي وكثير من رؤساء العشائر ورجال المعارضة • ونهض سلمان القطيفي(٢٦) فألقى كلمة حماسية مؤثرة ، وأخذ الحاضرون يهتفون بسقوط الحكومة وحياة المجاهدين ، وعند انتهاء الحفلة سارت الجماهير تحف بأبو طبيخ متوجهة نحو محطة القطار في جانب الكرخ ، فركب فريق منهم عربات الترامواي ، وركب آخرون السيارات ، بينما مشى الباقون على اقدامهم • وحين وصلوا الى علاوي الحلة في الكرخ طلب الكرخيون من سلمان القطيفي اعادة القاء الكلمة التي ألقاها في صحن الكاظمية ، فاستجاب لهم وصعد على منصة صنعت من تخوت المقاهي القريبة ، كما صعد الى جانبه أبو طبيخ • ولم يكد القطيفي يبدأ بالالقاء حتى تقدم نحوه معاون الشرطة عبدالرزاق الفضلي وقال له بصوت مرتفع « اني باسم الحكومة والقانون أمنعك من القاء الخطاب وعند عدم الكف عن القائه سأستعمل القوة » • فحصلت مشادة بين القطيفي والفضلي ، فتدخل أبو طبيخ راجياً من القطيفي العدول عن القاء الكلمة حذراً من اراقة الدماء • وهاجت الجماهير عندئذ ، وتدافعت مع الشرطة ، وانطلق الرصاص من هنا وهناك دون أن يصاب به أحد من الناس • وقد استطاعت الشرطة أن تختطف أبو طبيخ بسيارة وأخذته الى محطة القطار ، كما استطاع رجال من أهل الكاظمية اختطاف القطيفي وأخذوه الى الكاظمية حيث اختفى فيها(٢٧) •

---

(٢٦) هو الذي عرف فيما بعد باسم « سلمان الصفواني » وكان يومذاك من تلاميذ الخالصي ومن المقربين اليه •

(٢٧) نقلا عن مذكرات مخطوطة لسلمان الصفواني وهي مذكرات مهمة نرجو أن تنشر •

كانت هذه الحادثة للحكومة بمثابة القشة التي تقصم ظهر البعير ، وقد اعتبرتها الحكومة تحدياً لها وجرأة لا يجوز الصبر عليها ، فعقدت النية على نفي الشيخ مهدي الخالصي ، وأصدرت أوامرها السرية الى معاون الشرطة عبدالرزاق الفضلي بالاستعداد لالقاء القبض عليه في أقرب فرصة •

كان لدى الفضلي يومذاك عشرون شرطيا من المشاة وعشرون من الخيالة ، فسألته الحكومة هل هو في حاجة الى مزيد من القوة فكان جوابه ان ما لديه منها يكفيه وهو لا يريد مزيداً لكي لا يلفت أنظار الأهالي اليه فيستعدوا للمقاومة • وقد حدثني الفضلي عن تلك الأيام فقال : انه أخذ يتهيأ لالقاء القبض على الخالصي ويترقب الوقت المناسب له ، وكان مما فعله في هذا السبيل انه أرسل بعض أفراد الشرطة السرية بملابسهم المدنية ليختلطوا بالناس في الصحن وخارجه ، وجعل بعضهم يتقمصون هيئة الشحاذين ويجلسون عند أبواب الصحن يتظاهرون بالاستجداء حتى اذا جاء أحد أعوان الخالصي يريد الصاق الفتاوى او الاعلانات على أبواب الصحن أمسكوا به أو أشاروا الى افراد الشرطة القريبين منهم للامساك به•

وفي عصر ٢١ حزيران جاء شاب من آل الخالصي اسمه علي نقي ، وهو حفيد أخ الخالصي ، يروم الصاق اعلان على احدى ابواب الصحن • فلمحه اثنان من أفراد الشرطة السرية ، وحاولا القاء القبض عليه ، فأسرع بعض الأهالي لمساعدته على الهرب ، ثم جاء شرطي ثالث لمعاونة زميليه • وتمكن الثلاثة أخيرا من الامساك به ، فذهبوا به الى مركز الشرطة في السراي • وعند التحقيق معه في المركز أعترف ، قائلاً بأن واجبه هو الصاق الفتاوي التي تصدر من المجتهدين ، وذكر أسماء بعضهم ، كما اعترف بأنه لا يعمل وحده بل يعاونه سلمان القطيفي واثنان من أولاد الخالصي هما حسن وعلي •

وفي الوقت الذي كان فيه علي نقي يدلي باعترافاته في مركز الشرطة

ذهب حسن الخالصي الى الصحن يريد الصاق اعلان على باب القبلة منه .
وحين حاول أحد افراد الشرطة القاء القبض عليه أخذ يصيح في النـــاس
قائلا : « اقتلوا هذا الرجل انه كافر يهودي » . وعند هذا انثال الناس على
الشرطي فأمسكوا به وأدخلوه الى الصحن وطرحوه أرضاً ، وأخرج حسن
سكينة من جيبه وقال له : « سوف أقتلك » . ولكن الشرطي استطاع التملص
من أيدي الناس بصعوبة ، وعاد الى مركز الشرطة وهو حافي القدمين مصفر
الوجه . وأسرعت ثلة من الشرطة بقيادة المعاون عبدالرزاق الفضلـــي ،
فتوجهت الى الصحن بغية القاء القبض على الذين هاجموا الشرطي ، فلم
تجد أحداً منهم . وأخذت الشرطة بعد هذا تبحث عن حسن الخالصي
وأخيه علي وعن سلمان القطيفي ، وحين عثرت عليهم أرسلتهم مع علي نقي
مخفورين الى بغداد . وهناك أودع الأربعة رهن الاعتقال في السراي(٢٨) .

القبض على الخالصي :

كان القبض على أولاد الخالصي بمثابة جس النبض ، فلمـــا رأت
الحكومة ان القبض عليهم لم ينتـج الاضطراب الذي كانت تخشاه قـررت
القبض عليه بالذات ، وتعين مساء ٢٦ حزيران للقيام بذلك .

تشير بعض القرائن الى ان الملك كان يومذاك على شيء من الحـــيرة
والتردد ، فهو في أعماق نفسه يمقت الخالصي ويحب نفيه عن العـــراق
ولكنه يخشى العواقب . أما عبدالمحسن السعدون فكان قد صمم على نفـــي
الخالصي وكان واثقا من عدم حدوث أي خطر من ذلك . ومما يجدر ذكره
في هذا الصدد ان السر هنري دوبس كان قد تولى منصب المندوب السامي
بالاصالة منذ اوائل أيار الماضي ، وكان هو كسلفه كوكس يتخوف من أمر
نفي الخالصي ولكن السعدون تعهد له بأنه قادر على القيام بالأمر دون أن
يثير أية اضطراب في الأمن ، وقد اطمأن دوبس من قوله وترك له الأمر
ليقوم به على مسؤوليته .

---

(٢٨) محمد مظفر الأدهمي (المصدر السابق) ج١ ص ٤١٨ـ٤١٩ .

أراد الملك أن يبتعد عن بغداد عند نفي الخالصي ، فقرر القيام بجولة الى البصرة • وقد اتفق مع السعدون على ان يبرق اليه من البصرة في حالة موافقته النهائية على نفي الخالصي وان يكون الرمز بينها «الدجاجة» ويعنى بها الخالصي •

وفي الساعة الواحدة من بعد ظهر ١٨ حزيران غادر الملك بغداد على باخرة نهريه من بواخر عبدالقادر الخضيري ، وكانت حاشيته مؤلفة من رستم حيدر وناجي السويدي وصفوت العوا وعبدالله المضايفي وناصر الدين النقيب والمرافقين تحسين قدري وتوفيق الدملوجي • والمظنون ان الملك كان منذ مغادرته بغداد حتى وصوله البصرة مشغول البال في أمر الخالصي لا يدري هل من الصواب أن يسمح بنفيه أم لا • ويبدو انه عندما وصل البصرة استقر رأيه على عدم نفي الخالصي ، ولهذا أوعز الى ناجي السويدي بأن يبرق الى السعدون ينصحه « أن يترك الدجاجة »(٢٩)• ولكن السعدون رفض أن يصغي لنصيحة الملك ، وأبرق اليه يخبره بضرورة نفي الخالصي وان الحكومة لا يمكنها أن تستمر في الصبر عليه مدة أطول• وهذا هو نص برقية السعدون :

« عرضنا في برقيتنا السابقة أن حاول بعضهم الصاق فتاوي في الكاظمية بمنع الانتخاب • الذي ألصقها حفيد الخالصي الشيخ علي ، فألقت الشرطة القبض عليه في الحال ، وبعد قليل حاول الشيخ حسن بن الشيخ مهدي الصاق فتوى أخرى ، فمنعه الشرطي الذي كان واقفاً باللباس الرسمي ، فلم يمتنع بل حث الناس على الهجوم على الشرطي وهجم هو معهم وبيده سكين فضرب بها الشرطي ، فألقي القبض عليه أيضاً • وعند استجواب الشيخ علي اعترف بأن جميع هذه الأعمال هي بأمر الخالصي وولديه

---

(٢٩) خيري أمين العمري (شخصيات عراقية) ـ بغداد ١٩٥٥ ـ ج١ ص ٥٢ •

الشيخ علي والشيخ حسن وشريكهما الشيخ سلمان القطيفي . الشيخ مهدي يحرك الناس جهراً على القيام في بغداد والكاظمية ، وعلى كل حال لا يمكن للحكومة أن تصبر على أفعاله ، فأرى من الضروري ابعاده عاجلاً هو وأولاده والقطيفي والشيخ علي حفيد الخالصي . المعتمد السامي يوافق على ابعادهم بشرط ان لا يكون ذلك الى ايران ، فاذا توافقون يرسلوا الى البصرة ومنها الى جدة بحراً . لم يصلني خبر بعد من محسن شلاش » .

فأجاب الملك ببرقية قال فيها : « اذا كان العمل ضرورياً تجاه الشيخ مهدي فأرغب أن يكون بكل احترام وبصورة لا تخل بكرامته الشخصية وان لا تعجز عائلته ولا تخوف . » . ثم أعقبها الملك ببرقية أخرى قال فيها : « لكم الصلاحية المطلقة فيما ترونه مناسباً في الكاظمية وبغداد لحفظ الأمن وشرف الحكومة ويجب اتخاذ خطة حازمة . بعد الكاظمية أخبروا مجتهدي النجف بواسطة المتصرف بكل ما جرى مع الخالصي واتباعه وطمنوهم بأن يداوموا محافظين على السكينة وقائمين بواجباتهم الدينية مع ابلاغهم أسف الحكومة على اضطرارها الى اتخاذ هذه الاجراءات رغماً عن الوسائل السلمية التي أتبعتها حتى الآن . أعلنوا ذلك في الصحف بصورة مناسبة » .

وفي ٢٥ حزيران أصدرت الحكومة بياناً رسمياً ذمت فيه المجتهدين ذماً قبيحاً حيث وصفتهم بأنهم دخلاء لا علاقة لهم بالقضية العربية ولا تهمهم مصالح الشعب الحقيقية ، وانهم يختلقون أقوالاً يزعمون انها مستنبطة من الشرائع الدينية غير أنهم لا يقصدون منها سوى الاخلال بسير الانتخابات وتضليل الرأي العام وعرقلة وصول الشعب الى السلطة . ويقول البيان أيضاً : ان ما أظهرته الحكومة من الحلم والاناة شجع هؤلاء الغرباء المتهوسين على التمادي في التضليل حتى أنهم تجاوزوا مؤخراً على حرمة المراقد المقدسة بحركات تخالف الآداب الدينية كل المخالفة ويتحاشاها

أهل التقوى والدين أي تحاشي وذلك بالصاقهم على أضرحة الائمة عليهم السلام وجدران الحرم نشريات مفسدة ومهيجة تحت ستار الدين وباسمه مما يهتك حرمة العتبات المقدسة ويجعلها معرضاً لتلك الغايات المضلة التي لم تبن الا على سوء النية والاضرار بمنافع الشعب • وفي الختام يقول البيان: « وبهذه المناسبة يجب ان يعلم ان الحكومة لا يمكنها أن تتهاون في مثل هذه الأعمال وستعاقب كل من يتصدى للعبث بحقوق الشعب المشروعة »[٣٠] •

وقد علقت جريدة «العاصمة» على هذا البيان قائلة : ان مقاطعة الانتخاب أكبر مظهر من مظاهر الفكرة الأعجمية تلك الفكرة الدخيلة التي لا تخلص للقومية العربية واستقلال العراق • وطلبت الجريدة من الحكومة الضرب بشدة على الأيدي الأثيمة التي تدس السم بالدسم لتتمكن من القضاء على القومية العربية في ربوع العراق[٣١] •

وفي ساعة متأخرة من مساء ٢٦ حزيران جرى القاء القبض على الخالصي ، وتم كل شيء بهدوء !

كيف جرى القاء القبض :

كان الخالصي قد اعتاد في كل ليلة ان يذهب الى مدرسته بعد انتهائه من اداء صلاة المغرب والعشاء ، وكانت مدرسته ملاصقة لبيته ، فيلقي فيها بعض الدروس على طلبة المدرسة ثم يأوى بعدئذ الى بيته • وقد وضع عبدالرزاق الفضلي خطته في أن يكون القبض على الخالصي في ساعة متأخرة من الليل حين تخلو الشوارع من المارة •

وفي تلك الليلة التي تقرر فيها القبض على الخالصي ، كلف الفضلي احد رجال الشرطة السرية بمراقبة المدرسة واخباره متى يغادرها الخالصي الى البيت • وفي الساعة الحادية عشرة تقريباً عندما تأكد الفضلي من وجود

---

(٣٠) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ج١ ص ١٣٠ـ١٣٣ •

(٣١) جريدة « العاصمة » في عددها الصادر في ٢٥ حزيران ٩٢٣ •

الخالصي في بيته أسرع اليه بسيارتين يصحبه مفوض واحد وخمسة أفراد من الشرطة مع مختار محلة الشيوخ •

لدينا روايتان مختلفتان عن كيفية القاء القبض على الخالصي ، احداهما يرويها عبدالرزاق الفضلي ، والأخرى يرويها سلمان الصفواني • وفيما يلي نذكر كلتا الروايتين نقلاً عن مذكراتهما المخطوطة •

يقول الفضلي : « ••• أما كيف جرى أخذه ــ يقصد الخالصي ــ فقد ذهبت لبيته بعد العاشرة مساءً وبعد عودته من مدرسته • وطرقت بابه ، فكلمني هو من الطابق الثاني من البيت وسألني : ماذا تريد ؟ قلت : تفضل أفتح الباب لابلغك الأمر الذي تلقيته الآن من الحكومة • فنزل الرجل ، فقلت له : ان مجلس الوزراء ملتئم في البلاط ويطلبون حضورك فأرجو أن تتفضل لأنهم أرسلوا لك سيارة خاصة • فقال : انني رجل ديني ولا يجوز خروجي من بيتي بعد المساء • فأجبته : يا سيدي انك سياسي لانك تداخلت بأمور ليس لك حق بالمداخلة فيها ولذلك يجب أن تذهب معي حالاً • فقال : دعني إدخل الى بيت الماء ثم أتوضأ وأذهب معك • فوافقت ، ولكنه أراد أن يغلق الباب فحلت دون مقصده • وفعلاً دخل الى الخلاء وأنا واقف بالباب ، وانتظرته حوالي نصف ساعة ولم يخرج ، فاضطررت ان أرسل المفوض الافغاني سيد حسن الى الخلاء ليرى ماذا حل بالخالصي ، ولما دخل عليه وجد أن أعصابه قد تقلصت ولا يستطيع السير • وبما ان الوقت الذي يجب ان يصل به الخالصي الى القطار على وشك الانتهاء فقد اركبته بالسيارة وتوجهت به الى محطة القطار ••• » •

أما الرواية الثانية فيرويها الصفواني نقلاً عن الخالصي نفسه اذ قال ما نصه : « كنت نائما على سطح داري وأيقظني طرق الباب المتوالي بعنف. فنهضت من فراشي وأطللت براسي على جهة الباب فاذا بي أرى الدار مطوقة بالقوات المسلحة وكذلك الطرق المؤدية اليها • وسألت من فوق السطح

من الطارق ، فطلب الي" النزول وفتح الباب بسرعة • فأدركت ان هـــذه القوة الكبيرة قد جيء بها للقبض علي" لا محالة • وفكرت في أن أمثل دور الصقر أم دور العصفور ؟ ان العصفور حينما يقع في يد الصياد يحاول أن يقاوم ليتخلص ويطير ، ويستعمل منقاره ومخالبه وأجنحته وهـــي كـل أسلحته في المقاومة ، ولكن حصيلة ذلك أن ينتف ريشه وتنكسر سيقانه ويتعرض للموت • أما الصقر فانه يخلد الى الهدوء حينما يقع في يـــد الصياد ويستسلم للقضاء والقدر في انتظار الفرصة المؤاتية للنجاة • لقد كان بامكاني أن أستغيث وأستنجد بأهالي الكاظمية فيهبون سراعاً لنجدتي والدفاع عني ، ولكن ما هي النتيجة غير اراقة الدماء ثم ينتهي الأمر بالقبض علـي" ذليلاً مهاناً • فاخترت على عجل وبهدوء ان أكون صقراً وأوصيت أهـل بيتي ان لا يرفعوا صوتاً ، وارتديت ملابسي بسرعة وفتحت الباب حيـث اختطفت بسرعة أيضا في سيارة الى القطار » •

كانت محطة القطار عند وصول الخالصي اليها في ظلام دامس ، وقـد أحيطت بقوة كبيرة من الجيش والشرطة • وكان قد أعد فيها قطار خاص مؤلف من قاطرة وثلاث عربات ، فخصصت احدى العربات لنقل الخالصي وهي من الدرجة الاولى • أما العربتان الاخريان فكانت من الدرجة الثالثة وخصصتا لنقل القوة المكلفة بحراسة القطار في الطريق •

وجيء بالأربعة الذين كانوا معتقلين في السراي ببغداد ، فاركبوا في العربة التي كان الخالصي فيها • وكان الظلام شديداً فلم يعرفوا ان الخالصي في العربة معهم • يقول سلمان الصفواتي في مذكراته : « كنت وحـــدي المدخن بين رفاقي فأشعلت عوداً من الثقاب لأرى ، ويا لهول ما رأيـــت ، رأيت الامام الخالصي حاسر الرأس وقد جلس في زاوية من المقطـــورة واضعاً رأسه بين يديه ، وكان مطرقا تبدو عليه علامات الكآبة والاعياء ، فتقدمت اليه وسلمت عليه ، وقبلت يديه ، وهكذا فعل رفاقي ، وجلست الى

جنبه في صمت مطبق وأنا غير مصدق أفي يقظة أنا أم في منام ... »[٣٢] .

تحرك القطار بهم متوجهاً نحو البصرة . وفي صباح اليوم التالي نشرت الجرائد في بغداد بلاغاً رسمياً هذا نصه :

« لقد توفرت الادلة المقنعة بان الشيخ مهدي الخالصي وولديه والشيخ سلمان القطيفي والشيخ علي نقي هم الذين أتوا بما ورد في البيان السابق ، وعليه أخرجوا من البلاد العراقية . والحكومة تود أن تعلن مرة أخرى بأنها عازمة على تسليم السلطة القانونية الى ممثلي الشعب الحقيقيين و لايمكنها أن تتساهل ازاء تلاعب الأهواء الأجنبية تحت ستار السلطة الدينية في الأمور الحيوية المتعلقة بحقوق الأمة »[٣٣] .

حركة المجتهدين :

عندما انتشر الخبر في الكاظمية صباحاً امتنع الناس عن فتح دكاكينهم احتجاجاً ، وأخذوا يتجمهرون في الصحن . وقد أبدى عبدالرزاق الفضلي شاطاً ملحوظاً في تفريق المتجمهرين وبث جواً من الارهاب في البلدة ، فأرسل المنادين ينادون في الاسواق يهددون من يستمر على اغلاق دكانه بالعقوبات الصارمة ، كما أرسل افراداً من الشرطة ليسجلوا أسماء أصحاب الدكاكين المغلقة والبحث عنهم . وقد أثمرت جهوده في هذا السبيل فصار الناس يفتحون دكاكينهم شيئاً فشيئاً ، ولم يكد ينتصف النهار حتى كانت البلدة قد عادت الى حالتها الاعتيادية ، ولم يبق فيها سوى بعض الاشاعات يتهامس بها الناس هنا وهناك وهم يتلفتون مخافة أن يراهم أحد .

وقد جرى مثل هذا في بغداد حيث انتشر الاضراب في بعض الاسواق ، لاسيما في سوق الصفافير وبعض الأسواق المجاورة ، ولكن التدابير الشديدة التي اتخذتها الحكومة جعلت الناس يسرعون الى فتح دكاكينهم على نحو ما فعل اخوانهم في الكاظمية .

---

(٣٢) جريدة «الحوادث» ــ في عددها الصادر في ١١ نيسان ١٩٣٠ .
(٣٣) جريدة «العراق» ــ في عددها الصادر في ٢٧ حزيران ١٩٢٣ .

وقد حاول فريق من رجال الدين في الكاظمية أن يقوموا بحركة يعلنون بها تضامنهم مع الخالصي واحتجاجهم على نفيه ، فاجتمعوا في دار الشيخ مهدي المراياتي في محلة التل ، وأرسلوا الى رجال الدين الآخرين يطلبون منهم الانضمام الى حركتهم ، فاعتذر هؤلاء ولم يؤيدوهم • وقيل ان أحد المجتهدين الكبار لم يكتف بعدم التأييد بل تفوه بكلمة شديدة ذم بها الشيخ مهدي الخالصي لتدخله في السياسة وقال انه طالما نصحه فلم يرتدع • وبهذا ماتت الحركة في مهدها وتفرق أصحابها •

ولكن الأمر في النجف جرى على خلاف ماجرى في الكاظمية ، اذ لم يكد الخبر يصل الى النجف في صباح ٢٧ حزيران حتى عم الاضراب الاسواق ، وتجمهر الناس ، وأعلن المجتهدون انهم متضامنون مع الخالصي وأن نفيه اهانة للدين وأهله ، وصمموا على الهجرة من العراق احتجاجاً •

وفي عصر ذلك اليوم غادر عدد من المجتهدين النجف ، وكان في مقدمتهم السيد أبو الحسن الاصفهاني والمرزا حسين النائيني ، فذهبوا الى مسجد « السهلة » للاعتكاف فيه ليلة واحدة كما جرت عليه العادة ، فزارهم هناك جمهور من أهل الكوفة • وفي صباح اليوم التالى توجه المجتهدون الى الكوفة ، ومن هناك استقلوا الزوارق البخارية متوجهين الى طويريج • ومن طويريج ركبوا السيارات الى كربلاء •

كانت الحكومة قد استعدت للأمر مقدماً • ففي ٢٦ حزيران وصل الى كربلاء مولود مخلص بعد أن صدرت الارادة الملكية بتعيينه متصرفاً للواء • وقد شرع هذا المتصرف باتخاذ الاجراءات الشديدة فور وصوله الى كربلا ، فأبرق الى قائمقام النجف يقول له : « يجب أن لا تأذنوا لاحد بالسفر الى ايران مع العلماء الايرانيين • يجب أيضاً أن لا تأذنوا لأحد بالخروج من النجف الا باذن من الحكومة • امنعوا الوسائط النقلية عن نقلها ركاب بدون إذن من دائرة الشرطة الى صدور أمر آخر • بلغوا بذلك دائرة الشرطة » •

وقد أجابه القائمقام قائلاً : « لم يسافر أحد من أهالي النجف الى ايران مع العلماء الايرانيين ، بل سافروا الى كربلاء ... وكلهم اليوم في كربلاء ، ولم يبق هنا من لم يلتحق . وأما منع جميع الركاب والمسافرين مطلقاً الى كربلاء وغيرها يوجب الحرج والقيل والقال ، والحال ـ والحمد لله ـ في القضاء في كمال الهدوء والسكينة . فاسترحم التصريح من يجب منعه ومن لم يجب . منتظرون أمركم »(٣٤) .

حين وصل المجتهدون الى كربلاء أعدت لهم خيمة خاصة للنزول فيها ، ومنع الأهالي من الاتصال بهم . وقد انضم اليهم عدد من المجتهدين الكربلائيين . وحاول المتصرف التفاهم معهم غير أنهم أصروا على مغادرة العراق . فأبرقت الحكومة الى المتصرف تأمره بتسهيل سفر الذين يحملون الجنسية الايرانية منهم ، أما الباقون فيجب ابقاؤهم في العراق ووضعهم تحت مراقبة الشرطة .

وفي ١ تموز تولى صالح حمام مدير شرطة كربلاء تسفير المجتهدين الذين يحملون الجنسية الإيرانية ، وكانوا تسعة وهم : أبو الحسن الاصفهاني وحسين الناييني وجواد الجواهري وعلي الشهرستاني وعبدالحسين الشيرازي وأحمد الخراساني ومهدي الخراساني وحسن الطباطبائي وعبدالحسين الطباطبائي . وكان يصحبهم ٢٥ رجلاً من أتباعهم . وقد أركبوا جميعاً في سيارات تحت حراسة قوية من الشرطة . ولما وصلوا الى الخر قريباً من بغداد سير بهم الى منعطف الدورة حيث عبروا دجلة من هناك ، وكان القصد من ذلك ابعادهم عن أنظار الناس لكي لايعلم بوصولهم أحد . وفي صباح ٢ تموز سار بهم قطار خاص الى خانقين ، ثم نقلوا الى ماوراء الحدود .

وفي ٣ تموز نشرت جريدة « العراق » خبراً بعنوان « سفر بعض العلماء الى ايران » هذا نصه :

---

(٣٤) عبدالرحيم محمد علي (النجف والمجلس التأسيسي) ـ في مجلة « الرابطة » النجفية ـ في عددها الصادر في ايلول ١٩٧٥ .

« لقد شاع في العاصمة ان بعض العلماء المجتهدين في النجف الأشرف قد عقدوا النية على مغادرة البلاد العراقية وقد استقصينا الأمر من مديرية المطبوعات فأخبرتنا بصورة رسمية ان البعض من حضرات العلماء الايرانيين على أثر نشر بلاغ الحكومة بشأن تدخل الاجانب بشؤون البلاد السياسية قد أظهروا رغبتهم في الرجوع الى وطنهم ايران • وقد قابلهم سعادة متصرف كربلاء باسم الحكومة العراقية وأفهمهم ان الحكومة لاتضمر عليهم أي سوء وانهم لايزالون موضع الحفاوة والاحترام ما داموا مواظبين على الخدمة الدينية بارشاد الناس الى أمور دينهم • فأظهر العلماء شديد رغبتهم في الرجوع الى أوطانهم• ولذلك قامت الحكومة بكل التسهيلات المقتضية لتوفيراستراحتهم في سفرهم ••• »

وفي اليوم نفسه ـ أي في ٣تموز ـ كتب جلال الدين خان كيهان القنصل الايراني العام ببغداد الى المندوب السامي يحتج على تسفير المجتهدين ، وقد ذكر في كتابه ان المجتهدين عوملوا معاملة خشنة كما يعامل المجرمون ، وان هذا يعد اهانة لا يمكن تبريرها تجاه ممثلي الدين الاسلامي بوجه عام ، والطائفة الشيعية بوجه خاص • فأجاب المندوب السامي عليه بكتاب قال فيه ان الشيخ مهدي الخالصي انما أبعدته الحكومة العراقية بموجب قانون الاقامة لانه تدخل في سير الانتخاب بصورة غير قانونية وأصدر فتوى بتكفير الذين يشاركون فيها ، أما المجتهدون الآخرون فان الحكومة لم تبعدهم وان متصرف كربلاء حاول اقناعهم بأنهم سيبقون موضع احترام الحكومة اذا حصروا جهودهم في المسائل الدينية وحدها ، غير أنهم أصروا على العودة الى وطهم ايران ، وقد وفرت الحكومة العراقية لهم كل أسباب الراحة أثناء السفر وأعدت لهم قطاراً خاصاً على الرغم من أنهم حاولوا اثارة المظاهرات ضد الحكومة في طريقهم من النجف الى كربلاء • وينتهي كتاب المندوب السامي بابداء الاعتذار عن التأخر في ارسال الجواب باعتبار ان هذا التأخر كان ضرورياً لقيام المندوب السامي بالتحقيق في

الشكاوي التي ذكرها القنصل الايراني العام(٣٥).

حادثة في الحلة :

حين جرى تسفير المجتهدين من كربلاء في ١ تموز أخـذت الحلة تتحفز لاعلان احتجاجها على هذا العمل • وكان العالم الديني في الحلـة يومذاك هو الشيخ محمد سماكة اذ كان وكيلا لاحد المجتهدين الكبار في النجف ، وقد صار هذا الرجل يحرض الناس على التظاهر تأييداً للمجتهدين واحتجاجاً على تسفيرهم • ولم يهن ذلك على متصرف اللواء ناجي شوكت فاوعز الى مدير الشرطة بابعاد الرجل الى بغداد •

جرى ابعـاد الشيخ محمد سماكة في مساء ٢ تمـوز ويحدثنـا ناجي شوكت في مذكراته عن كيفية القاء القبض عليه فيقول ما نصه :

« ••• فطلبت الى مدير الشرطة أن يزور الرجل في داره بعد عودته من صلاته في المسجد مساءاً ويستصحبه الى محطة القطار ••• وكان من عادة الرجل بعد أن يؤدي الفريضة في المسجد القريب من داره أن يسهر بعض الوقت مع من يأتون به في صلاته ثم يعود الى داره• والظاهر ان مدير الشرطة كان حديث عهد بالاجراءات والاحتياطات في مثل هذه الظروف فقام بعمل طائش كاد يوقعنا في ورطة ، فقد اصطحب ثلة من الشرطة وأحاط بالمسجد المذكور وأكره وكيل المجتهد على أن يتجه الى محطة القطار • وهكذا استله من بين جماعته ومريديه وذهب بـه الى المحطـة ، واذا بهؤلاء المريديـن يخرجون الى الشارع على شكل مظاهرات صاخبة ، وكانت حوالي العاشـرة ليلاً • وبينما أنا انتظر نتائج الابعاد اذا بخادمي يقول ان الاهلين بدأوا يحيطون بداري وان عددهم آخذ بالازدياد • وكنت أسكن في الدار وحدي ولم يكن معي فيها غير الخادم المذكور ، فأطفأت الانوار في غرفتي المطلة على الشارع ، وصرت أتطلع الى مايجري في الشارع ومسدسي بيدي ، واذا بالخادم يقول

---

(٣٥) عن دائرة الوثائق العامة بلندن ــ رقم (اف • أو • ٣٧١ ــ ٩٠٤٧)

ان المتجمهرين يطلبون اليه ان يفتح باب الدار ليدخلوها ويقابلوني فيها . فكان الوضع في منتهى الحراجة ، وزاد في حراجته اني لم أتلق من مدير الشرطة شيئاً عما جرى وتم ، ورأيت من المصلحة أن لا أقابل الناس لئلا يطلبون أمراً قد لا أرضاه مثل العدول عن ابعاد وكيل المجتهد . لذا طلبت من خادمي أن يتسلق سطح الدار ويتسلل الى معاون مدير الشرطة ، وهو في داره القريبة من داري ، ويستدعيه الى مقابلتي فوراً بعد أن يتخذ التدابير التي يراها مناسبة لابعاد المتجمهرين حول الدار . وكان المعاون المذكور عند حسن الظن به ، فقد استطاع أن يشتت الجموع المحتشدة في الشوارع . وفي الساعة الحادية عشرة بدأ الوضع يتحسن والازدحام يخف ... »(٣٦)

ويقول ناجي شوكت ان المستشار البريطاني في اللواء ، وهو الميجر لونكريك الذي اشتهر فيما بعد بمؤلفاته عن العراق ، زاره في بيته في الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة واخذ يستفسر منه عن الاسباب التي حملته على ابعاد الشيخ دون أخذ رأيه باعتباره مستشار اللواء ، وألمح الى أنه لايستطيع تحمل مسؤولية تردي الوضع العام ، ونصحه بأن يلغي قرار الابعاد ويطلق سراح الشيخ فوراً . فأجابه المتصرف بأنه مستعد لتحمل كل مسؤولية عما سيحدث من جراء العمل الذي قام به ، وأنه سيخبر الوزارة ببغداد بأنه اتخذ قرار الابعاد دون استشارة المستشار . ثم طلب المتصرف من المستشار أن لايتقبل مراجعة أي شخص في هذا الشأن على أساس أنه ـ أي المتصرف ـ قام به على مسؤوليته .

كانت بلدة الحلة في صباح اليوم التالي هادئة ، وحين وصل المتصرف الى دائرته لمزاولة عمله كالمعتاد زاره سلمان البراك وطلب منه الاذن لوفد من الاهالي يريدون مقابلة . وكان الوفد مؤلفاً من عشرين شخصاً . وحين دخلوا على المتصرف أخذوا يرجون أن يساعدهم في اعادة الشيخ المبعد ،

(٣٦) ناجي شوكت (سيرة وذكريات) ـ بيروت ٩٧٥ ـ ص ٦٩ . .

فقال المتصرف لهم : « اذا تعهدتم لي بانهاء مقاطعة الانتخابات وتأمين جريانها بحسب الاصول ، فاني أعدكم بارجاعه بعد اسبوع واحد » • فاظهروا استعدادهم للتعاون مع الحكومة في هذا الشأن • فابرق المتصرف الى وزارة الداخلية يطلب منها رفع الرقابة عن الشيخ والسماح له بالعودة لزوال الاسباب التي أدت الى ابعاده • وقد زار لونكريك المتصرف بعد هذا وقال له : لقد نجحت في خطتك نجاحاً ملحوظاً واني كنت اخشى العواقب من هذا الابعاد(٣٧)•

الملك في الفرات الأوسط :

قلنا ان الملك أراد أن يبتعد عن بغداد عند القاء القبض على الخالصي فذهب الى البصرة • ولم يغادر الملك البصرة الا بعد ان اطمأن من القاء القبض على الخالصي وان كل شيء سار على مايرام • وفي مساء ٢٧ حزيران غادر الملك مع حاشيته البصرة • ومن مفارقات القدر ان يصل قطار الخالصي الى محطة البصرة في نفس الوقت الذى كان فيه قطار الملك يغادر المحطة • يقول سلمان الصفواني : « وقفت القاطرة في محطة البصرة التي التقينا فيها بقطار صاحب الجلالة الخاص خارجاً من البصرة • فكان من فيه يطل علينا من نوافذ المركبات المتألقة بالانوار الكهربائية » (٣٨)•

وفي ٢٨ حزيران جرى للملك في الديوانيــة احتفال عظيم حضره الكثير من رؤساء عشائر الفرات الأوسط • وقد أطنبت جرائد بغداد في وصف ذلك الاحتفال ووصفت الحاضرين فيه بأنهم أبطال ثورة العشرين • وفيما يلى نص مانشرته جريدة « العراق » في هذا الصدد نقلاً عن مندوبها في الديوانية :

« اجتمع شيوخ الشامية ورؤساؤها وزعماء قبائلها منها الظوالم

---

(٣٧) المصدر السابق ــ ص٦٩ ــ ٧١ •
(٣٨) جريدة «الحوادث» ــ في عددها الصادر في ١١ نيسان ١٩٣٠ •

والبو حسان والصفران والأعاجيب وبني زريج والاكـرع والبحاحشـه وعفج والبدير والدغارة والخزاعل والشبل والفتلـة وبني حسن والسعيد وغيرهم في سرادق كبير عصراً بجلالة الملك .وأقسموا لجلالته بالايمـان المغلظة انهم متفانون في اتباع سياسة جلالته وامتثال أوامره وهم متأهبون لقتل كل فكرة أو دسيسة تمس مصالح البلاد الرئيسية والقومية العربيـة وسحق كل مروج لذلك وهم لايصبرون على تأخير الانتخابات يوماً واحداً ٠ومما قاله الزعيم الشيخ شعلان أبو الجون : اننا يد جلالتك القويـة في تحقيق استقلال الأمة المطلق بالطرق التي ترجحونها وطوع ارادتك اليوم وغداً كما بالأمس ٠ فأجابهم جلالته بأن الحكم اليوم للامة وما أنا الا كبير خدامهـا العامل على تحقيق أمانيها الحرة ٠ انى سررت كثيراً بشعوركم الوطني في ضرورة قبض الأمة على مقاليد أمورها وان هذه البـلاد التي حررت نفسها والتي لو عصرنا ترابها لقطر دم الاجداد منه لايمكن أن تستسلم لدعـوة أجنبية أو تعرض كيانها للخطر ٠ الأمة بحاجة الى دستور يصنعه ممثلوهـا طبق ارادتها وتقاليدها وشرائعها ٠ فاشتدت الحماسـة وأمن الجميع على كلمات جلالته وزادوا بأن قبائلنا بأسرها سيفك القاطع في تأييد سياسـتك الرشيدة ، هذا عهدنا أمام الله والعالم »[٣٩]٠

ان هذا الذى نشرته الجرائد البغدادية كان المقصود به طبعاً ان يعلم الرأي العام بأن عشائر الفرات الاوسط ، ولاسـيما تلك التي سـاهمت في ثورة العشرين ، تقف الى جانب الملك وتؤيده على ما فعل من نفى الخالصي وتسفير المجتهدين ٠ ومن الجدير بالذكر أن الجرائد لم تكتف بما نشرته بل أخذت بعد ذلك تنشر المقالات الطويلة في ذم المجتهدين بصـورة غـير مباشرة وتصفهم بأنهم أجانب وأنهم يملكون ذهنية محدودة ويريدون هدم كيان الدولة التي أقيمت على جماجم الألوف من الشهداء ٠

---

(٣٩) جريدة «العراق» ـ في عددها الصادر في ٣٠ حزيران ١٩٢٣ ٠

كانت أعنف المقالات التي نشرت في ذم المجتهدين تلك التي كتبها سلمان الشيخ داود بتوقيع (س • د •) • وفيما يلي نموذج من احدى مقالاته وهي بعنوان « الجبن الادبي » حيث قال فيها :

« مع ان هؤلاء المتذبذبين قد عاشوا متظللين بسماء العراق العربي واستنشقوا هواء هذه البلاد فانهم لم يفتأوا عن محاربتها والايقاع بها تحت ستار مزركش يأخذ لمعانه بأبصار السذج من أبناء البلاد ألا وهو ستار الديانة والوحدة الدينية وغيرها التي لايمكن تحقيقها نظراً الى انتشار مبدأ القومية • وأنا على يقين من أنهم لم يقصدوا سوى الفت في ساعد الحركة العربية المباركة ، فهم بذلك يخونون البلاد التي يتنعمون تحت ظلها الوارف بقصد خدمة شعب أجنبي كان من اكبر عوامل القضاء على دولة العرب وابادة مدنيتهم الزاهرة • ومع ما انطوى عليه هؤلاء الافراد من روح العداء للبلاد فانهم يظهرون اذا جوبهوا كل جبن وخضوع ••• »(٤٠)

وفي مقالة أخرى بعنوان « العقلية البسيطة » هاجم سلمان الشيخ داود المجتهدين حيث وصفهم بأنهم يعملون في السياسة دون أن يكون لديهم أي المام بالعلوم العصرية التي هي ضرورية لكل من يعمل في السياسة ، فهم لايعرفون تاريخ الشعوب ونفسيتها ، بل لايعرفون حتى حدود بلادهم ، ولايعرفون من تاريخ قومهم الا صفحة مليئة بالخزعبلات والخرافات •••(٤١)

المجتهدون في ايران :

كان المجتهدون عندما أخرجوا من العراق من جهة خانقين توجهوا نحو كرمانشاه فوصلوها في ٧ تموز ، وقد جرى لهم في تلك البلدة استقبال عظيم اشترك فيه الأهالي والحكومة • ومكثوا في كرمانشاه شهراً • وقد

---

(٤٠) جريدة «العراق» ـ في عددها الصادر في ٥ تموز ١٩٢٣ •
(٤١) جريدة «العراق» ـ في عددها الصادر في ١٠ تموز ١٩٢٣ •

أبرق القنصل البريطاني في تلك البلدة في ١٧ تموز الى السر برسي لورين الوزير المفوض البريطاني في طهران يذكر له ماجرى في البلدة أثناء مكوثهم فيها ، حيث قال : ان المجتهدين كان حنقهم موجهاً ضد الحكومة العراقية وانهم ذكروا على ملأ من الناس أنهم لن يعودوا الى العراق الا بشروط منها عزل الملك فيصل وأن لديهم رسائل من رؤساء العشائر الكبار في العراق يؤيدونهم في مطلبهم هذا • ويشير القنصل البريطاني في برقيته الى ظاهرة طريفة هي ان الحزب الشيوعي في كرمانشاه أصبح فجأة شديد التدين وأعلن أعضاؤه تعلقهم بأحد المجتهدين وهو السيد علي الشهرستاني وأخذوا يحضرون المسجد من أجله كل يوم ، وصار رئيس الحزب بمثابة الناطق باسمه • ويقول القنصل ان هذه الظاهرة ربما أدت الى عواقب خطيرة وأتاحت مجالاً للبلاشفة لينفذوا منه ، وقد ذهب القنصل الروسي بصحبة ترجمانه المرزا ابراهيم خان لزيارة المجتهدين الثلاثة : السيد أبو الحسن الاصفهاني والمرزا حسين النايني والسيد علي الشهرستاني ، غير أن الاصفهاني والنايني لم يكلماه ، أما الشهرستاني فكان لقاؤه معه ودياً • ثم ذكر القنصل البريطاني في برقيته ان المرزا ابراهيم خان نجح قبل بضعة ايام في تحريض الاهالي ضد بريطانيا ، فاغلقت الاسواق وخرجت مظاهرة غير أن السلطة العسكرية منعتها بايعاز من السيد علي الشهرستاني ...[٤٢]

غادر المجتهدون كرمانشاه متوجهين نحو بلدة قم • وقد جرى لهم في المدن والقرى التي مروا بها استقبال هائل لامثيل له حتى ان بعض الناس كانوا يرمون بأنفسهم أمام سيارات المجتهدين لاظهار فدائيتهم لهم • وفي ١٧ آب وصل المجتهدون الى قم فاستقروا فيها • وهي بلدة مقدسة تضم ضريحاً فخماً لاحدى بنات الامام الكاظم كما تضم حوزة للعلوم الدينية كبيرة •

---

(٤٢) عن دائرة الوثائق العامة بلندن ــ رقم (أف٠أو٠ ٣٧ ــ ٩٠٤٧) ٠

اخذت الحركة المعادية لبريطانيا تستفحل في مختلف أنحاء ايران ، ولاسيما في العاصمة طهران • وقام الحزب الشيوعي بدور مهم في هـذا السبيل • وحين حل شهر محرم في ١٤ آب صار خطباء التعزية والوعاظ يثيرون الناس ضد الانكليز ويدعونهم الى اقامة المظاهرات ومقاطعة البضائع البريطانية •

كان الشيخ محمد الخالصي قد أبعد الى ايران في السنة الماضية ، كما أشرنا اليه في الفصل السابق • وقد استقر في طهران • وحين حدث تسفير المجتهدين انتهز الشيخ محمد الفرصة ، وهو خطيب مفوه ، فأخذ يشن الحملات الشعواء على بريطانيا والمؤيدين لها • وقد ذكر السربرسي لورين في برقية له الى لندن : ان الشيخ محمد الخالصي يعد المهيج الرئيس ضد الانكليز في طهران وانه على اتصال وثيق بالمفوضية الروسية • وذكر أيضاً ان الموظفين السوفياتيين في ايران استغلوا حادث تسفير المجتهدين واتخذوه سلاحاً بأيديهم لاثارة الناس ضد بريطانيا(٤٣)•

اضطر السربرسي لورين أن يذهب الى بغداد بطائرة عسكرية أرسلت اليه من بغداد لكي يحادث المسؤولين العراقيين بغية اقناعهم في اعادة المجتهدين الى العراق • ولكنه عاد من غير نتيجة • وفي ٣٠ آب أرسل الى اللورد كرزن وزير الخارجية البريطانية برقية طويلة شرح فيها الموقف المتأزم في ايران من جراء تسفير المجتهدين • وفيما يلي ننقل جزءا من تلك البرقية •

« سيدى اللورد ــ ان حادثة خروج المجتهدين من العراق ونتائج وصولهم الى هذه البلاد كانت موضوع سلسلة من البرقيات التى أرى من الضروري عرضها عليكم • ان ظروف خروجهم والطريقة التي عوملوا بها أظهرت خلافاً في الرأي بين هذه المفوضية والمندوب السامي في بغداد •

(٤٣) عن دائرة الوثائق بلندن ــ رقم (أف٠أوه ٣٧١ ــ ٩٠٤٧) •

فمن وجهة نظر السياسة البريطانية في ايران لا يمكن أن يكون هناك أمر أشد سوءاً من هذه الحادثة • فبعد مدة طويلة من العلاقات غير المرضية مع الحكومة الايرانية أخذ العداء لبريطانيا يضعف بينما هبطت سمعة المفوضية السوفياتية ونفوذها الى الحضيض ، وأصبح الطريق مفتوحاً لاعادة العلاقات الودية بين بريطانيا وايران على أساس ان بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي تمكن وتود ان تساعد ايران في طريق التقدم الاداري والتنمية الاقتصادية لما لها من عواطف تقليدية في هذا الشأن • ولكن نفي الشيخ مهدي الخالصي وما أعقبه من خروج المجتهدين الكبار مع ستة وعشرين رجلاً من أتباعهم احتجاجاً على ذلك أنتج ضجة كبرى في ايران بدعوى ان هؤلاء الاشخاص المقدسين قد طردوا بالقوة من العراق بواسطة الانكليز ، وان الانكليز قد وجهوا بذلك أفظع اهانة الى العقيدة الشيعية ، وكشفوا القناع عما كانوا يدعونه من حبهم للاسلام وأظهروا أنفسهم بأنهم أعداء الألداء • وليس ضرورياً أن أضيف الى ذلك ان البلاشفة استغلوا ذلك تمام الاستغلال حيث أصبح في يدهم سلاح للدعاية لم يتوقعوه ، فاستخدموه بكل طاقتهم لاثارة العداء ضد بريطانيا والنقمة عليها ••• اني عند وصولي الى بغداد وتبادل الرأي مع السر هنري دوبس والمسؤولين البريطانيين الآخرين في العراق وجدت الموضوع اكثر دقة مما كنت أتصوره فأن المسؤولين العراقيين قد اتخذوا اجراءات النفي من تلقاء أنفسهم وعلى مسؤوليتهم ، وانهم مسرورون جداً من النتائج ولم يكونوا راضين عن قدومي الى بغداد ، فانهم يخشون أن يؤدي الضغط البريطاني عليهم ان يعودوا الى ما كانوا فيه ويضحون ما يعتقدون أنه في مصلحتهم ••• والواقع ان وضعهم يجعلهم مضطرين الى الاستقالة في حالة الضغط عليهم ، وهم يؤكدون ان ليس هناك أية حكومة أخرى يمكن أن تحل محلهم ، واذا حدث هذا فان السلطة البريطانية ستجد من الضروري العودة الى الادارة المباشرة الأمر الذي لاترضاه حكومة صاحب الجلالة البريطانية • ومن

الناحية الأخرى فان الحكومة العراقية ليس لديها أية نية أو رغبة في عودة المجتهدين الى العراق خلال أية مدة محددة ••• وعلى هذا فقد شعرت بأن اصراري على وجهة نظري ، وهي الوجهة التي تبررها الظروف في ايران حسب فهمي لها ، لا تؤدي الا الى الفشل التام في الحصول على طريقة وسطي للحل ••• »

وأشار السربرسي لورين في برقيته الى أنه في أثناء مكوثه في بغداد قابل الملك فيصل بحضور السر هنري دوبس وعبدالمحسن السعدون وكورنواليس ، فوجد السعدون متصلباً جداً تجاه عودة المجتهدين بينما كان الملك ميالاً للنظر فيما يهدىء الوضع الخطير في ايران • وقد اتفقوا أخيراً على النظر في أمر عودة المجتهدين بعد الانتهاء من انتخابات المجلس التأسيسي والمصادقة على المعاهدة وملحقها • وذكر لورين انه بعد عودته الى طهران قابل الشاه كما قابل الوزراء وحادثهم في الموضوع الذي كان يشغل بالهم وقال لهم : « ان مصلحة الحكومة الايرانية والحكومة العراقية في هذا الموضوع واحدة ، ذلك أن تركز السلطة الدينية في أيدى المجتهدين الكبار في ايران بحيث جعلهم فوق سلطة الحكومة المدنية أمر شاذ لايمكن لأية حكومة حديثة أن تتسامح به مدة طويلة ، ولهذا كان من الطبيعي أن تقاوم الحكومة العراقية مثل هذا التسلط بكل ما تملك من طاقة » • ويقول لورين ان هذا الكلام كان له أثره في الشاه ووزرائه(٤٤) •

الخالصي في البصرة :

ان القطار الذى نقل الشيخ مهدي الخالصي ورفاقه الاربعة من بغداد قد وصل الى محطة البصرة في مساء ٢٧ حزيران كما أشرنا اليه من قبل • وقد نقلوا من المحطة رأساً الى قصر يقع على شط العرب تجاه السراجى يسمى « قصر أغا جعفر » • وادعت الحكومة في حينه انها انما اسكنتهم في

---

(٤٤) عن دائرة الوثائق العامة بلندن ــ رقم (أف٠أو٠ ٣٧١ ــ ٩٠٤٨) •

هذا القصر لكي توفر لهم أسباب الراحة والترف باعتبار ان هذا القصر كان يعتبر من أفخم قصور البصرة في تلك الايام • ولكن سلمان الصفواني ينفي صحة ما ادعته الحكومة حيث قال : صحيح انها اسكنتنا في ذلك القصر الفخم غير أنها وضعتنا في غرفة تحتانية منه ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب الاليم(٤٥)• ويصف الصفواني ما جرى عليهم في تلك الغرفة فيقول مانصه :

« لم يكن في هذه الغرفة حتى حصير نجلس عليه ، فنمنا جلوساً في تلك الليلة مستندين الى نوافذ الغرفة ، وكان الحر شديداً ، وكان البعوض بأحجام كبيرة وأسراب كثيرة يهاجمنا بلارحمة ، فلم تغمض لنا عين ، مضافاً الى أننا لم نتناول طعاماً منذ الليلة التي قبض فيها على الامام الخالصي ، والجائع لاينام • وكان الواحد منا اذا ذهب الى المرافق الصحية رافقه جندي هندي مسلح • وكان هؤلاء الجنود شرسين جداً • وفي الصباح جيء لنا ببضعة أرغفة من الخبز العادي وقطعة من الجبن الابيض المتحجر مع الخيار التعروزي • فلم نستطع تناول شيء من هذا الطعام • وجيء لنا ظهراً ومساءاً بمثل ذلك فلم نتناول منه شيئاً ، وقررنا الاضراب عن الطعام • ودام اضرابنا ثلاثة أيام ظهر علينا خلالها الاعياء التام • وفي اليوم الثالث من اضرابنا جاءنا مفتش شرطة بريطاني وألقى نظرة على الغرفة التي نحن فيها فشم رائحة كريهة تنبعث من زاوية الغرفة مما يلي الباب فدنا منها حيث رأى كمية من الخبز والجبن والخيار قد وضع بعضه على بعض من دون أن تمسه يد حتى تعفن ، ورأى أن الغرفة خالية حتى من الحصران وأن لا شيء ننام عليه • فبدت عليه علائم الاستياء وخرج من الغرفة من دون أن ينبس ببنت شفة • وبعد بضع ساعات عاد المفتش الينا ، وكان قد ذهب الى البصرة بزورق بخاري ، فاذا بالجنود ينقلون الينا أثاث بيت كامل من سجاد وفرش وقنبات وكراسي ومناضد وأواني ومواد التموين والطعام

(٤٥) جريدة «الحوادث» ـ في عددها الصادر في ١١ نيسان ١٩٣٠ •

على اختلافها ، بسخاء عجيب • وقيل لنا ان الحكومة قد عينت لنا طباخاً ليطهو الطعام لنا حسب ذوقنا • ولما كنت المدخن الوحيد بين رفاقي فقد تقرر تزويدي بـ (٤٠٠٠) سيكارة في الشهر من السكاير العراقية ذات العقب• وقد أفادتنا أعقاب هذه السكاير اذ لم يكن لدينا ورق نكتب عليه ، فكنت أحتفظ بعقب كل سيكارة لتدوين يومياتي الموجزة عليها في غفلة عن أعين الرقباء ... »[٤٦] •

مكث الخالصي ورفاقه في ذلك القصر «الفخم» حتى يوم ٣٠ حزيران • وفي مساء ذلك اليوم طلب اليهم أن يتهيأوا للانتقال الى مكان آخر ، وأعد لهم زورق بخاري لنقلهم ، وكان الزورق مليئاً بأكياس الرز والسكر والشاي وصفائح السّمن بالاضافة الى قطيع من الغنم ، وهي كلها مخصصة لطعامهم • ثم تحرك الزورق بهم نحو باخرة إسمها «فاسنا» كانت راسية في موضع بعيد في شط العرب • فصعدوا الى الباخرة حيث خصص لهم فيها جناح من الدرجة الاولى ، كما دفعت لكل واحد منهم نفقات جيب مقدارها ٥٠٠ روبية[٤٧] •

وقبل أن تبحر الباخرة بهم اقترب منها زورق بخاري آخر وهو يحمل أحمد الراوي الذي كان يومذاك مديرا لشرطة المنتفق ومعه عبدان من عبيد الملك هما سالم وبرجس • فصعد الراوي ومعه العبدان الى الباخرة، وقدم نفسه الى الخالصي قائلاً له : انه من بيت علم ودين وانه ابن العلامة السيد ابراهيم الراوي وقد انتدبه الملك لمرافقتهم كما بعث معه أثنين من عبيده للتدليل على تكريمه لهم ورعايته •

من الجدير بالذكر ان أحمد الراوي انما كان مرسلاً من الملك في البداية لجلب الأمير غازي وأمه واخواته من الحجاز ، ولكن الملك

---

(٤٦) نقلا عن مذكرات سلمان الصفواني المخطوطة •

(٤٧) سلمان آل ابراهيم الصفواني (محكوميتي) ــ صيدا ١٩٥٢ ــ ص٢٤ •

كلفه بمهمة اضافية حين علم انه سيركب في نفس الباخرة التي يركب فيها الخالصي • وقد حدثني الراوي فقال ان الملك أوصاه بالخالصي خيراً وأمره بان يوفر له جميع اسباب الراحة • والواقع ان الراوي لم يقصر بشيء في خدمة الخالصي ورعايته ، وقد بذل في سبيل ذلك أقصى جهده •

الخالصي حاجاً :

حينما وصلت الباخرة «فاسنا» الى بومبي نقل منها الخالصي ورفاقه الى باخرة أخرى اكبر منها وهي من البواخر التي تحمل الركاب بين الهند ولندن • وقد خصص لهم فيها جناح من الدرجة الاولى كما دفع لكل واحد منهم نفقات جيب للمرة الثانية مقدارها ٤١ جنيها انكليزيا[٤٨] •

وبينما كانت الباخرة في طريقها الى عدن أرسل الشيخ خزعل أمير المحمرة الى الملك فيصل يطلب منه ان يكون الخالصي في ضيافته • فاجابه الملك معتذراً ، وهذا هو نص الرسالة التي أرسلها الملك الى خزعل :

الى عظمة السردار أقدس الشيخ خزعل خان حاكم المحمرة

أخي العزيز

تلقيت في أهنأ ساعة كتابكم الكريم الذى تنوهون به عن رغبتكم في ابقاء حضرة الشيخ مهدي في ضيافتكم فشكرت لعظمتكم شعوركم النبيل نحوي ونحو الشيخ المشار اليه الا انه ويالاسف كان حضرة الشيخ قد سافر من بومبي متجها نحو الحج قبل وصول كتابكم الكريم • اني وأيم الله لشديد الأسف على ما حصل ولكنه مراد الله واقتضت المسؤولية المتوجهة علي للوطن ومنفعته أن يغادر حضرة الشيخ القطر في هذه الآونة بسبب معارضته الشديدة لانتخابات المجلس التأسيسي ومع ذلك فاني مقدر وجاهة دعوتكم وسأعمل كل ما يمكن لتحقيق رغبتكم بشأنه وفي الختام أرجوكم أن تثقوا بدوام مودتي واحترامي لشخصكم الكريم •

أخوكم فيصل[٤٩]   ٢٨ تموز ١٩٢٣

---

(٤٨) المصدر السابق ـ ص٢٤ •

(٤٩) عن وثائق البلاط الملكي ـ تسلسل ٣ ، رقم ٦٩ •

وصلت الباخرة الى عدن في ١٦ تموز ، فنزلوا منها الى الميناء ، وأخذ أحمد الراوي يبحث لهم عن فندق اسلامي لينزلوا فيه فلم يجد، لان الفنادق التي في الميناء كانت كلها افرنجية . ولكن الحظ ساعدهم في الوقت المناسب اذ رآهم تاجر كبير من تجار عدن كان من سكنة الكاظمية سابقاً اسمه حسن علي ، فتعرف عليهم وأخذهم الى محله ووفر لهم أسباب الراحة .

وصلت الى الخالصي عن طريق حاكم عدن برقية من الحكومة الايرانية تدعوه هو وأولاده الى بلادها . غير ان الخالصي رفض الاستجابة للدعوة وقال ان موسم الحج قريب وانه يجب أن يذهب لاداء فريضة الحج اولاً ثم ينظر في أمر الدعوة بعدئذ .

كان من الصعب جداً في ذلك الوقت الحصول على وسيلة للوصول الى مكة قبل بدء الحج ، فلم يكن هناك سوى باخرة واحدة ذاهبة الى الحجاز وهي آخر بواخر الحجاج ، وكانت بالاضافة الى ذلك مزدحمة بركابها وليس فيها أي محل شاغر . ولكن حاكم عدن استطاع أن يهيء للخالصي ورفاقه محلاً في جناح قائد الباخرة ، وبذلك تم لهم الوصول الى جدة في الوقت المناسب .

عندما اقتربت الباخرة من جدة خرج لاستقبالها في زورق بخاري قائمقام جدة مع مدير الكمرك ووزير الصحة ، فاستقبلوا الخالصي بالنيابة عن الملك حسين وأعلنوا له أنه هو ورفاقه سيكونون في ضيافة الملك طيلة مكوثهم في الحجاز .

لم يمكث الخالصي في جدة سوى بضع ساعات ، فقد كان على عجل يريد الوصول الى مكة قبل فوات أوان الحج . فأعدت له ولرفاقه حمير حساوية نقلتهم الى مكة حيث وصلوها بعد رحلة متعبة استغرقت تسع ساعات . وعلى أثر خروج الخالصي من جدة وصلت الى القنصل

البريطاني في جدة برقية من السر برسي لورين في طهران هذا نصها :

« أرجو ان تجعلوا الشيخ مهدي الخالصي يرسل برقية الى رئيس الوزارة الايرانية يعرب فيها عن امتنانه للحكومة الايرانية لاهتمامها بأمره ويصرح فيها ان الحكومة البريطانية عرضت عليه أن ترسله الى ايران ولكنه فضل اغتنام الفرصة لاداء الحج • ان من المهم جداً أن تجعلـــوا الخالصي يرسل مثل هذه البرقية لكي يهدأ الهياج الذي يشتد هنـــا في أوساط رجال الدين » •

فأجاب القنصل على هذه البرقية قائلاً : انه يأسف لعدم امكانه أن يقوم بما طلب منه كما ينبغي ، لأن الخالصي لم يبق في جدة سوى ساعات قليلة حيث وصل اليها ضحى وغادرها عصرا ، ولهذا كان من المستحيـل على القنصل زيارة الخالصي فكلف السيد أحمد الراوي بذلك ، وقد ذكر الراوي ان الخالصي كثير الريبة والتملص ولا يفعل شيئاً قبل استشارة القنصل الايراني ، وقد تمكن الراوي أخيراً أن يحصل من الخالصي على ورقة موقعة منه ولكنها فيما يبدو لا تنفع الحكومة البريطانية كثيرا • ثم يختم القنصل برقيته بمدح أحمد الراوي قائلاً انه يستحق التقدير عـلى الجهد الذي بذله في الحصول على الورقة ، وهو لذلك يلفت نظر المندوب السامي ببغداد الى كفاءة هذا الرجل ويرجو منه اذا وجد ذلك مناسباً أن يلفت نظر الحكومة العراقية الى ذلك ايضا(٥٠) •

عند وصول الخالصي الى مكة لم يقم بزيارة الملك حسين كما تقضي به التقاليد الرسمية • فقد كان رأي الخالصي ان العلماء لايجوز لهم زيارة الملوك ، بل ان الملوك هم الذين يجب ان يقوموا بزيارة العلماء • ويقول الراوى انه استطاع فى منى ان يقنع الخالصي بحضور السرادق المـــلكي الذى اعد لاستعراض الجيش • وهناك التقى الخالصي بالملك وتعانقا ،

---

(٥٠) عن دائرة الوثائق العامة بلندن ــ رقم (أف٠أو٠ ٣٧١ ــ ٩٠٤٧) •

وابدى الملك نحو الخالصي احتراما كبيرا وكان يخاطبه دائما بلقب « مولانا الشيخ » .

ويروي سلمان الصفواني قصة طريفة جرت في أثناء جلوس الخالصي ورفاقه الى جانب الملك حسين في السرادق الملكي ، وهي انهم شاهدوا الامير غازي يتطلع عليهم من وراء ستار وكان يومذاك صبيا في الحادية عشرة من عمره ، فناداه الملك باسم « عون » وقال له : « تعال ياعون سلم على اعمامك الذين استدعوا أباك الى العراق » . ثم أخذ الملك يتحدث اليهم عن السبب الذي جعله ينادي الامير غازي باسم « عون » ، فقال : « عندما كانت أمه حاملة به ظهر لي عمنا الحسين عليه السلام في المنام وقال انها ستلد غلاما ذكرا فأطلق عليه اسم عون . ولما ولد الغلام أرادت الاسرة ان تسميه باسم غازي لان والده كان حينذاك في العسير غازيا ، وأصرت على هذه التسمية، فقلت لهم : سموه ماتشاؤون ولكنني لا أسميه الا عون استجابة لطلب عمنا الحسين » .

الخالصي في قم :

بعد اتمام فريضة الحج وزيارة قبر النبي قرر الخالصي تلبية دعوة الحكومة الايرانية . فركب باخرة أقلته مع رفاقه الى بوشهر . وقد افترق عنهم سلمان الصفواني حيث ذهب الى البصرة ومنها الى بغداد في قصة طويلة لامجال هنا لذكرها .

عند وصول الخالصي الى بوشهر جرى له فيها استقبال عظيم جدا اذ خرج أهل البلدة كلهم لاستقباله ، كما جاءت وفود كثيرة من المناطق المجاورة لهذا الغرض . وقد حدثت في اثناء الاستقبال حادثة عجيبة يصعب تعليلها : هي أن رجلا انكليزيا كان يعمل فى شركة النفط بعبادان اخترق جمهور المستقبلين وتعلق بسيارة الخالصي ثم أطلق عليه رصاصة من مسدسه أخطأته . وقد انثال الجمهور على الرجل يريدون قتله ، غير ان الجنود

أسرعوا لاستخلاصه منهم • وحين علم السر أرنولد ويلسون بالأمر ، وكان يومذاك مديرا لشركة النفط ، أرسل الى الخالصي يبدي أسفه لما جرى ويعتذر بان الرجل كان أثناء الحادث سكران لايعي وانه قد عزله من وظيفته واعاده الى لندن • ولما وصل الخبر الى طهران حدث هياج بين الناس وكادت تقع فتنة غير أن الحكومة عمدت الى تهدئة الناس حيث أكدت لهم بان الخالصي لم يصب بسوء وان الرجل قد غلبت على عقله الخمرة ولم يتعمد ذلك العمل ، فسكن الناس(٥١) •

وبعد أن مكث الخالصي في بوشهر قليلا غادرها الى شيراز ، ومنها الى أصفهان ، ومنها الى قم • وقد جرت له استقبالات عظيمة في جميع المدن والقرى التي مر بها • وكان وصوله الى قم في أواخر تشرين الاول ١٩٢٣، وفيها التقى بالمجتهدين الذين كانوا قد وصلوا اليها قبله •

ولم يكد الخالصي يستقر في قم حتى نشب الخلاف بينه وبين المجتهدين فقد كان هؤلاء يرغبون في العودة الى العراق ، وكانوا قد أرسلوا الى الملك فيصل رسولين منهم لمفاوضته في الامر هما المرزا مهدي الخراساني والشيخ جواد الجواهري • وحين علم الخالصي بارسال هذين الرسولين تأثر أشد التأثر ، وقيل ان عدة مشاجرات حصلت بينه وبين المجتهدين • وقد أشار الشيخ محمد الخالصي الى ذلك في مذكراته حيث قال مانصه :

« لما ورد أبي الى قم ورأى ما أصاب العلماء من الوهن والخوف بمراجعتهم لفيصل وعزمهم على العودة الى العراق لامهم أشد اللوم ، وبيّن لهم ان التكليف الشرعي والأمر الالهي لايساعدان على هذا العمل ، وانه يجب البقاء في ايران والسعي في اصلاحها ثم اصلاح العراق وسائر البلاد الاسلامية بواسطتها ، لأنها اذا صلحت تكون مركز الحركات الاصلاحية في جميع البلاد الاسلامية لموقعها الجغرافي واستقلالها التام ، وانه يحرم التسليم

(٥١) نقلا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة •

الى الانكليز وفيصلهم ولا سيما بعد ما أقدموا عليه من نفي العلماء جميعهم وعدم رعايتهم حرمة أحد منهم ، وبيّن لهم أن رضوخهم الى الضيم واستسلامهم الى الذل برجوعهم الى العراق يوجب يأس العالم الاسلامي واستسلام سائر الطبقات من المسلمين الى مثل ما استسلم اليه العلماء ، وفي هذا هلاك المسلمين عامة والعراق وايران خاصة ، وان ذلك من أشد المحرمات الشرعية ولايقدم على مثله أبيّ للضيم أو عاقل عرف قدر الحياة ومنزلتها . ولم يزل أبي ينصح العلماء ويرشدهم فلا ينفع ذلك حتى يئس منهم وقال : ليتكم لا جئتم الى ايران ولا اشتركتم معي ، وتركتموني وحدي والانكليز ، واليوم إذ صممتم على ما يخالف مصلحة الاسلام وأقدمتم على أمر أراه من أشد المحرمات فلابد لي من مفارقتكم والبقاء في ايران حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . وفارقهم مغضبا وقصد خراسان ، وبقي العلماء في قم يستعدون للرجوع الى العراق مستسلمين لأمر الانكليز راضين بالذل والهوان منتظرين لصدور الاذن من فيصل والانكليز بالرجوع الى العراق . وحسابهم في ذلك على ربهم وهو أعلم بحالهم »[٥٢] .

يعزو الشيخ محمد الخالصي رغبة المجتهدين في العودة الى العراق الى اسباب ثلاثة هي :

أولا : ان المجتهدين كانوا سيئي الظن بالايرانيين ، ولا سيما السيد أبو الحسن الاصفهاني إذ هو لم يكن يذكر ايران بخير .

ثانيا : ان المجتهدين كانوا يظنون ان الرئاسة لا تتم الا في النجف ، وقد علموا ان السيد محمد الفيروزآبادي بدأ يعمل للانفراد بالرئاسة فيها وصار يكتب الرسائل الى ايران ينتقص فيها من شأن المجتهدين المبعدين ويذكر ان الحوزة العلمية في النجف مشغولة بالبحث والدرس وان العلماء فيها على أحسن حال .

---

(٥٢) المصدر السابق .

ثالثا : ان الشيخ عبدالكريم اليزدي الذى كان كبير المجتهدين في قم لايرغب في بقاء المجتهدين فيها لانهم يزاحمونه في الرئاسة ، فهو كان يعارضهم من وراء ستار(٥٣) .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان السر برسي لورين أشار الى مثل هذا التعليل في رسالته الى اللورد كرزن المؤرخة في ٣٠ آب ١٩٢٣ حيث قال : ان المجهتدين يملكون في العراق دورا واملاكا واموالا خيرية للتوزيع كثيرة ، ولهذا فان من مصلحتهم العودة الى « مراتبهم » بأسرع ما يمكن ، يضاف الى ذلك ان كبار المجتهدين في ايران وان كانوا مضطرين للترحيب بالمجتهدين المنفيين واحترامهم غير أنهم يعتبرونهم متطفلين عليهم يزاحمونهم على مقاماتهم وامتيازاتهم(٥٤) .

الخالصي في خراسان :

قرر الخالصي الانفصال عن المجتهدين ، والذهاب الى خراسان . وفي منتصف كانون الاول ١٩٢٣ غادر قم . وعند وصوله الى بلدة الشاه عبد العظيم التى تقع الى الجنوب من طهران جاءت اليه الجماهير من طهران للسلام عليه وتقبيل يديه ، كما جاء رضا خان الذى كان قد تولى رئاسة الوزارة منذ عهد قريب واختلى به اكثر من ساعتين .

وصل الخالصي الى خراسان فى اوائل عام ١٩٢٤ وبعد ان أتم زيارة مرقد الرضا نوى الاستقرار في البلدة واستخار الله بالقرآن فخرج قوله تعالى « بلدة طيبة ورب غفور » . وبهذا عقد العزم على سكناها(٥٥) .

أول عمل قام به الخالصي في خراسان هو تأسيس جمعية سماها « جمعية استخلاص الحرمين وبين النهرين » . وفى ٢٦ كانون الثاني

---

(٥٣) نقلا عن كتاب مخطوط للشيخ محمد الخالصي عنوانه «بطل الاسلام» .
(٥٤) عن دائرة الوثائق العامة بلندن ـ رقم (أف٠أو٠ ٣٧١ ـ ٩٠٤٨) .
(٥٥) نقلا عن كتاب الخالصي السابق .

أصدر بلاغا باللغة العربية دعا فيه المسلمين في جميع البلاد الاسلامية للانتساب الى الجمعية وحثهم على السعي لتطهير الاماكن المقدسة في الحجاز والعراق من لوث الكفار . وقد تُرجم هذا البلاغ الى اللغات الفارسية والتركية والبشتو والاوردو ، وطبع في كتاب صغير نشر بين الناس كما أرسل عن طريق التهريب الى الهند .

واهتم الخالصي بتقوية الحكومة الايرانية وتنمية قواتها المسلحة ليجعلها ركيزة للمسلمين فى محاربة الكفار . فهو عندما كان فى شيراز في طريقه الى قم أصدر فتواه بتفويض الحكومة الايرانية بجباية اموال الزكاة والخمس من المسلمين وانفاقها على القوات المسلحة المكلفة بحماية الثغور(٥٦) . ولما استقر في خراسان أصدر فتوى ثانية فى انفاق واردات أوقاف الرضا لسد العجز المالي الذى كانت الحكومة الايرانية تعاني منه في تلك الايام(٥٧) .

لاحاجة بنا الى القول ان اصدار هاتين الفتويين خلق للخالصي خصوما كثيرين لاسيما بين رجال الدين . فقد كان هناك عدد كبير من رجال الدين وغيرهم ينتفعون من أموال الخمس والزكاة وواردات أوقاف الرضا ، ولم يهن عليهم ان تتصرف الحكومة بتلك الاموال دون ان يكون لهم نصيب منها . أضف الى ذلك ان كثيرا من رجال الدين ، ولا سيما في خراسان ، وجدوا فى الخالصي منافسا لهم يهدد مقامهم الديني فى أوساط العامة ويتفوق عليهم بانجذاب القلوب اليه .

أخذ خصوم الخالصي يتحينون الفرصة للكيد له والايقاع به . وقد واتتهم الفرصة في ٢٣ شباط ١٩٢٤ حين أصدر الخالصي فتوى بجعل عيد النيروز يوم حداد ديني . ففي ذلك اليوم أخرجت جريدة « شرقي ايران » التى كانت تصدر في خراسان عددا خاصا كتبت فى مقدمته بحروف بارزة

(56) Report On The Administration of IRAQ - 1923 - 1924 - London 1925 - p. 13.

(٥٧) عبدالرزاق أمين (ذكرى الخالصي) ــ بغداد ١٩٢٥ ــ ج ١ ص ١٣ .

هذه العبارة : « عيد قومي ـ أو يوم حداد اسلامي » • وذكرت الجريدة استفتاءا موجها الى الخالصي هو : هل يجوز الاحتفال بعيد النيروز القادم في الوقت الذى تكون فيه مكة والمدينة والنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء تحت حكم اعداء الاسلام وتدوس تربتها المقدسة خيول الاجانب ؟ ثم اوردت الجريدة جواب الخالصي إذ يقول فيه : ان الاحتفال بعيد النيروز في هذه السنة يجب أن يكون كما لو كان قد حل في شهر محرم وفي يوم مقتل الامام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس •

لايخفى ان عيد النيروز كان ولا يزال يعتبر عيدا قوميا عظيما في ايران، وهم يروون فيه الاحاديث والمأثورات الدينية • ومن غرائب الصدف ان كان النيروز في تلك السنة موافقا ليوم منتصف شعبان وهو اليوم الذى يحتفل فيه الشيعة بميلاد صاحب الزمان ، وكان كذلك موافقا لليوم الذى يحتفل فيه البهائيون بذكرى وفاة عباس افندى • فأخذ خصوم الخالصي يشيعون بين الناس أن الخالصي بهائي وأنه يريد أن يقلب العيد مأتما حزنا على عباس أفندى • وقد راجت هذه التهمة بين كثير من الناس خصوصا بين أولئك الذين كانوا يمقتون الخالصي لفتاويه الجريئة •

انشق أهل خراسان الى فريقين متعاديين ، فريق مع الخالصي وآخر عليه • ومما زاد في العداء بين الفريقين ان القنصلية الروسية كانت تؤيد الخالصي بينما كانت القنصلية البريطانية تؤيد خصومه •

وعندما اقترب يوم النيروز في ٢١ آذار جاء الى الخالصي بعض مقلديه يطلبون منه الاجازة للاحتفال بميلاد صاحب الزمان ، فاجاز لهم ذلك على أن يكون الاحتفال في اليوم التالى ليوم النيروز • وقد اقيم الاحتفال في اليوم التالي فعلا حيث جرى مساء في مسجد گوهر شاه وحضره الحاكم العام وكبار الموظفين واعيان البلدة • وحينذاك جاءت مظاهرة معادية تحمل تماثيل عباس افندى وعلي محمد الباب فاقتربت من مكان الاحتفال وأخذت تحيي عيد النيروز وتشتم البهائية • ثم توجهت نحو بيت الخالصي وصارت

تهتف ضده ، وأطلقت بعض المفرقعات • وانطلقت بعدئذ تتجول في بعض شوارع البلدة ، واعتدت على افراد من البهائيين ، ثم تفرقت بعد ان اشعلت النار في التماثيل التى كانت تحملها •

لم يسكت أتباع الخالصي عن هذه الاهانة فاخرجوا في اليوم التالي مظاهرة لتأييد الخالصي وأخذ المتظاهرون يهتفون ضد البهائية وضد فكرة الجمهورية ، ذلك لان الخالصي كان يومئذ يحارب فكرة الجمهورية التى كان بعض الايرانيين ينادون بها ، وكان يعدها مكيدة للقضاء على الاسلام • ومرت المظاهرة بصحن الرضا وبعض الشوارع الرئيسية ، واعتدت على بعض البهائيين على نحو ما فعلت المظاهرة السابقة • فاستدعيت قوة من الجيش لتفريق المظاهرة ، وحصل تدافع بالايدى بين الجنود والمتظاهرين، وأطلق الجنود النار في الهواء• ثم تفرقت المظاهرة بعد ما تم القاء القبض على عدد كبير منهم ، ولكنهم افرج عنهم في اليوم التالي[٥٨] •

سئم الخالصي من خراسان وأهلها ، وقرر مغادرة البلدة الى طهران ، وصرح أن الخراسانيين أهانوه اكثر من اهانة الانكليز له • وحين شاع خبر عزمه على الرحيل جاء اليه الكثير من الخراسانيين يعلنون ندمهم على ما فعلوا ويصرون عليه بالبقاء • وذكر التقرير البريطاني السري ان القنصل الروسي كان له دور في اقناع الخالصي بالبقاء في خراسان[٥٩] •

وفاة الخالصي :

توفي الشيخ مهدى الخالصي بالسكتة القلبية في مساء ١١ رمضان ١٣٤٣ هـ ـ الموافق لـ ٥ نيسان ١٩٢٥ م • وقد جرى لجنازته في خراسان تشييع لم تشهد له البلدة مثيلا من قبل • وعطلت الاسواق والدوائر الرسمية أعمالها في ذلك اليوم ، كما أعلنت **القنصليتان** الروسية والافغانية الحداد •

---

(٥٨) عن دائرة الوثائق العامة بلندن ـ رقم (أف٠أو٠ ١٣٧١ ـ ١٠١٤٠)
(٥٩) المصدر السابق ٠

وفي مساء ٧ نيسان وصلت الى الكاظمية برقية من خراسان تنبيء بوفاة الخالصي ، فارتجت البلدة لهذا النبأ وارتفع صوت البكاء والعويل فيها. وفي اليوم التالي اغلقت الاسواق حدادا وخرجت مواكب اللطم من المحلات المختلفة قاصدة مدرسة الخالصي وهي تنوح وتلطم الصدور • وجاء موكب الاعظمية لمشاركة أهل الكاظمية في العزاء ، وكانت هذه أهزوجتهم :

ياعمود الاسلام حامي الشريعة — يتمت هاالمخلوق سنة وشيعة

كنت يومذاك صبيا في الثانية عشرة من عمري ومن طريف ما أذكره أن الناس حين كانوا يتحدثون عن نفي الخالصي وموته يشبهون ذلك بمقتل الحسين ، فكانوا يقولون ان يزيد بن معاوية هو اليوم جورج الخامس ، وعبيد الله بن زياد هو فيصل ، وعمر بن سعد هو عبدالمحسن السعدون ، أما شمر بن ذي الجوشن فهو عبدالرزاق الفضلي• ونسي الناس أن يذكروا أنهم هم أنفسهم أهل الكوفة •

أقيمت مجالس الفاتحة على الخالصي في اكثر المدن العراقية وظلت تتوالى مدة طويلة ، كما أقيمت حفلات التأبين وكانت اولاها حفلة حزب النهضة التي جرت في مساء ٩ نيسان وشارك فيها عبدالرزاق الرويشدي وجميل صدقي الزهاوي ونعمان الاعظمي وعبودالكرخي ومحمد عبدالحسين وابراهيم حلمي العمر وحسون القزويني وخميس آل تويج• وفي مساء ٢٠ نيسان أقام نادي الاصلاح ببغداد حفلة ثانية شارك فيها جعفر الشبيبي ومهدي البصير وعبدالحسين الازري وقاسم العلوي ومعروف الرصافي •

أصبحت مدرسة الخالصي في الكاظمية كأنها سوق عكاظ لكثرة الشعراء الذين أخذوا يتوافدون عليها لالقاء قصائدهم من على منبرها • ولم تتخذ الحكومة أي اجراء لمنع الشعراء من القاء قصائدهم هناك ، بل تركتهم يفعلون مايشاؤون كأنها أدركت ان ليس هناك اي خطر منهم •

والملاحظ ان الشعراء لم يخرجوا في نظمهم عن الاطار التقليدي الذي اعتادوا عليه في الرثاء منذ قديم الزمان • فقد كانت قصائدهم كلها تقريبا متشابهة في معانيها تدور حول عظمة الفقيد ومناقبه ، وكيف انهد ركن الدين

واظلمت الدنيا بموته ، وكيف أصبح الناس من بعده حيارى لايدرون اين يتوجهون ، وغير ذلك من المفاهيم التى تتكرر عند موت أي شخص عظيم• ولكن الفرق بين شاعر وآخر هو في صياغة الالفاظ الرنانة التى يعبرون بها عن تلك المفاهيم والمبالغات التى يصورونها بها •

وقد انشغل الادباء والمتعلمين فى تلك الايام بالمفاضلة بين القصائد ، ونسوا الهدف الذى مات الخالصي من أجله ، فاذا أجتمعوا كان معظم حديثهم يدور حول الشعراء الذين ألقوا قصائدهم في ذلك اليوم وماهى الابيات التى نالت استحسانا أكثر ، وربما تجادلوا فى ذلك واختلفوا وارتفعت أصواتهم على نحو ما كان يجرى في العصور « الذهبية » الاولى •

ومما اذكره في هذا الصدد ان شاعرا نجفيا اسمه السيد صادق الهندى ألقى قصيدة في رثاء الخالصيّ ظلت مدة طويلة محور حديث الناس واعجابهم • وفيما يلي بعض أبيات نموذجية منها ليطلع القارىء بها على المستوى الفكرى الذى كان الناس يعيشون فيه حينذاك :

هل أنت يا أعجوبة الاكوان	ملك تجلبب صورة الانسان
أم أنت مثلك الجليل لكي ترى	فيك الانام حقيقة الايمان
أم هل لهذا العصر غيرك آخر	قد حاز فى الدارين سبق رهان
أبقيت سيرتك الحميدة فى الورى	يتلونها كتلاوة القرآن
يانوح هذا العصر كيف تركتنا	من لجة الأخطار في طوفان
وخليل هذا القطر نمرود الأسى	أصلى القلوب عليك بالنيران
وكليم هذا المصر الا انه	للصبر وجّه آية الثعبان
أحييت ميت شعبنا فكأنما	عيسى أعيد بهذه الازمان(٦٠)

الواقع أن هذا ديدن الشعر العربي منذ عصوره الاولى ، إذ كان الناس ينشغلون به عما حولهم من المشاكل والمآسي ، ولهذا كان السلاطين يشجعونه ويجزلون له العطاء ، فقد وجدوا فيه خير وسيلة يلهون به الشعب ويخدرونه • وربما صح قول من قال : « الشعر أفيون العرب » •

---

(٦٠) عبدالرزاق أمين (المصدر السابق) ـ ج ١ ص ٥٤ ـ ٥٥ •

الفصل السادس

الـوزارة العسـكرية

كان نجاح عبدالمحسن السعدون في نفي الخالصي وتسفير المجتهدين قد رفع من مكانته عند الانكليز وجعله في نظرهم الرجـل الذي يمكن الاعتماد عليه في تمشية سياستهم من جهة وفي مقاومة مناورات الملك فيصل من الجهة الاخرى • وقد أحس الملك بالخطر الناجم من ذلك وبدأ يشعر بالغيرة من ارتفاع مكانة السعدون لدى الانكليز •

ومما زاد في قلق الملك ان المندوب السامي الجديد السـر هنري دوبس كان شديد الاعجاب بالسعدون ويرى فيه الرجل الذي يتمثل فيه نبل البداوة وبساطتها[1] • ولهذا أخذ الملك وأعوانه يبثون الاشاعات السيئـة ضد السعدون ، ويحاولون الانتقاص من شأنه في الاوساط الوطنية ويخلقون له المصاعب[2] •

ظل الملك طيلة صيف ١٩٢٣ يتحين الفرص لاسقاط وزارة السعدون• وفي أواخر تشرين الاول أثار أزمة وزارية بغية اسقاطها • كتبت المس بيل في ٣١ منه تقول : « ان الملك أثار في هذا اليوم أزمة وزارية كما هي عادته بين حين وآخر • ان الوزارة بوجه عام من أفضل ما يمكن الحصول عليه ، أما شكاوي الملك منها فهي في الغالب غير معقولة ••• »[3]

نشأت الازمة الوزارية من كتاب أرسله رستم حيدر باسم الملك الى مجلس الوزراء يقول فيه : ان الوزارة السعدونية قد تعهدت في بداية أمرها

---

(١) خيري أمين العمري (شخصيات عراقية) ـ بغداد ١٩٥٥ ـ ج١، ص ٤٩ ـ ٥٠ •

(٢) خيري العمري (حكايات سياسـية) ـ القاهرة ١٩٦٩ ص ١٩٩ •

(3) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2, p. 319.

بأنها ستعالج الضائقة الاقتصادية المسيطرة على البلاد ولكنها لم تفعل شيئاً سوى زيادة عبء الضرائب على عاتق الامة ، ولهذا فان جلالة الملك يطلب من الوزارة موافاته بأسرع ما يمكن من الوقت بالايضاح عما فكرت بـــ أو قامت به من الاعمال لدرء خطر الحالة الاقتصادية • وقد امتعض السعدون من هذا الكتاب واعتبره لوما من الملك على تقصـــير الوزارة في القيام بواجباتها ، فأرسل جوابا الى الملك يقول فيه : اذا كان جلالة الملك يعتبر الوزارة مقصرة في القيام بواجباتها فهي اذن لايسعها سوى تقديم استقالتها ، اما اذا كان الملك يريد الاستفهام حقا عما قامت به الوزارة لحل الازمـــة الاقتصادية فنسترحم من جلالته توقيف الكتاب المذكور وارسال كتاب آخر بدلا عنه • وعند وصول هذا الجواب الى الملك تراجع وأرسل الى السعدون يقول له معتذرا بأنه لم يقصد اللوم على تقصير الوزارة في اعمالها كمـا تبادر الى ذهن فخامتكم بل أراد لفت نظرها الى شدة الضائقة الاقتصـادية ووجوب مضاعفة الجهد في سبيل معالجتها[٤] •

لم يكد يمر على انتهاء الازمة الوزارية سوى اسبوعين حتى عادت من جديد ، وأخذ الملك يتصيد الاسباب لاسقاط الوزارة • تقول المس بيل في ١٤ تشرين الثاني : « في يوم الاثنين ذهبت لرؤية لعبة البـــولو للجيش العربي ، وكان الملك هناك فركبت في سيارته وحاولت اقناعه بعدم اسقاط الوزارة دون جدوى »[٥] •

اضطر السعدون الى تقديم استقالته في ١٥ تشرين الثاني • وأسرع الملك الى تكليف أحد رجاله الذين يعتمد عليهم – وهو جعفر العسكري – بتشكيل وزارة جديدة • وقد كان العسكري يومذاك متصرفا في الموصل ولم يكن قد مضى على تعيينه هناك سوى مدة قصيرة ، فوصلت اليه برقية من الملك تأمره بالعودة الى بغداد حالا •

---

(٤) عبدالرزاق الحسني (تاريخ الوزارات العراقية) – صيدا ١٩٦٥ – ج١ ص ١٤٤ – ١٤٥ •

(5) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 320.

تشكلت الوزارة العسكرية في ٢٦ تشرين الثاني ، فكان فيها علي جودت الايوبي وزيرا للداخلية ، ونوري السعيد وزيرا للدفاع ، وعبدالمحسن شلاش وزيرا للمالية ، وأحمد الفخري وزيرا للعدلية ، وصبيح نشأت وزيرا للمواصلات والاشغال • وفي نفس اليوم صدرت الارادة الملكية باسناد وزارة الاوقاف الى صالح باش اعيان • ولكن وزارة المعارف بقت شاغرة • فقد كانت النية متجهة نحو اسنادها الى رجل شيعي لكي يكون في الوزارة وزيران شيعيان بدلا من واحد • وبدأ البحث عن هذا الرجل •

يروي ساطع الحصري : ان الآراء كانت متضاربة حول الرجل الذى يتولى وزارة المعارف ، فاقترح علي جودت الايوبي اسم رجل من كربلاء يعرفه منذ كان فيها متصرفا هو محمد حسن أبو المحاسن ، ووصفه بأنه « فقير » أي انه مطواع لايميل الى مخالفة زملائه • وفي ٣ كانون الاول صدرت الارادة الملكية بتعيين أبو المحاسن وزيرا للمعارف • وقد تبين فيما بعد ان هذا الرجل ليس « فقيرا » كما كانوا يتصورونه بل كان من أكثر الوزراء اعتراضا ومخالفة[٦] •

يقول التقرير البريطاني المقدم الى عصبة الامم عن الوزارة العسكرية مانصه : « ان تشكيل الوزارة الجديدة أعطى للطائفة الشيعية فرصة للمصالحة كانت تتوق اليها سرا • وعندما اتضح ان الوزارة تضم وزيرين شيعيين ، أحدهما لوزارة المالية ، ذهب وفد من رؤساء الشيعة لمقابلة الملك وقدموا له بيانا أعربوا فيه عن يقينهم بأن الشيعة كانوا على خطأ في معارضة السياسة البريطانية وأنهم مصممون على تغيير جذري لموقفهم منها »[٧] •

---

(٦) ساطع الحصري (مذكراتي في العراق) ـ بيروت ١٩٦٧ ـ ج١ ص ٣٧١ ـ ٣٨٤ •

(7) Report on The Administration of IRAQ - 1923 - 1924 - p. 17.

لاحاجة بنا الى القول ان هذا الوفد الذى أشار اليه التقرير البريطاني لم يكن يمثل الشيعة حقا ، بل كان مؤلفا من اولئك الوجهاء والرؤساء الذين اعتادوا على مقابلة الحكام وعلى التفوه بما يرغب فيه الحكام من معسـول الكلام • وهم كانوا كثيرين في تلك الايام ـ ومازالوا !

المفاوضة مع المجتهدين :

كان السعدون ـ كما رأينا ـ شديد التصلب ضد المجتهدين لا يريد أن يتسامح في أمر عودتهم من ايران ، وكان الانكليز يؤيدونه فى ذلك ، بينما كان الملك على العكس منهم يريد الاتصال بالمجتهدين ومفاوضتهم من أجل اعادتهم ، ولعله انما أراد ذلك نكاية بالسعدون وتحديا له •

كتب السر برسي لورين من طهران في برقية منه الى لندن بتاريخ ٣٠ آب ١٩٢٣ يقول مانصه :

« سمعت الآن من مصادر ايرانية موثوقة ان قضية المجتهدين مـن المحتمل ان تسوى قريبا عن طريق محادثة مباشرة بينهم وبين رسولـين أرسلهما الملك اليهم في قم •• وقد حاول بعض الايرانيين بصـورة غير مباشرة جرّي للاشتراك في المحادثة حول الشروط التى يمكن ان تتم بها عودة المجتهدين ، ولكنني رفضت ان أفعل شيئا في هذا الخصوص وقلـت للشخص الذى جاء لمقابلتي اني لا أملك أي تخويل من الحكومة العراقية التي هى المسؤولة الرئيسة في هذا الامر للاشتراك في اية مفاوضة »[8]•

وفى اواسط تشرين الثاني ـ أي قبيل سقوط الوزارة السعدونية ـ وقعت في يـد الانكليز رسائل كان المجتهـدون قـد أرسلوهـا الـى وكلائهم فى العراق يقولون فيها ان الملك فيصل وعدهم بأمـور هـى : (١) اسقاط الوزارة السعدونية ، (٢) تشكيل وزارة شيعية برئاسة رجل شيعي ، (٣) اعادة جميع المجتهدين المنفيين الى العراق ، (٤) رفض المعاهدة

---

(٨) عن دائرة الوثائق العامة بلندن ـ رقم (أف• أو• ٣٧١ ـ ٩٠٤٨)•

وقال المجتهدون فى رسائلهم انهم بالرغم من عدم ثقتهم بوعود الملك قد ارسلوا طي رسائلهم فتوى موقعة من قبلهم ومختومة يعلنون فيها رفع التحريم عن الانتخاب فى حالة تحقيق الملك لوعوده . وعندما اطلع السر هنرى دوبس على هذه الرسائل ذهب الى الملك وقال له : ان لعبته مع المجتهدين لاتخلو من خطر وقد يستعملونها سلاحا ضده . وتقول المس بيل : ان الملك أخذ الامر بمرح وقال لدوبس ان المجتهدين قد بالغوا فى مطاليبهم وان من الممكن تركهم الآن يطهون حساءهم ببطء وانه سيقطع مفاوضاته معهم[9] .

قطع الملك مفاوضاته مع المجتهدين حسبما تعهد به لدوبس ، غير أنه أخذ يحرك على عادته بعض الجهات الوطنية للمطالبة باعادة المجتهدين لكي يتخذ ذلك ذريعة لفتح الموضوع من جديد مع دوبس . ففي ٦ كانون الاول ذكرت جريدة «الاستقلال» تقول ان فريقا من منوري العاصمة ومفكريها راجعوها فأبدوا شكرهم للحكومة الحاضرة لعزمها على اعادة الشيخ مهدى الخالصي وزملائه المجتهدين ، كما أظهروا استبشارهم بحسن نوايا الحكومة ، وهم ينتظرون تأييد أقوالها بالافعال . وفى ١٠ منه عادت الجريدة فذكرت ان عدة رسائل وردتها من الحلة والنجف وكربلاء وفيها يشكر اصحابها الوزارة الجديدة على عزمها على اعادة حجة الاسلام الخالصي وبقية العلماء الاعلام ، وهم يأملون أن تتحقق هذه الآمال .

وعلى اى حال فقد استطاع الملك فى اوائل شباط ١٩٢٤ أن يتفاهم مع دوبس حول اعادة المجتهدين على اساس ان الانتخابات اوشكت على الانتهاء ولم يبق هناك أي سبب للتصلب ضد عودتهم . وقد ورد في التقرير البريطانى المقدم الى عصبة الامم حول هذا الموضوع ما نصه :

« تقرر في شباط ١٩٢٤ بعد موافقة المندوب السامى ان ليس هناك

(9) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 321 .

ما يمنع عودة المجتهدين ، ماعدا الشيخ مهدى ، بشرط أن يتعهدوا للملك بأنهم سوف يتجنبون التدخل فى السياسة • فان نفيهم وان كان باختيارهم قد أدى الى حصول نفور شديد بين الحكومتين الايرانية والعراقية ، وان سيل الطلبة والزوار من ايران قد توقف ، فأنتج ذلك ضائقة مالية في العتبات المقدسة ، وفى جهاز السكك الحديدية أيضا • وهناك علاوة على ذلك شعور بأن قدرة المجتهدين على الشر قد اقتلعت من جذورها من جراء عملهم الاحمق في الاحتجاج وما تلاه من ندم ••• ان الحكومة العراقية تستحق التهنئة على موقفها الصلب الذى انتهى بانتصارها على رجال الدين الايرانيين المشاغبين •••»[١٠] •

اجتمع الملك مع دوبس فى ٩ شباط للتفاهم حول الخطة التى يجب اتباعها لاعادة المجتهدين • فقد كان دوبس يخشى ان يعود المجتهدون الى العراق ، او يكونوا عند الحدود ، قبل افتتاح المجلس التأسيسي الذى كان مقررا في أواسط شهر آذار • ولهذا حصل الاتفاق بينهما على ان يرسل الملك الى المجتهدين يخبرهم بأنهم يجب ان لايغادروا قم قبل وصول رسالة من الملك تأذن لهم بدخول العراق ، أما اذا وصلوا الى الحدود قبل وصول الاذن لهم فسوف ترفض الحكومة العراقية دخولهم • وقد قدّر الملك مع دوبس طول المدة التى يستغرقها وصول الرسالة وعودة جوابها ، بالاضافة الى تدقيق التعهد الذى يقدمه المجتهدون ، فوجدوا ان ذلك لايقل عن ستة أسابيع وهى مدة كافية لان يكون المجلس التأسيسى قد تم افتتاحه قبل وصولهم[١١] •

وبعد ان تم الاتفاق بين الملك والمندوب السامى على ذلك حصل ما ادى الى عرقلة المفاوضات مع المجتهدين ، فقد كان المجتهدون يريدون ان

---

(10) Report on The Administration of IRAQ - 1923 - 1924 - p. 13.

(١١) محمد مظفر الأدهمي (المجلس التاسيسي العراقي) ــ رسالة جامعية غير مطبوعة ــ ج٢ ص ٥٦١ •

يعود الخالصي معهم بينما كان الملك والمندوب السامي يخشيان من عودة الخالصي ويصران على عدم السماح بها على اى حال • وقد ورد في تقرير للاستخبارات العراقية مؤرخ في ٥ آذار مانصه :

« ان الاتصال مع المجتهدين في ايران حول الشروط التى يمكنهم العودة بها الى العراق ••• قد أصابه التأخر • وقد وصلت منهم رسائل يحتجون فيها حيث يقولون ان من العار عليهم أن يعودوا من غير ان يكون الشيخ الخالصى معهم ، وقد خوطب الملك في هذا الموضوع ولكنه ظل ثابتا • وأرسلت برقية الى المجتهدين في هذا الشأن كما ان الشيخ جواد الجواهرى كتب الى المرزا حسين النايينى يرجو منه ومن زملائه أن يغتنموا هذه الفرصة والا فانهم سيفقدون مكانتهم فى العراق تلك المكانة التى أخذ مجتهدون آخرون يستحوذون عليها سريعا • ومن ناحية أخرى كان آل الخالصي يضغطون على المجتهدين لاقناعهم بأن لا يعودوا بدون الشيخ مهدى • ويقول الملك ان رضا خان أبرق اليه برغبته فى عودة المجتهدين بالشروط المعروضة عليهم ، وان الشيخ جواد والمرزا مهدي سيغادران بغداد الى قم في ١ آذار يصحبهما السيد باقر واحد العين مندوبا عن الملك • وسيحمل هذا معه مسودة التعهد التى يجب أن يوقع عليها المجتهدون ، ثم يأتي بها معه أو يرسلها الى بغداد عندما يعين الملك اليوم الذي يعود المجتهدون فيه الى العراق »[١٢] •

وفي ١ آذار سافر الى ايران الشيخ جواد الجواهري والمرزا مهدي الخراساني ومعهما السيد باقر واحد العين[١٣] • وقد بذل هؤلاء جهدا كبيرا في اقناع المجتهدين بالعودة الى العراق بدون الخالصى ونجحوا في ذلك • والمظنون ان رضا خان كان يؤيدهم فى مسعاهم ، فقد اشارت إحدى الوثائق البريطانية السرية الى ان رضا خان كان ينصح المجتهدين

(١٢) عن دائرة الوثائق العامة بلندن ــ رقم (أف• آو• ٣٧١ ــ ١٠١٤٧)•
(١٣) ان السيد باقر هذا هو الذى عرف فيما بعد بلقب « سركشيك » • وكان قبلئذ يلقب باللقب المذكور في الوثائق ، أي « واحد العين » ، وهو لقب والده •

بالعودة دون أن يهتموا بالخالصي وكان يقول لهم ان الخالصي رجل سخيف خالي من التعقل وأنه آلة بيد ابنه الشيخ محمد(١٤) .

عودة المجتهدين :

كتب المجتهدون تعهدا يذكرون فيه أنهم لن يتدخلوا في السياسة العراقية بعد الآن . وقد عثرت في وثائق البلاط الملكي على اربع رسائل موجهة الى الملك وهي بتوقيع كل من السيد أبو الحسن الاصفهاني والمرزا حسين النابيني والسيد عبدالحسين الطباطبائي والسيد حسن الطباطبائي . وهي كلها بنص واحد تقريبا ، والمظنون انها تضمنت التعهد المطلوب منهم . نكتفي هنا بنقل رسالة الاصفهاني فقط ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة جلالة ملك العراق أيد الله ملكه وسلطانه

بعد السلام عليكم والسؤال عن أحوالكم ورحمة الله وبركاته نعرض ان كتابكم المؤرخ ٢٦ رجب المرسل مع حجتي الاسلام جناب الشيخ جواد صاحب الجواهر وجناب ميرزا مهدي آية الله زاده دامت بركاتهما أخذته بكمال الاحترام وكما ذكرتموه فيه وأودعتموه في مطاويه صار معلوم لدينا ولقد أفادا بما دار بينكم من الشؤون وبيان الاسباب الموجبة الى تأخير حركتنا وطلب جلالتكم المؤازرة وكذلك المحروس السيد باقر سركشيك أقام بواجبه وبلغ خطاباته الشفاهية هذا وان كنا قد أخذنا على عاتقنا عدم المداخلة في الامور السياسية والاعتزال عن كلما يطلبه العراقيون ولسنا بمسؤولين عن ذلك ، وانما المسؤل عن مقتضيات الشعب وسياسته جلالتكم لكن المؤازرة للملوكية الهاشمية حسبما تقتضيه الديانة الاسلامية ذلك من مبدئنا الاسلامي وأما ما أمرتم من توحيد الكلمة وتوطيد عرى الصداقة بين

---

(١٤) عن دائرة الوثائق العامة بلندن ـ رقم (أف٠ أو٠ ٣٧١ ـ ١٠١٤٧) .

ايران والعراق فذلك من وظائفنا الدينية وحينما دخلنا ايران لن نزل نبذل الجهد في ذلك وسوف تظهر نتيجة اعمالنا المبرورة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢١ شعبان سنة ١٣٤٢ — الاحقر أبو الحسن الموسوى الاصفهاني[١٥]

(المهر)

وفي ٥ نيسان كتب الشيخ جواد الجواهري والمرزا مهدى الخراساني رسالة الى الملك يعلنان فيها نجاح مهمتهما . وهذا نصها :

بسم الله تعـــالى

حضرة جلالة ملك العراق أيده الله تعالى وخلد ملكه وسلطانه .

بعد السلام عليكم والسؤال عن أحوالكم ورحمة الله وبركاته نعرض أنا في كمال الشوق الى تلك الشمائل الحسينية حفظها وأيدها رب البرية . ثم نعرض ان الاخ السيد باقر بعد الوصول الى قم مضى الى طهران وقابل حضرة رئيس الوزراء دام اقباله وأفاد فى البلوغ وأجاد فى المحاورة وعقـد المودة بين الحكومة العربية والايرانية وكثير أظهر رئيس الوزراء الامتنان من جلالتكم واحترم السيد باقر من أجل نسبته الى جلالتكم ومن أجـل لياقته وحسن تأديبه لما أمرتموه به ولازم يعرض لجلالتكم التفصيل . ثم سيدى نعرض ابلاغ سلام الآيتين السيد والميرزا دام ظلهما لمقامكم السامى وتفصيل جوابهما بعد أن عرضنا لخدمتهما ان صاحب الجلالة يقول اكبر هدية ارغب اليها اعتراف حكومة ايران برسمية الحكومة العربية قالا دام ظلهما اننا قبل مجيئكما تكلمنا بهذا المطلب وكان النبأ بعد انعقاد المجلس يعطى القرار بذلك وقد أوعز الى اغلب الوكلاء بذلك ... وحيث اننـا نفتخر بالحكومة العربية ولا سيما ملكها المؤيد من الدوحة الهاشمية ونرى ان العراق وطننا وحكومته حكومتنا وملكها ملكنا نأمل الزيادة فى الحكومة

(١٥) عن وثائق البلاط الملكي ــ رقم التسلسل ٣ ، رقم الوثيقة ٥٩ .

العراقية وبذلك ترتفع رؤوسنا وجلالتكم سيد العارفين ثم ان مدير الأمن العام الايرانى الذى هو الآن بخدمة العلماء العظام ارسل لمقابلتكم وهـــو يحمل الوداد من قبل رئيس الحكومة الايرانية لجلالتكم ويكون مع العلماء الى النجف الاشرف وانشاء الله تعالى تتوفق للتشرف بخدمتكم ونعـــرض التفاصيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

٢٩ شعبان ١٣٤٣

الداعي مهدي الخراساني	جواد نجل المرحوم صاحب
(الخاتم)	الجواهر قدس سره(١٦)
	(الخاتم)

وفي صباح ٢١ نيسان وصل المجتهدون الى خانقين يرافقهم السردار رفعت مدير الأمن العام الايراني • وكانت البلدة قد استعدت لاستقبالهم فزينت شوارعها بالاعلام العربية وسعف النخيل • وكان فى استقبالهـــم الشيخ محمد حسن أبو المحاسن وزير المعارف، وتحسين العسكري نيابة عن وزير الداخلية ، وحسام الدين جمعة ممثلا عن الشرطة لمرافقة السردار رفعت • وبات المجتهدون تلك الليلة فى خانقين ثم ركبوا القطار في الصباح التالي متوجهين الى بغداد • وحينما وصلوا الى محطة بعقوبة نزلوا للصلاة وكان فى استقبالهم هناك عبدالمحسن شلاش وزير المالية والشيخ جـــواد الشبيبي وآخرون •

اجتمع عند محطة القطار في باب المعظم ببغداد جمهور كبير مـــن أهالي بغداد والكاظمية ووفود من الالوية • وقد نصبت الخيام هنالـــك استعدادا لاستقبال المجتهدين عند وصولهم بالقطار • وحين اقترب القطار من الجمهور ارتفعت اصواتهم بالتهليل والتكبير وأخذوا يتطلعون الى القطار توقعا لوقوفه • ولكنهم فوجئوا بأن القطار لم يتوقف بل ظل مستمرا في

---

(١٦) عن وثائق البلاط الملكي ــ رقم التسلسل ٣ ، رقم الوثيقة ٥٥ •

سيره • ولم يتوقف القطار الا عند شاطىء النهر على مقربة من بيت رئيس الوزراء ، وكان هناك الوزراء في استقباله كما كان مندوب الملك صفوت العوا وغيرهم[17] • ومن هناك عبر القطار نهر دجلة بواسطة « العبارة » ثم سار بهم الى كربلاء •••

عودة المحمدين :

كان السيد محمد الصدر والشيخ محمد الخالصي قد نفيا الى ايران في آب ١٩٢٢ على نحو ماذكرناه في الفصل الرابع • والمعروف عن هذين الرجلين انهما غير متحابين ، ولهذا لم يكونا على وفاق عند وصولهما الى طهران ، وقد جرت بينهما أمور ليس هنا مجال ذكرها •

كان الشيخ محمد الخالصي فى طهران كثير الدأب على محاربة الانكليز ، وقيل انه اتصل بالبلاشفة للتعاون معهم على ذلك • أما السيد محمد الصدر فتشير بعض القرائن الى أنه أخذ يتصل بالملك فيصل بغية تسهيل عودته الى العراق •

أخذت جريدة « الاستقلال » منذ أواخر ١٩٢٣ تشير الى ان السيد محمد الصدر قد تردت صحته في طهران لعدم ملائمة المناخ له • وفي ٣٠ كانون الاول ١٩٢٣ ذكرت الجريدة ان وفدا من شبيبة العاصمة قابلوا الملك وعرضوا عليه حالة الصدر الصحية ، وان الملك أبدى أسفه وأعلن عن رغبته في عودة الصدر الى العراق ولكنه قال ان الصدر تماهل في اعطاء التعهد الذى يؤخذ عادة من المنفيين ، وهذا هو سبب تأخر عودته ، ولولا ذلك لعاد منذ مدة • وفى ٩ آذار ١٩٢٤ نشرت الجريدة خبرا تحت عنوان : « قدوم زعيم خطير ــ السيد محمد صدر الدين » قالت فيه : « امتلأت الافئدة سرورا وعلا البشر وجوه الوطنيين عامة ، واهالى الكاظمية خاصة ، حينما ذاع خبر عودة الزعيم الكبير من ايران الى وطنه العراق » • وفي ٢٦ منه نشرت الجريدة تقول : ان السيد محمد الصدر قد تضررت

---

(١٧) جريدة « العالم العربى » ــ في عددها الصادر في ٢٤ نيسان ١٩٢٤•

صحته كثيرا فى الشتاء المنصرم ، وان الاطباء في طهران حظروا عليه البقاء فيها ، ولهذا فقد صمم على العودة الى العراق نهائيا ، وان الحكومة العراقية لاتعارض في ذلك فالبشرى للوطنيين ولوالده الجليل الامام العلامة .

وفى ٢٩ أيار ذكرت جريدة « العالم العربى » ان السيد محمد الصدر سوف يصل الى بغداد في صباح الغد ، وان لجنة قد تشكلت لاستقباله . ونشرت الجريدة منهاج الاستقبال الذى وضعته اللجنة حيث تقرر أن يذهب محمد حسن حبة الى خانقين لاستقباله باسم اللجنة ، وان يذهب عبدالحميد كنة الى بعقوبة ، وأن يصطف تلاميذ المدارس الاهلية لتحيته عند وصوله الى محطة باب المعظم ، ويلقي عبدالمجيد زيدان بين يديه كلمة ترحيبية بالنيابة عن اللجنة .

وصل الصدر الى بغداد في الوقت المحدد وجرى له في المحطة استقبال كبير . ولما وصل الى داره في الكاظمية غصت الدار بالمهنئين ، وألقى بعض الشعراء قصائد في مدحه والترحيب به كان من بينها قصيدة الشيخ راضي آل ياسين ، وهذا مطلعها :

أزعيم العراق طال الفراق ولكم مل من نواك العراق

لوحظ ان الصدر اخذ بعد عودته الى العراق يسلك طريقاً في السياسة يختلف عن الطريق الذي كان يسلكه من قبل . انه طريق «الايجاب» بدلاً من طريق «السلب» — على حد تعبير كاتب سيرته عباس علي . فقد قال الكاتب في ذلك ما نصه : « عاد سماحته بعد المدة التي قضاها في طهران ليتبوأ مكانه في قيادة الجبهة الوطنية بمواهبه الملهمة وعقله النفاذ ، وكان في هذه المرحلة أقرب الى سياسة الايجاب منه الى سياسة السلب لأنه رآها بعدئذ أنجح في الوصول الى ما يريد لهذا الوطن من العزة والسيادة والاستقلال »[١٨] .

وعلى أي حال فقد قوبل هذا التحول في سلوك الصدر بامتعاض وانتقاد شديد من قبل الكثيرين في الكاظمية وغيرها . انهم اعتادوا ان يجعلوا

---

(١٨) عباس علي (زعيم الثورة العراقية) — بغداد ١٩٥٠ — ص ١٥٨ .

المعارضة مرادفة للوطنية ، فالمعارض هو الوطني عندهم واذا ترك المعارضة أصبح في نظرهم خائناً .

تلك هي قصة السيد محمد الصدر ، أما الشيخ محمد الخالصي فله قصة أخرى . فهو قد عاد الى الكاظمية فجأة في مساء ١٦ نيسان ١٩٣٢ ، والظاهر انه دخل العراق على غفلة من الحكومة . ولم يكد ينتشر خبر وصوله في الكاظمية في صباح اليوم التالي حتى صار الناس يتهافتون على مدرسة الخالصي للسلام عليه ، فكانوا يمرون عليه صفوفاً ، وهو واقف يستقبلهم عند باب الفناء الداخلي للمدرسة ، فيقبل كل واحد منهم يده ويمشي ليفسح المجال للذي يليه .

ولكن الشيخ محمد لم يبق في الكاظمية سوى ثلاثة أيام . ففي ظهر ١٩ نيسان ، عندما كان عائداً الى بيته بعد اداء صلاة الظهر في الجامع الصفوي ، اعترض طريقه مفوض من الشرطة وقال له ان وزير الداخلية ومدير الشرطة ومتصرف بغداد يريدون مقابلته الآن في بغداد للمداولة معه في أمر مهم . فطلب الشيخ من المفوض مهلة صغيرة لكي يتناول طعام الغداء في بيته ، فسمح المفوض له بذلك ، ولكنه عندما وجده قد تأخر في البيت دخل عليه وطلب منه الاسراع في الخروج معه . ثم سار به الى مركز السراي ببغداد . وقد ذهب وراءه جمع من أهل الكاظمية كما انضم اليهم في بغداد جمع آخر من البغداديين . وبعد اجراء التحقيق معه أركب سيارة برفقة مفوض واثنين من أفراد الشرطة المسلحين ، وسارت به السيارة باتجاه بعقوبة فخانقين . وقد حاول بعض الأهالي التجمهر لمنع السيارة من الحركة ، فقاومتهم الشرطة ، وصاح بهم أحد الضباط منتهراً ثم أخذ يضربهم بالعصا ، فتفرقوا .(١٩)

وعندما وصل الشيخ محمد الى الحدود الايرانية أعيد اليه جواز سفره ومعه كتاب رسمي صادر من وزارة الداخلية هذا نصه : « بما أن الشخص الاجنبي المسمى الشيخ محمد بن الشيخ مهدي الخالصي والمثبتة صفاته أدناه ينطبق عليه منطوق الفقرة (ج) من المادة الحادية عشرة من

---

(١٩) نقلا عن مذكرات الشيخ محمد الخالصي المخطوطة .

قانون الاقامة العراقي لسنة ١٩٢٣ ، وبما أنه لا يُرغب في بقاء الشخص المذكور في القطر العراقي ، فعليه نحن وزير الداخلية عملاً بالصلاحية التي تخولنا اياها المادة المذكورة من قانون الاقامة العراقي لسنة ١٩٢٣ نأمر بابعاد الشخص المذكور الى ما وراء الحدود العراقية وان يبقى خارجا عنها ما لم يصدر من لدينا أمر يخالفه ـ صدر عن ديوان وزارة الداخلية في ٢٠ نيسان ١٩٣٢ ـ التوقيع : ناجي شوكت » •

ظل الشيخ محمد الخالصي في ايران حتى عام ١٩٤٩ • وقد لقي هناك من حكومة رضا شاه اضطهادا وعنتا وابعادا • ثم اقتضت السياسة في العراق أخيراً السماح بعودته ، فعاد الى العراق ، واستقبل من الحدود استقبالاً رسمياً وشعبياً • وقد تهافت الناس عليه في أول مجيئه وأحبوه وأعجبوا به ، ولكنهم أخذوا ينفضون عنه شيئاً فشيئاً • وسوف نتحدث عن قصة تهافتهم عليه ثم انفضاضهم عنه في جزء قادم من هذا الكتاب •

سير الانتخابات :

كانت الوزارة السعدونية قد شرعت باجراء الانتخابات للمجلس التأسيسي منذ ١٢ تموز ١٩٢٣ ، وظلت عملية الانتخابات مستمرة في عهد الوزارة العسكرية • والملاحظ ان الفتاوى التي كان المجتهدون قد أصدروها سابقاً في تحريم الانتخاب احدثت بعض الاثر في عدد من المدن كالنجف وكربلاء والحلة والكاظمية والحي • وكان أكبر أثر لها قد حصل في النجف حيث عقد اجتماع سري حضره الكثير من النجفيين كان على رأسهم عبدالكريم الجزائري وجواد الجواهري ومحمد علي بحر العلوم ومحسن شلاش وعباس الكليدار وهادي النقيب ، وقرروا مقاطعة الانتخابات ، ووقعوا مضبطة في ذلك ، ولم يمتنع عن التوقيع منهم سوى الكليدار[٢٠] • وفي ٢٨ تموز أرسل قائمقام النجف الى متصرف كربلا كتابا يذكر فيه العوامل التي أدت الى عرقلة سير الانتخاب في النجف وهي :

اولا : شرود البعض من المرشحين للهيئة التفتيشية الى الخارج وترك

(٢٠) محمد مظفر الادهمي (المصدر السابق) ـ ج٢ ص ٤٨١ ـ ٤٨٣ •

رفاقهم في موقع حرج لم يستيطعوا أن يقتحموه خوفاً من انفعال الرأي العام منهم ومؤاخذته أياهم ٠

ثانيا : انتظارهم للنتائج التي تحصل في المواقع التابعة للمذهب الجعفري من أمر الانتخابات كي لا يكونوا هم المباشرون ابتدائياً لهذا الأمر ويلاموا بعدئذٍ عليه ٠

ثالثا : مجاهرة قسم من المرشحين للهيئة التفتيشية بالمخالفة للانتخابات واخلالهم لافكار البسطاء الذين يخشون سوء العواقب ، واذكر من هؤلاء المجاهرين بالمخالفة خاصة السيد حسين كمال الدين مدير مدرسة الغري فان هذا الرجل على جانب من التطرف حقاً في معاكسته لآمال الحكومة ومضاد لغاياتها ٠ ولو لم يقصد لهذه الاعمال لكانت الانتخابات قد خطت خطوة مهمة في سبيل سيرها ، ولهذا أرجو أن تسمحوا بجلب المومى اليه، وابقائه في مركز اللواء ريثما تكمل الانتخابات على شرط أن يمنع اختلاطه مع أي كان خوفا من أن يذيع أفكاره الضارة بين ذوى الافكار الضعيفة ويؤثر عليهم ...[21]

أرادت الحكومة ارسال قوة عسكرية الى النجف ولكن مولود مخلص أبرق اليها في ٥ آب ينصحها بعدم ارسال القوة لان ذلك من شأنه اثارة الانتباه ٠ وفي ٩ آب ذهب مولود مخلص بنفسه الى النجف واستطاع أن يذلل الصعوبات المعرقلة لسير الانتخابات[22] ٠

ومما يلفت النظر انه بينما كان الصراع ناشبا فى النجف على نحو ما ذكرناه ، كان هناك صراع من نوع آخر بين الملك والمندوب السامي حول سير الانتخابات في بعض المناطق ولا سيما في بغداد والموصل وبعض نواحي الدليم ٠ فقد بلغ المندوب السامي ان الملك يشجع في تلك المناطق من طرف خفي بعض المرشحين المعروفين لعدائهم للانكليز ٠ وفي ٣١ آب أرسل المندوب السامي الى كورنواليس كتاباً جاء فيه ما نصه :

---

(٢١) عبدالرحيم محمد علي (النجف والمجلس التأسيسي) ـ في مجلة « الرابطة » النجفية ـ في عددها الصادر في ايلول ١٩٧٥ ٠

(٢٢) محمد مظفر الادهمي (المصدر السابق) ـ ج٢ ص ٤٨١ ـ ٤٨٣ ٠

« ... اني أسمع من منابع مختلفة بأن الرأي السائد هو أن جلالة الملك يرغب في اكثرية للمتطرفين في المجلس ، وان مثل هذه الاكثرية سترفض تصديق المعاهدة . فاذا كانت هذه النتيجة تظهر فعلاً للوجود فانها طبعاً ستؤدي الى المصائب ، واني أرى من واجبي أن أنذر حكومة جلالة الملك فيصل رسمياً عما أعتقد حدوثه محتملاً ، هذا اذا لم يتغير جريان الأحوال في الاسبوع القادم » .

كان هذا بمثابة انذار للملك . وحين اطلع الملك عليه أجاب عليه موجهاً كلامه الى كورنواليس حيث قال :

« ... أنت يا عزيزي لاشك عالم تمام العلم بالجهود العظيمة التي بذلتها في سبيل نجاح الانتخابات ، وواقفاً تماماً على الأعمال التي قمت بها في جميع الامكنة والاندية التي زرتها مؤخراً للغاية نفسها ، والله أعلم انه لم يكن لي غاية من وراء المساعي التي بذلتها في سبيل تشجيع الانتخابات الا أن تكون المعاهدة في النتيجة مؤيدة بأغلبية سكان البلاد الساحقة ، ولقد اعترضتني مصاعب جمة في هذا السبيل فلم أحفل بها لأنني كنت ولا أزال معتقداً بأن التصديق على المعاهدة قوام لهذه المملكة ، وان أعمالي انما ترمي الى تحقيق واجب مقدس يهون دونه كل عسير ، ومن أجل هذا الواجب أبعدنا العلماء ، وفي سبيله تحملت ما تحملت من المشاق وقمت بسياحات عديدة لم تكن نتائجها سيئة على ما أعتقد بل أدت الى اقدام أهل الموصل على الانتخابات بعد أن كان قسم منهم مقاطعا لها وقسم آخر متردد في أمرها ، ثم الى التحاق قسم من شيعة المدن ، ويمكنني أن أقول جميع قبائلهم ، بالانتخابات رغم الفتاوي المعلومة . ولابد أنك تذكر قولي لك قبل مدة أنه يجب أن نستوثق بكل عضو من أعضاء المجلس قبل أن ينتخب وذلك لكي نكون في مأمن تام عند تصديق المعاهدة ، وان كل من يرشح شخصاً منا يجب عليه أن يكون أميناً منه ومسؤولاً عن رأيه في المجلس ... » . ثم اختتم الملك رسالته بقوله : انه متألم جداً أن يتسرب الى ذهن فخامة المندوب السامي أقل شبهة باخلاصي لبلادي ولصديقتي بريطانيا ، أو أني اسعى لنقض عهد اعتبره قوام الحياة لمملكتي المهددة من جميع أطرافها .

حين اطلع المندوب السامي على هذا الجواب كتب يعرب عن أسفه لأن الملك أساء فهمه ، وقال انه ليس لديه ريب في نوايا الملك تجاه المعاهدة ولكن هناك جمهوراً كبيراً من العامة يعتقدون ان الملك يؤيد المرشحين المعارضين للمعاهدة ، ولابد ان هذا الاعتقاد سيزول منهم سريعاً اذا اطلعوا على رغبة الحكومة الحقيقية بصورة دائمة(٢٣) .

افتتاح المجلس التأسيسي :

بعد ان انتهت الانتخابات تقرر أن يكون افتتاح المجلس التأسيسي في يوم ٢٧ آذار ١٩٢٤ . وقد اختلفت الآراء في أول الأمر حول مقر المجلس ، فارتأى بعضهم أن يكون المقر في بناية مدرسة الصنائع التي بناها مدحت باشا في ١٨٧٠ والتي تقع على دجلة قرب نادي الضباط بين القلعة والقشلة ، ولكن مجلس الوزراء لم يوافق على هذا الرأي . واقترح وزير الداخلية أن تكون بناية سينما رويال الواقعة في محلة باب الأغا مقراً للمجلس ، فلم يلق اقتراحه هذا قبولاً . واستقر الرأي أخيراً على بناية « مستشفى الغرباء » التي بناها مدحت باشا على شاطىء دجلة في جانب الكرخ ، فأجريت عليها الترميمات والاضافات اللازمة استعداداً ليوم الافتتاح .

وقد اعتبر يوم افتتاح المجلس عطلة رسمية ، وأمرت وزارة الداخلية جميع متصرفي الألوية باقامة المهرجانات احتفاءاً به ، كما طلب مجلس الوزراء من امانة العاصمة تزيين مدينة بغداد ليلاً ونهاراً . وخفضت محكوميات المسجونين وأطلق سراح بعضهم .

وقبل يوم الافتتاح أقام الملك مأدبة غداء في قصره دعا اليها أعضاء المجلس ، وقد أقسم الاعضاء بالولاء للملك وللبلاد . وكانت هناك مشكلة تقلق بالهم هي انتخاب رئيس المجلس فقد كان الانكليز يريدون أن يكون عبدالمحسن السعدون رئيساً ، بينما كان الملك يريد ياسين الهاشمي . كتبت المس بيل في مساء ٢٦ آذار – أي في الليلة التي سبقت افتتاح المجلس – تقول ما نصه :

---

(٢٣) المصدر السابق – ج٢ ص ٥٣٠ – ٥٣٤ .

« اكتب هذا في منتصف الليل ، وأنا غير قادرة على النوم • ففي يوم الاثنين كان هناك دعوة للغداء في قصر الملك ، وقد جلست بجانب الملك فوجدته متألقاً • انه أنجز عملاً رائعاً مع أعضاء المجلس اذ هم أقسموا بالولاء له وللبلاد في ذلك اليوم • وغداً سوف يفتتح المجلس في الساعة العاشرة ، وقد كان لدينا يوم مليء بالانزعاجات والتحركات حول قضية رئاسة المجلس • فاذا لم ينتخبوا محسن بك فلن يكون ذلك حسناً ، ولكن جعفر يغير فكره مرة كل ربع ساعة ويؤثر على الملك • وقد أخبرت الجميع بأنهم يجب أن ينتخبوا محسن ، أما البقية فهي في عهدة الآلهة • انها مثل لعبة القناني الخشبية ، فانت تشغل نفسك بطرف واحد من الترتيب ثم تلتفت لترى أن الطرف الآخر قد انهار » •[٢٤]

وفي صباح اليوم المعين للافتتاح اصطف عدد من الجنود في الشارع المؤدي الى المجلس لاداء التحية للملك عند قدومه ، كما اصطف تلاميذ المدارس • وازدحمت الجماهير على الجانبين كما هي عادتهم بغية التفرج • وفي الساعة التاسعة بدأ اعضاء المجلس يتوافدون تباعاً • وعندما اقتربت الساعة العاشرة وصل قائد القوات البريطانية بصحبة المندوب السامي • وفي العاشرة تماما وصل الموكب الملكي وكان الملك ممتطيا سيارته الحمراء المكشوفة وهو بلباسه العربي متقلداً سيفاً من ذهب وفي حزامه خنجر من ذهب أيضاً ، فعجت الجماهير بالتصفيق ، كما عزفت موسيقى الجيش تحية له وأطلقت المدافع •

وحين دخل الملك الى قاعة المجلس وقف الاعضاء له احتراماً ، ثم ألقى الملك خطاب العرش عبّر فيه عن غبطته لافتتاح أول مجلس شورى في العراق وقال ان هناك ثلاثة أمور جوهرية على المجلس أن يبت فيها وهي : (١) تصديق المعاهدة (٢) سن الدستور (٣) سن قانون الانتخاب

(24) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 336.

للمجلس النيابي • ودعا الملك في خطابه أعضاء المجلس الى تصديق المعاهدة لان عليها يتوقف حل المسائل الحيوية لبلادنا بمعونة الحكومة البريطانية وعصبة الأمم • ثم أشار بعد ذلك الى الدستور حيث وصفه قائلا :

« أن أحكام الاسلام مؤسسة على الشورى ، وأعظم ما ارتكبته الطوائف الاسلامية من الخطيئات حيادها عن قوله تعالى : وأمرهم شورى بينهم • فعلى كل مسلم يعلم ما يأمر به دينه أن يؤيد هذا الحكم الآلهي ، وكل تكاسل عنه مخالفة لأمر الله ، فاتباعاً لهذا الأمر الجليل ، واقتداءاً بالامم العريقة في الحضارة ، وعملاً برغبات الأمة العراقية ، ندعوكم أيها النواب الكرام الى سن هذا القانون ، ووضع نظام الانتخاب للمجلس النيابي ••• »[٢٥] •

وحين انتهى الملك من القاء خطابه غادر القاعة ، فترأس جعفر العسكري الجلسة موقتاً من أجل انتخاب رئيس المجلس • وعند فرز الاصوات تبين ان السعدون قد حصل على خمسين صوتاً بينما حصل الهاشمي على ثلاثة وعشرين صوتاً ، وحصل ابراهيم الحيدري على ثمانية أصوات • فصعد السعدون على منصة الرئاسة وشكر أعضاء المجلس على ثقتهم به كما شكر بريطانيا لوفائها بعهدها في تسهيل اجتماع المجلس •

كانت المس بيل قد حضرت حفلة الافتتاح ، وكتبت بعد ذلك تصف ما جرى فيها فقالت : ان الملك القى خطاباً رائعاً ولكنه كان عند القائه عصبياً جداً • ثم وصفت اللحظة التي تم فيها انتخاب السعدون بأنها لحظة مثيرة ، وأشارت الى ظاهرة طريفة حدثت في أثناء الانتخاب اذ قالت : ان بعض شيوخ العشائر الذين كانوا جالسين أمامنا حملوا أوراق تصويتهم وهي موجهة نحونا قبل أن يلقوها في صندوق الانتخاب وذلك لكي يظهروا لنا أنهم كتبوا اسم السعدون عليها •[٢٦]

---

(٢٥) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ج ١ ص ١٦٨ ـ ١٦٩ •
(26) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 336.

المعارضة من جديد :

تقرر أن ينظر المجلس في أمر تصديق المعاهدة قبل النظر في سن الدستور • وقد لوحظ ان هذا أمر لا ينسجم مع الأصول الدستورية في البلاد الديمقراطية اذ لا يصح النظر في تصديق معاهدة مع دولة أجنبية قبل تحديد وضع البلاد من حيث شكل الحكومة فيها وتحديد سلطاتها المختلفة •وعلى أي حال فقد تم الاتفاق بين الملك والانكليز على تقديم أمر المعاهدة لاهميتها بالنسبة لوضع العراق الخاص •

ومن الجدير بالذكر ان الانكليز كانوا متفائلين من ناحية المعاهدة يحسبون ان المجلس سوف يصادق عليها بسرعة وان ليس هناك معارضة بعد الذي جرى من تسفير المجتهدين في عهد الوزارة السابقة[٢٧] • اضف الى ذلك ان معظم أعضاء المجلس كانوا موضع اطمئنان الانكليز ، ولا سيما شيوخ العشائر الذين يبلغ عددهم في المجلس أربعين ، اذ هم كانوا قد اجتمعوا قبل افتتاح المجلس وتعاهدوا فيما بينهم على تأييد المعاهدة وعلى أن لا يقوم أي منهم بعمل مخالف من دون موافقة الجميع[٢٨] •

ادرك الانكليز بعد قليل انهم كانوا في تفاؤلهم واهمين ، فقد تبين لهم ان المعارضة قادرة أن تنهض من جديد وبقوة اكبر ، وان الكثيرين من الأعضاء الذين كانوا موضع اطمئنانهم سيكونون من زعماء المعارضة او المشجعين لها على الاقل •

ظهرت أولى بوادر المعارضة على لسان ناجي السويدي وذلك على أثر تقديم المعاهدة الى المجلس في ٢ نيسان ، فقد قدم السويدي حينذاك اقتراحاً قال فيه : ان المعاهدة يجب أن تعلن على الشعب الذي هو الواسطة الوحيدة للبت فيها ، وان النواب لا يجوز لهم ان ينظروا في المعاهدة الا

---

(27) Elie Kedourie (Chatham House Version) - London 1970 · p. 265.

(٢٨) فيليب آيرلاند (العراق) ــ ترجمة جعفر الخياط ــ بيروت ١٩٤٩ ــ ص ٣١٠ •

بعد أن يطلعوا على رأي الشعب لأنهم مجبورون على العمل برأي الشعب وطبق أمانيه ورغباته • وحين عرض اقتراح السويدي هذا في التصويت قبله المجلس(٢٩) •

يمكن القول ان هذا الاقتراح قد حكم على المعاهدة منذ البداية بالرفض • فالمعاهدة اذا عرضت على الشعب حسبما اقترحه السويدي فان ذلك بطبيعته لابد أن يثير في أوساط المثقفين حركة مضادة للمعاهدة ، وهؤلاء سيحركون الجماهير ، وعند هذا لابد أن تنتقل عدوى المعارضة الى داخل المجلس ، فيأخذ بعض النواب بانتقاد المعاهدة طمعاً بهتاف الجماهير ، ويقوم نواب آخرون بمباراتهم في ذلك ، وبذا ينقسم النواب في نظر الجماهير الى فريقين متضادين : وطنيين وخونة • وقد ينتهي الأمر الى رفض المعاهدة باكثرية الاصوات •

ان هذا الذي ذكرناه قد حصل فعلاً • ففي ٦ نيسان ـ أي بعد أربعة ايام من ادلاء ناجي السويدي باقتراحه ـ نشرت جريدة «الاستقلال» مقالاً افتتاحياً بعنوان « الى المحامين من أبناء الرافدين » وهو مذيل بتوقيع «س» والمظنون انه المحامي داود السعدي ، وقد أشار فيه الى ما لوحظ من هدوء المحامين في هذه الأيام التاريخية التي يبت فيها مجلس الأمة في مصير الوطن ، كما أشار الى ان المحامين في كل بلاد العالم لهم القدح المعلى في الكفاح في سبيل أوطانهم • ثم قال يخاطب المحامين : ان الوطن يلفظ آخر نفس له ، وعليكم أن تقوموا بواجبكم المقدس وان تشاركوا أعضاء المجلس في السراء والضراء ، فالشعب يرقب جهودكم بفارغ الصبر •

وفي ٩ نيسان تقدم داود السعدي ورشيد رشدي بطلب الى متصرف بغداد لعقد اجتماع في فندق الهلال الواقع في محلة الميدان من أجل تكريم النواب والاستماع الى كلمات بعض المحامين حول السياسة العامة للبلاد • وقد وافق المتصرف على الطلب في أول الأمر ثم سحب موافقته بعدئذ على

(٢٩) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ج١ ص ١٧١ •

أثر ايعاز صدر اليه من وزارة الداخلية • وفي اليوم التالي أثار النائب عبدالرزاق الرويشدي هذا الموضوع في المجلس وطلب من الحكومة السماح بعقد الاجتماع للاطلاع على رأي المحامين الذين هم اختصاصيون في القانون ولهم وقوف تام على مواد المعاهدة • فقام نوري السعيد طالباً غلق الموضوع لأن النظر في المعاهدة من شأن أعضاء المجلس وحدهم وليس لأحد غيرهم حق الاشتراك فيه • فقام النائب صالح شكارة يرد على نوري السعيد قائلا ان المعاهدة تخص الشعب بأجمعه وان من الواجب على المجلس أن يتفاهم مع الشعب على صفحات الجرائد وفي الاجتماعات • وبعد مناقشة حادة بين النواب في هذا الموضوع تقرر احالته الى رئاسة المجلس للتحقيق فيه • وفي الجلسة التالية أعلن ياسين الهاشمي ان التحقيق أظهر ان الحكومة لم تمنع الاجتماع بل طلبت تأجيله • ثم أعلن السعدون بصفته رئيس المجلس ان المسألة انتهت وأنه لا مانع للمحامين من دعوة النواب والاجتماع بهم •

قرر المحامون عقد الاجتماع في ١٧ نيسان في سينما رويال بدلاً من فندق الهلال ، وأن يكون في الساعة الثانية بعد غروب الشمس لأن الوقت كان في شهر رمضان • وفي صباح ذلك اليوم طلعت جريدة « العراق » وفيها حديث لنوري السعيد اعترف فيه بمساوىء المعاهده ولكنه قال أن تصديق المعاهدة بالرغم من ذلك سيؤدي الى تثبيت كيان العراق السياسي، أما رفضها فسيقذف بالبلاد في هوة يعلم كل منا حق العلم ما وراءها من خيبة آمالنا القومية وضياع جميع الجهود العظيمة التي بذلتها أمتنا حتى اليوم • وكان نوري السعيد يقصد من ذلك أن رفض المعاهدة يؤدي الى ضياع منطقة الموصل التي تطالب بها تركيا وغير ذلك من الأخطار التي تهدد البلاد من جميع جوانبها •

وقد تم عقد الاجتماع في الوقت المحدد ، وحضره أعضاء المجلس وعدد كبير من المحامين والوجهاء والمثقفين ، حتى غصت بهم قاعة السينما • وافتتحت الحفلة بنشيد حماسي من تلامذة مدرسة «التفيض» الاهلية ، ثم قام داود السعدي فألقي كلمة رحب فيها بالمدعويين وشرح الوضع السياسي

ثم قال : ايها النواب اعتقدوا ان الأمة العراقية واقفة أمامكم موقف المتهم بجريمة كبرى وهو في الواقع برىء ، وهي تنتظر منكم القرار أما بموتها أو ببراءتها • فقوبلت كلمته ـ حسبما روته جريدة « العالم العربي » ـ بتصفيق حاد وضجة عظيمة وهتاف عالي • ثم أعقبه المحامي شفيق نوري السعيدي فتلا بصوت حماسي عالي بياناً للمحامين يتضمن انتقاداً شديداً للمعاهدة وتظلماً من بعض بنودها • ثم نهض ياسين الهاشمي ليتكلم بالنيابة عن أعضاء المجلس ، وقال يخاطب المحامين : بالله عليكم كثروا من مثل هذا الاجتماع في كل وقت عصيب ، ثم قال : « أقسمنا على الصدق والاخلاص لمملكتنا وملكنا مهما كانت القيود والتهديدات الشديدة » • فقوبلت كلمته بالتصفيق العجاج والهتاف(٣٠) •

وصفت المس بيل في احدى رسائلها الاجتماع الذي عقد في سينما رويال فقالت ما نصه : « ان جماعة من المحامين الأوغاد الذين لا ممارسة لهم أقاموا حفلة دعوا فيها النواب ، وألقى اثنان من هؤلاء الحمير الصغار خطباً عنيفة ضد الانكليز بوجه عام ، وضد المعاهدة بوجه خاص ، ووصفوا المعاهدة بما ليس فيها مثل ان الفرد الانكليزي لا يمكن توقيفه في العراق في حالة خرقه للقانون • وأخذ الحاضرون يضربون صدورهم عند هذا • وتكلم ياسين الهاشمي فشكر المحامين على دعوتهم ثم أضاف قائلاً اننا يجب أن لا ننسى ان بريطانيا هي الصديقة الوحيدة للعراق • ولكن هذا القول لا ينفع الهاشمي شيئاً لأنه كان المحرك لاقامة هذه الحفلة في البداية، وهو الآن يريد تهدئتها ، لكي يكون له قدم في كلا الجانبين(٣١) » •

اسلوب المعارضة :

ان المعارضة الجديدة تختلف عن سابقتها بالاسلوب • ففي عهد المعارضة السابقة كان يكفي للمجتهدين أن يصدروا فتاويهم في تحريم

(٣٠) جريدة « العالم العربي » ـ في عددها الصادر في ٢٠ نيسان ١٩٢٤•
(31) Burgoyne (op. cit.) vol. 2, p. 340

أمر من أمور السياسة ، وكانت تلك الفتاوي ذات تأثير كبير على الناس لان المخالف لها ينال نبذاً واحتقاراً اجتماعياً بالاضافة الى ما ينتظره في الآخرة من عذاب مقيم ، أما الآن فقد صارت المعارضة الجديدة تستعمل أسلوباً آخر مستمد من طبيعة الدنيا وليس للآخرة فيه نصيب ، اذ هي لجأت الى الارهاب تارة والى النخوة العشائرية تارة أخرى •

يقول توفيق الفكيكي في مذكراته ، وكان يومذاك طالباً في الحقوق : انه كان وزملاؤه الطلاب يذهبون الى بيوت بعض النواب البارزين يستعملون معهم طرق النخوة المعروفة لدى العشائر ، كعقد الكوفية او الامتناع عن شرب القهوة ، وقد فعلوا ذلك مع سالم الخيون وزامل المناع وسلمان الظاهر • ويروى الفكيكي عن سالم الخيون ان الملك فيصل سأله فيما بعد : « ما الذي حملك على رفض المعاهدة بعد ما آنست منك الموافقة ؟ » فأجاب سالم الخيون : « سيدي أحرجني طالب قصير من طلاب الحقوق يدعى توفيق الفكيكي ، حيث امتنع هو ورفقاؤه من شرب قهوتي، ولم يكتف بذلك بل عقد كفيتي على الطريقة العشائرية فاضطررت أن أتعهد له برفض المعاهدة • ويظهر ان هذا الطالب عليم بتقاليد العرب »(٣٢) •

وأخذت المعارضة تستخدم النساء والصبيان للتأثير على النواب • حدثني عبدالهادي الظاهر : أن عبدالغفور البدري كان يأتي بالنساء الاعرابيات من ذوات الشخصية القوية ، يجمعهن من بعض المحلات كالبوشبل والدوزبين ، ويرسلهن الى بيوت الشيوخ من النواب ، فاذا دخلت احداهن على الشيخ صرخت في وجهه على الطريقة العشائرية : « على بختك يا أبو فلان ، تبيعونا للصوجر ، ألف وسفة عليكم » • وكثيراً ما كانت هذه الطريقة تؤثر في الشيوخ لأنها تمس أوتار قلوبهم البدوية •

كتبت المس بيل في ٤ حزيران تقول ان عجيل الياور جاء لرؤيتها في هذا الصباح وقال لها : « خاتون ، جئتك لأخبرك بأن ليس على وجه

---

(٣٢) عبدالله الجبوري (توفيق الفكيكي) ـ بغداد ١٩٧١ ـ ص ٣٨ـ٣٩ •

الارض قوة قادرة على جعل المجلس يصادق على المعاهدة • فأنت لا تدرين ماذا يجري في المدينة ، فهناك أمام بيتي يقف ليلاً ونهاراً شخص من أهل السوق • انه ليس كبيرا في السن بل صبي رث الملابس • وفي كل مرة أدخل الى البيت أو أخرج منه يتلقاني هذا الصبي فيمسك بيدي لتقبيلها ، أو يقبل عباءتي أو طرف قبائي ، ثم يبكي قائلا : ايها الشيخ ، يا والدي ، أرفض المعاهدة ، لا تبيعنا الى الانكليز • انه لا يعرف محتوى المعاهدة • وقد استؤجر لكي يقف عند باب بيتي ويقول ما يقول ••• » ثم يختتم عجيل الياور كلامه بقوله : « اذا كان أمام بيتي واحد ، فان هناك ثلاثة أو أربعة أمام بيت كل عضو من أعضاء المجلس » •[٣٣]

محاولة اغتيال :

كتبت المس بيل في رسالة لها تقول : ان كورنواليس تلفن لها في صباح ١٨ نيسان وأخبرها ان شيوخ العشائر المؤيدين للمعاهدة نقص عددهم الى ستة فقط ، وهم حاضرون عنده الآن ويريدون اصدار تصريح يؤيدون به المعاهدة بلا مبالاة بما يفعله الشيوخ الآخرون الاشرار • ثم قال كورنواليس وهو متضجر : ان الأمور يجب أن نبدأ بها من جديد ، ويجب أن نؤلف حزباً من شيوخ العشائر تكون نواته من هؤلاء الستة[٣٤] •

لم نعرف من هؤلاء الستة الذين كانوا يؤيدون المعاهدة سوى اثنين هما عداي الجريان وسلمان البراك • وقد كان هذا الرجلان في الواقع جريئين في اعلان تأييدهما للمعاهدة لا يخافان أحداً أو يكترثان للرأي العام •

والظاهر ان المعارضة صممت على ارهاب هذين الشيخين لتجعل منهما عبرة لغيرهما • ففي الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر ٢٠ نيسان بينما كان الشيخان يسيران معاً عائدين الى بيتهما المشترك ـ الواقع في محلة باب الأغا قرب سينما رويال ـ أطلق شخصان مجهولان النار

(33) Burgoyne (op. cit.) vol. 2, p. 343

(34) Ibid. - vol. 2, p. 340.

عليهما ، فأصيب عداي في ذراعه ، وسلمان في ساقه ، ولكن اصابتهما لم تكن خطرة ، ونقلا حالاً الى المستشفى • وقد تأجلت جلسة المجلس في اليوم التالي استياءاً من الحادثة • وعلقت المس بيل على الحادثة تقول : « من مزايا سياستنا في العراق انهم حين يختلفون فيما بينهم يطلقون النار بعضهم على بعض ، وليس علينا ، والا كنت أنا المصابة بدلاً من عداي»(٣٥) •

أسرعت الشرطة فألقت القبض على واحد وعشرين شخصاً من رجال المعارضة كان من بينهم : داود السعدي وشفيق نوري السعيدي ورشيد رشدي وعلي محمود الشيخ علي وعوني النقشلي وأنور النقشلي وسامي النقشلي ومحمد عبدالحسين وعبدالرزاق الحسني ورشيد الصوفي وعبدالهادي الظاهر وتوفيق الفكيكي وصادق حبه ونصرت الفارسي وفخري الطبقجلي وعبدالرحمن خضر وطالب مشتاق ومحي الدين أبو الخطاب وهاشم السعدي وعبدالمجيد زيدان وقاسم العلوي وغيرهم • كما أمرت وزارة الداخلية باغلاق جريدتي « الاستقلال » و « الشعب » •

عرض المقبوض عليهم على عداي الجريان وسلمان البراك لكي يتعرفا من بينهم على الشخصين اللذين أطلقا النار عليهما • فأشار سلمان الى علي محمود الشيخ علي وقال انه أحد الشخصين ، ثم أشار الى عوني النقشلي وقال انه الثاني ولكنه قال انه غير متأكد منه • وقد تحقق فيما بعد ان سلمان كان مخطئاً في تشخيصه • وقيل في حينه ان الفاعلين الحقيقيين هما شاكر القرغولي وعبدالله سرية ، وكانا قبل هذا بشهرين قد اغتالا توفيق الخالدي كما هو معروف •

وفي ٢٣ نيسان أطلق حاكم التحقيق سراح اثني عشر من المقبوض عليهم • وفي ٢٥ منه أطلق سراح رجل آخر منهم هو عبدالرحمن خضر • أما الباقون فلم يطلق سراحهم الا في ٢ أيار • وقد حدثني عبدالهادي

(35) Ibid, vol. 2, p. 340 - 341.

الظاهر بان شاكر القرغولي وعبدالله سرية أرسلا الى المقبوض عليهم قبل اطلاق سراحهم يقولان لهم : لا تخافوا فنحن مستعدان للاعتراف عند اللزوم بأننا نحن اللذان أطلقنا الرصاص على عداي الجريان وسلمان البراك •

وعلى أي حال فان تلك الحادثة أدت الى انتشار الرعب بين النواب ، وصار بعضهم يخشى أن يأتي دوره بعد سلمان البراك وعداي الجريان • ولهذا أخذ عدد النواب الذين يحضرون المجلس يتناقص بمرور الأيام حتى بلغ عدد الحاضرين في جلسة ١٠ أيار ثلاثة وخمسين فقط مع العلم ان عدد النواب كلهم يبلغ المائة ، كما أخذ بعض النواب يقدمون استقالاتهم من عضوية المجلس ، وصرح أحدهم أنه يريد الاستقالة بسبب التهديدات المستمرة من الرسائل غير الموقعة والاعلانات التي كانت تلصق في الاسواق[٣٦] •

كتبت المس بيل في ٢١ أيار حول صديقها الحاج ناجي وهو أحد النواب المعروفين بتأييدهم للمعاهدة ، فقالت : « ذهبت لزيارة عزيزي العجوز فوجدته في هياج مكبوت • انه كان متأكداً بأن دوره هو التالي ويقول ان كل انسان يظن ذلك • فان بيته البعيد وتنقلاته الرتيبة تجعل الاعتداء عليه سهلاً • واني حاولت تسليته ولكني عند عودتي كنت قلقة عليه جداً • فاتصلت بكورنواليس لكي يحيطه بحماية من الشرطة ، واذا لم يفعل ذلك فأني سأذهب الى الحاج ناجي وأسكن معه فترة من الزمن ولا أسمح له بالمجيء الى بغداد الا معي • واتفقنا في الرأي على أنهم لا يطلقون عليه النار ما دمت أنا معه في أرجح الظن »[٣٧] •

سلوك الهاشمي :

كان سلوك الهاشمي في تلك الآونة يصح أن نصفه بالازدواج ، فهو

---

(٣٦) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) ــ ص ٣١١ •
(37) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 342.

في الظاهر كان معارضاً للمعاهدة وكان حين يجتمع بالمحامين الذين تزعموا المعارضة يشجعهم ويبارك عملهم ، ولكنه عندما يختلي بالملك أو بالانكليز أو ببعض اصحابه الذين يطمئن منهم يحمد المعاهدة وربما وصفها بأنها خير ما يمكن الحصول عليه[٣٨] •

هناك في تفسير هذا السلوك المزدوج من الهاشمي رأيان ، أحدهما يقول بان الهاشمي انما فعل ذلك بالتفاهم مع الملك وذلك للاستفادة من المعارضة في تخفيف وطأة بعض المواد في المعاهدة وتعديلها لمصلحة البلاد[٣٩] • والرأي الثاني يقول بأن الهاشمي كان يريد بمعارضته الوصول الى الحكم •

يبدو ان جعفر العسكري كان يذهب الى الرأي الثاني في تفسير سلوك الهاشمي • فهو كان يشعر بان المعارضة خرجت عن حدها واصبحت لاتطاق ، وانها تستهدف ابعاده عن الحكم لكي يتولاه الهاشمي • وقد أيد هذا الشعور لديه ان الهاشمي طالما أعلن أمام الملك والمندوب السامي ان الوزارة العسكرية غير مسيطرة على المجلس كأنه يعني بذلك انه وحده القادر على اقناع المجلس بتصديق المعاهدة •

وفي أوائل أيار بادر جعفر العسكري بتقديم استقالته الى الملك ، وبعد أن استشار الملك المندوب السامي استدعى اليه الهاشمي وكلفه بتشكيل وزارة جديدة • فطلب الهاشمي مهلة أربع وعشرين ساعة لدراسة الوضع، واتصل خلال هذه المهلة بالمندوب السامي طالبا منه تعديل بعض مواد المعاهدة من أجل تسهيل تصديقها في المجلس ، ولكن المندوب السامي رفض طلبه • واضطر الهاشمي اخيرا الى الاعتذار عن تشكيل وزارة جديدة غير أنه أعطى وعدا للملك بان لجنة تدقيق المعاهدة التي يرأسها سوف تقدم تقريرا الى المجلس في صالح المعاهدة • فاقتنع العسكري بالاستمرار

---

(٣٨) خيري أمين العمري (شخصيات عراقية) — ج١ ص ١٠٩ •
(٣٩) علي جودت (ذكريات) — بيروت ١٩٦٧ — ص ١٧٢ •

في رئاسة الوزارة حتى يتم تصديق المعاهدة(٤٠) •

ومما يلفت النظر ان الهاشمي كان في تلك الآونة يتحبب الى المس بيل بغية اكتساب ثقتها من جديد بعد ما فقد تلك الثقة على نحو ماذكرناه سابقا • كتبت المس بيل في ٢١ أيار تقول في وصف الهاشمي مانصه :

« ان لديه وصمات داكنة ولكني مع ذلك أحبه • انه يملك جاذبية ويعطي الانسان احساسا بالقوة • وقد ذهبت لزيارته في بيته قبل اسبوعين بمناسبة العيد ، فرحب بي ترحيبا لم اجده في اي بيت آخر ، واصر على مصاحبتي لرؤية زوجته وبناته الصغيرات الثلاث • ان حياته العائلية جميلة ، وإني أظن ان من النادر أن نجد في بغداد رجلا يتمتع بمثل هذه الحياة العائلية »(٤١) •

المعروف عن الهاشمي ان حياته العائلية لم تكن كما تصورتها المس بيل ، فقد كانت المناقرة بينه وبين زوجته متصلة ، وكان هو دائم التذمر منها • والمظنون أنه أظهر حياته العائلية للمس بيل بتلك الصورة الجميله لكي يؤثر عليها نفسيا ويجعلها تميل اليه • ويبدو انه نجح في ذلك نجاحا غير قليل •

في ٢٠ أيار قدم الهاشمي تقرير اللجنة المكلفة بتدقيق المعاهدة الى المجلس ، وقال يصف المعاهدة : « وجدنا فيها ما يمس بسيادتنا ويخل بحقوقنا ويضعف استقلالنا » ، وطلب من المجلس رفضها اذا لم تجر عليها التعديلات المطلوبة • فكانت تلك مفاجأة غير متوقعة للملك وللمندوب السامي وللوزارة(٤٢) • ولكن المس بيل حين قدمت تقريرها الى المندوب السامي حول ماجرى في المجلس قالت : انهم سيشهدون منظرا عجيبا حين

---

(٤٠) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) ـ ص ٣١٢ •
(41) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 342.

(٤٢) سامي عبدالحافظ القيسي (ياسين الهاشمي) ـ رسالة جامعية غير مطبوعة ـ ص ١٣٢ ، ١٣٥

يتم تصديق المعاهدة على يد ياسين الهاشمي(٤٣) .

تفاقم الازمة :

أجمع رأي المعارضة في داخل المجلس وخارجه على وجوب تعديل المعاهدة قبل تصديقها . وفي ٢٦ أيار قدم المندوب السامي الى الملك شبه انذار يقول فيه ان موعد الجلسة القادمة لمجلس عصبة الامم هو ١١ حزيران ، واذا لم تصدق المعاهدة قبل ذلك فان الحكومة البريطانية تفكر في أن تعرض على مجلس العصبة ترتيبا آخر عوضا عن المعاهدة(٤٤) .

وفي ٢٧ أيار قدم وزير المعارف محمد حسن أبو المحاسن استقالته من الوزارة بسبب اختلافه مع زملائه الوزراء حول وجوب تعديل المعاهدة قبل عرضها على المجلس . ويروي ساطع الحصري طريفة في هذا الصدد هي ان رئيس الوزراء قال للوزير ابو المحاسن قبل استقالته : « انك تكثر من مخالفتنا .. والعادة ان الوزير الذي لايتفق مع زملائه ينسحب ويستقيل .. فأرى انه يجب عليك أن تستقيل .. » فرد أبو المحاسن عليه قائلا : « أنا لا استقيل ـ أنت استقيل .. »(٤٥) .

كان يوم ٢٩ أيار يوما صاخبا في بغداد ، فقد كان المقرر ان يقوم المجلس في ذلك اليوم بالنظر في أمر المعاهدة نهائيا أما أن يصادق عليها او يرفضها . وقد استعدت المعارضة لهذا اليوم وعبأت الرأي العام له وأعدت الجماهير .

ولما طلع النهار في ذلك اليوم عم الاضراب في الكثير من الاسواق ، وتجمهر الناس في جانب الكرخ حول بناية المجلس وهم يهتفون : « ليحيى سالم الخيون » ، « ليحيى رجال الوطن » ، « ليحيى الاستقلال » ، « لاتمهروا المعاهدة لاتمضوها » .. وقد حاول رجال الشرطة اسكاتهم وتهدئتهم ولكنهم

---

(43) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 342.

(٤٤) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ج١ ص ١٨٣ .

(٤٥) ساطع الحصري (المصدر السابق) ـ ج١ ص ٣٨٤ .

ازدادوا صراخا وهتافا[٤٦] • ومن الطرائف التى تروى في هذا الصدد ان صبيح نشأت وزير المواصلات والاشغال كان قادما بسيارته الى المجلس فأحاط بسيارته الجمهور وازدحموا عليه ومنعوا سيارته من السير وهم يهتفون « تسقط المعاهدة » • فأخذ يهتف معهم بسقوط المعاهدة ليتخلص منهم ، فطلبوا منه قول شرف بأنه سوف لايصدق المعاهدة ، فصاح مؤيدا لهم : « لعنة على أمه وأبوه كل من يصدق المعاهدة ! » ولم يتخلص منهم الا بجهد جهيد •

وعندما اشتد الهياج خارج المجلس خرج بعض النواب يرجون من الجمهور الهدوء ، كما خرج رئيس المجلس يرجوهم كذلك ، فلم يؤثر ذلك فيهم شيئاً • ولما اراد الشرطة تفريقهم أخذوا يقذفون الشرطة بالحجارة ، وحاول بعضهم الدخول الى قاعة المجلس ، فاستدعى نوري السعيد قوة من الجنود الخيالة لمساعدة الشرطة فى تفريق المتجمهرين ، وأطلق هؤلاء النار في الهواء في أول الامر ثم اضطروا الى اطلاق النار على المتجمهرين فأحدثت فيهم بعض الاصابات الخفيفة • ودخل بعض الجنود وهم يحملون الرشاشات الى داخل المجلس وكاد يحدث تصادم بينهم وبين الرجال المسلحين الذين كانوا قد جاؤوا بصحبة سالم الخيون وغيره من رؤساء العشائر •

وكانت مناقشات المجلس فى ذلك اليوم لاتخلو من حماس ، وقد برز فيها سالم الخيون بخطبته المثيرة للنخوة على الطريقة العشائرية ، كما برز رايح العطية وغيره • ثم تأجلت الجلسة الى يوم ٣١ أيار •

وعندما أريد عقد الجلسة في ٣١ أيار تبين ان كثيرا من النواب غائبون• وتأخر جرس البدء بالجلسة ساعة كاملة • وحين دق الجرس أخيرا ظهر ان النصاب غير مكتمل إذ كان عدد الحاضرين تسعة وأربعين فقط مما اضطر الرئيس الى تأجيل الجلسة الى ٢ حزيران •

---

(٤٦) محمد مظفر الادهمي (المصدر السابق) — ج٢ ص ٦٤٣ •

وبينما كان النواب يهمون بالخروج من قاعة المجلس شاهدوا المندوب السامي قادما ومعه كورنواليس ، فكانت تلك مفاجأة لهم • وذهبوا جميعا الى غرفة الاستراحة وأخذ دوبس يتحدث اليهم محاولا اقناعهم بقبول المعاهدة فأشار الى محادثات السر برسي كوكس في اسطنبول حول قضية الموصل وقال ان الاتراك كانوا متساهلين فيها ولكنهم عندما بلغهم ما جرى في المجلس تغيروا وأخذوا يطالبون بولاية الموصل • ثم قال دوبس ان التعديل الذى يطلبه النواب للمعاهدة ممكن ولكن بعد تصديقها ، ثم تناول ورقة وكتب عليها هذه العبارة : « ان الحكومة البريطانية مستعدة للنظر في تعديل الاتفاقيتين المالية والعسكرية بما يتفق والسخاء المعروف عن الشعب الانكليزي ، ما دامت المادة الثامنة عشرة من المعاهدة نفسها جوزت هذا التعديل على أن يكون بعد الابرام » • وبعد ان انتهى دوبس من كتابة الورقة سلمها الى رئيس المجلس، ثم خرج مع صاحبه كورنواليس ••[47]•

مباراة خطابية :

ظن دوبس انه عندما تحدث الى النواب أقنعهم وانهم سيسرعون الى تصديق المعاهدة بلا تردد • واتضح فيما بعد انهم ازدادوا اصرارا على وجوب تعديل المعاهدة وصاروا يشتدون في خطبهم الحماسية في المجلس يوما بعد يوم •

من يطلع على محاضر جلسات المجلس التى عقدت بعد ٣١ أيار يجد نفسه كأنه في مباراة خطابية حيث كان كل واحد من النواب يحاول أن يتفوق على زملائه بما يظهر من حماسة وطنية وجرأة فى الكلام • لقد كان أكثر النواب في تلك الايام واقعين تحت تأثير الحماسة العامة التى كانت مشحونة بالنقمة على المعاهدة وتعد تصديقها خيانة للوطن • فكان النائب الذى يتحمس في شجب المعاهدة تحيطه الجماهير بهالة من التقدير ويصبح فى نظرهم وطنيا غيورا ويجري ذكره الطيب على كل لسان • وكانت شرفات المستمعين فى المجلس تغص عادة بروادها ، وهؤلاء كانوا يراقبون

(٤٧) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ج١ ص ١٨٠ •

النواب ليبدوا اعجابهم بمن يعارض المعاهدة منهم ويلعنوا المؤيد لها • وكان النائب الذي يتكلم لايبالي الا بصدى كلامه بين المستمعين وما سوف ينقله المستمعون الى الجماهير خارج المجلس من أقاويل المدح والذم •

عندما عقد المجلس التأسيسي جلسته في ٢ حزيران ، تكلم رؤوف الجادرجي وعمر العلوان وعبدالرزاق منير وصالح شكارة ومحمد حسن حيدر وأحمد الشيخ داود ، فهاجموا المعاهدة هجوما عنيفا وهاجم بعضهم بريطانيا معها • فقد قال محمد حسن حيدر مثلاً : ان اعطاء زمام البلاد لأجنبي هي خيانة وان الخيانة تعني خسران الدين والشرف والعيش الحر • وقال أحمد الشيخ داود يصف المعاهدة بأنها « ضربة قاضية على استقلالنا مميتة لشعبنا مهدمة لكياننا السياسي » ، ثم ختم كلامه قائلا : « ان ما أملي علينا في هذه المعاهدة لا يمكن أن يطلق عليه تعبير تعاهد دولي بل هو صك استعباد واستعمار (تصفيق) ، فعليه أطلب من اخواني أن يقوموا ويصوتوا برد المعاهدة الى الحكومة• قوموا سألتكم بالله »• وكان يقصد من ذلك ان تنتهي الجلسة ويترك النواب القاعة ، فاعترض رئيس المجلس على ذلك قائلاً ان انتهاء الجلسة يجب أن لا يكون الا بعد التصويت ، فرد سالم الخيون عليه بأن الاكثرية قد حصلت بخصوص اعادة المعاهدة الى الحكومة• وحدث من جراء ذلك جدال انتهى بتأجيل الجلسة الى اليوم التالي •

وفي اليوم التالي كان الحماس أشد مما كان بالأمس ، وكان من أوائل المتكلمين عبدالرزاق الرويشدي وشعلان أبو الجون وسالم الخيون• وكانت كلمة سالم عاطفية مليئة بالاشعار ، وقال يصف نفسه وزملاءه شيوخ العشائر انهم يمثلون الاكثرية في البلاد وأنهم أهل الحل والعقد وهم الذين ضحوا بأنفسهم واشتروا البلاد بدمائهم ودماء آبائهم ، « فهيهات أن نقبل المعاهدة التي جاءت لتستعبدنا (تصفيق) ، فأصرح بأن المعاهدة مردودة الى الحكومة » ، ثم قال انه يعتبر التراجع عن مطلب تعديل المعاهدة عاراً • وكان يشير بذلك الى ناجي السويدي الذي انشق عن المعارضة في ذلك الوقت بعدما كان هو البادىء بها •

كان نوري السعيد الوحيد من بين النواب الذي أبدى رأيه علناً في تأييد المعاهدة دون أن يخشى نقمة الجمهور عليه . والظاهر أن له جمهوراً آخر يهتم به غير الجمهور الذي كان يهتم به بقية النواب . فقد قام يدافع عن المعاهدة قائلاً : اني اعترف بأنها تؤدي الى تقييد استقلال البلاد ولكن ذلك لا يعني عدم الاستقلال ، فان السلاح الحديث تملكه الدول الكبرى ، والسعي للاستقلال بدون سلاح غير ممكن . فقام حسن الشبوط يرد عليه قائلاً : ان الاتفاقية المالية تقيد استقلال العراق فكيف له أن يتسلح وليس لديه مال !؟

وعند هذا قدم بعض نواب الشمال تقريراً قرأه عنهم محمد شريف بك نائب أربيل مفاده انهم يستنكفون من ابداء رأيهم في المعاهدة اذا لم تؤجل المذاكرة فيها الى حين حسم قضية الموصل . وقال محمد شريف بك انه علم بان الاتراك يلحون في طلب الحاق الموصل بهم حتى جبال حمرين ، وهو لذلك يرجو من الملك والمندوب السامي أن يهتما بابقاء منطقة الموصل مع العراق والا فالمنطقة تصبح في خطر . فقام أحمد الشيخ داود مؤكداً أن لا علاقة بين المعاهدة وقضية الموصل الا اذا أرادت بريطانيا أن تشدد على المجلس وتؤثر عليه عن طريق هذه القضية . وقام زامل المناع فأخذ يتحمس قائلاً ان العراق لا خوف عليه في حالة رفض بريطانية مساعدته، فهو قادر على منازلة ابن سعود ، والايرانيون يهابون العرب ، أما الاتراك فهم مقيدون بقيود دولية وهم اذا أصروا على معاداة العرب فان العرب قادرون على صدهم . ولهذا فهو يصر على تعديل المعاهدة .

ثم تكلم عمر العلوان وآصف قاسم أغا وعبدالواحد الحاج سكر ومحمد حسن حيدر وحبيب الخيزران ، ضاربين على هذا الوتر . ومما قاله محمد حسن حيدر : « أقسم بالله لو صدقت هذه المعاهدة فلن تكون هناك صداقة » . وأخذ حبيب الخيزران يهدد بقيام ثورة في حالة اصرار بريطانيا على عدم تعديل المعاهدة ، ثم قال ان بريطانيا لن تتخلى عن الموصل

لانها منبع النفط الثمين ، وان المنافع التي تتوخى بريطانيا الحصول عليها من العراق مرتبطة بدفاعها عنه .

وقد استمرت المناقشات على هذا المنوال في الجلسات التالية التي عقدت في ٥ و ٧ و ٩ حزيران . ولوحظ ان عبدالمحسن السعدون كان في رئاسته للمجلس يشجع النواب المعارضين من طرف خفي ، ويسمح لهم بابداء الحماس كما يحبون . والمظنون انه فعل ذلك نكاية بالملك وصاحبه جعفر العسكري .

كتبت المس بيل تعلق على ما يجري في المجلس قائلة : « اتفقت مع كورنواليس في الرأي على اننا اقترفنا غلطة . وقد أدركنا ان من العبث أن نطلب من أناس غير مثقفين سياسيا ان يتخذوا قرارا حيوياً عن طريق نوابهم في أمر يخص مستقبلهم . فان عوامل الجهل والطمع الشخصي والعداء الأعمى سيكون لها أثرها المباشر في القرار ، وتكون القضية عند ذلك على درجة من الغموض بحيث لا يستطيع صاحبها أن يرى طريقه »[٤٨] .

حملة الجرائد الموالية :

كان في بغداد يومذاك ثلاث جرائد موالية للانكليز ، أولها جريدة « الأوقات البغدادية » وهي التي كان الانكليز يصدرونها ، والثانية جريدة «العراق» لصاحبها رزوق غنام الذي كان عضواً في المجلس التأسيسي ومعروفاً بتأييده للسلطة ، أما الثالثة فهي جريدة «المفيد» لصاحبها ابراهيم حلمي العمر ، وكان هذا من قبل معدودا من الصحافيين المعارضين ولكنه بدّل موقفه أخيراً .

كانت هذه الجرائد تدعو الى تصديق المعاهدة قبل تعديلها . ففي ٢٦ أيار نشرت جريدة «المفيد» مقالاً بعنوان « الوطن في خطر ، ايـن المنقذون » ، طالبت فيه بتحكيم العقل قبل العاطفة ، ووازنت بين خطر رفض

(48) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 343

المعاهدة وضرر ابرامها وأوضحت ان الخطر الذي ينتج عن رفض المعاهدة جسيم من جراء جلاء الانكليز عن العراق وحرمان العراق من معاضدتهم في قضية الموصل وخلو البلاد من الكثير من المقومات لحياة الدولة الحديثة. أما الضرر الذي ينتج عن ابرام المعاهدة فلا يستمر سوى أربع سنوات وهي مدة المعاهدة كما ورد في ملحقها . وهاجمت الجريدة أولئك الذين يقولون ان بريطانيا لن تتخلى عن العراق ولن تجلو عنه في حالة رفض المجلس للمعاهدة .

وفي ٣ حزيران نشرت «المفيد» مقالاً بعنوان « الموقف الغامض » حذرت فيه من خطر رفض المعاهدة فيما يتعلق بقضية الموصل وقالت : « ونحن اذا بذلنا النصح في هذا الشأن فليس لاننا لا نعترف بما في المعاهدة وذيولها من القيود الثقيلة بل لاننا نعتقد أن خطر الرفض أعظم بكثير من خطر الابرام ولاننا لا نريد أن نختار أهون السبيلين ، وعلى الذين يخالفوننا في هذه العقيدة ان يذكروا أن جسد الوطن على طاولة التشريح في مؤتمر الاستانة ... فماذا نحن فاعلون ؟! »

وقد سارت جريدة «العراق» على هذا المنوال الذي سارت عليه جريدة «المفيد» ، ومن الطريف انها نشرت في ٩ حزيران تحت عنوان « الشعب يحاسب نوابه » برقية من بعض الناخبين الثانويين في الشطرة يعلنون فيها انتزاعهم الثقة من سالم الخيون .

أما جريدة «الاوقات البغدادية» فقد سارت على منوال آخر اذ هي اتخذت اسلوب التهديد بدلاً من اسلوب الاقناع العقلي . وفيما يلي نموذج من أسلوبها نقلاً عن مقال لها نشرته في ٢٢ أيار :

« كاد ينقضي شهران على المجلس التأسيسي وهو ينظر في المعاهدة العراقية البريطانية ، ونسمع الآن باعداد تقارير ضافية الذيول وبمناقشات طويلة عريضة في أمر رفض المعاهدة أو تعديلها أو قبولها بشروط ترمي الى تعديلها في المستقبل . ولكن ما فائدة هذا الكلام كله فقد وضح لأقل الناس ادراكاً وضوح الشمس في رائعة النهار ان البلاد لا تريد المعاهدة

على ما تفسرها ذيولها وعليه فليقدم أعضاء المجلس التأسيسي على ابداء آرائهم ويرفضوا المعاهدة ويقضوا عليها القضاء المبرم ، وليعلموا ان البريطانيين أنفسهم لا يريدون المعاهدة • فلو أتيح لهم المكث في البلاد وهم مشمولون بالصداقة والمحبة بغية معاونتها في السير في سبيل النجاح لرضوا بالبقاء عن طيب خاطر ولكن ذلك الحلم قد انقضى ، فقد حل الشك محل الصداقة ، فلماذا اذن يبقى البريطانيون في هذه البلاد • فان الاوفق لسياسة بريطانيا في تركيا وفارس والهند ان يخرج البريطانيون من العراق من غير قيل وقال ، وبذلك يزيلون عنهم بالكلية ظنون المطامع الامبراطورية • والذي نتساءل عنه الآن : هل يخرج البريطانيون من العراق اذا ما قلب لهم أهلوه ظهر المجن كما يبدو على موقفهم الحالي ؟ ان التجارة في العراق لا يعبأ بها ، وقمح العراق وجلده وصوفه أردأ قمح وجلد وصوف في الدنيا ، والشركات البريطانية في العراق لا تربح شيئاً ، ويحتمل أن يزرع القطن هنا في المستقبل ولكنه أردأ من القطن الذي يزرع في السودان والمستعمرات الافريقية ، ويحتمل كذلك أن تعثر الشركات على النفط ولكننا نستطيع الحصول عليه في بلدان أخرى من غير أن نخاطر برؤوس أموالنا، فلا فائدة لامبراطوريتنا من البقاء في العراق • فليتشجع أعضاء المجلس التأسيسي ويسرعوا في التصويت طبق رغبة الشعب ، فقد آن لنا أن نتخلص من الدسائس والمراوغات • فاذا كان العراقيون غير قابلين بالمعاهدة وذيولها فليصرحوا بذلك وليخرج البريطانيون من هذه البلاد ، ونقول قولاً اكيداً أن ما أمة مثل الأمة البريطانية يسرها التخلص من مشاكل بلاد منحطة وشعب يستحيل ارضاؤه بشيء » •

وفي ٢ حزيران كتبت الجريدة نفسها تقول : ان المسألة الرئيسية للعراق اليوم ليس الاستقلال بل الدفاع عن الموصل ضد الاتراك وأنه يجب ان يفهم الجميع اليوم وكل يوم انهم اذا لم يصادقوا على المعاهدة فمن المحتمل أن يضيعوا الموصل ، واذا صادقوا عليها فبريطانيا تبذل كل ما في جهدها لابقاء ولاية الموصل جزءاً من العراق ، ولن تدافع بريطانيا عن

هذه الولاية في حالة عدم تصديق المعاهدة مع العلم ان العراق في وضعه الحاضر لا يمكنه الدفاع عنها •

وفي ٧ حزيران كتبت تقول : « وفي الاخير نريد ان نقول شيئا لاهالي العراق فان بعضا من النواب الذين يصرخون ضد المعاهدة هم حقيقة يصرخون ضد الحكومة لماذا ؟ لانهم يريدون أن يكونوا وزراء ••• اذا كان المجلس لا يزال راغباً بعدم ابرام المعاهدة وبعدم الثقة ببريطانيا العظمى فلا نؤمل من الحكومة البريطانية ان تساعد العراق أو تضع فيه ثقتها ، فتكون بريطانيا حينئذٍ حرة بعملها كما تشاء » •

وفي ٩ حزيران نشرت الجريدة مقالاً بعناوين مثيرة هي : «الدسائس التركية في بغداد ، بيانات مدهشة ، لم يبق سوى ٤٨ ساعة لانقاذ الموصل ، على البلاد أن تنتخب اما استبداد تركيا أو حرية بمساعدة البريطانيين ، كيف أضل الاتراك النواب والاهلين ، رفض المعاهدة يقضي على القضية العربية واستقلال العرب » • وقد أشارت الجريدة في مقالها هذا الى ما يفعله أشياع الاتراك في العراق من ترويج للاكاذيب في شأن المعاهدة والانكليز ، وكيف أن دعاة الوطنية الذين كانوا ناقمين على الانتداب في صيف ١٩٢٢ كانوا يسعون سراً لبيع الموصل للاتراك • وكذلك أشارت الجريدة الى ان الاتراك هم الذين دبروا حادثة كركوك وهي الحادثة التي قتل فيها الكثير من أهل كركوك على أيدي الجنود الاثوريين كما سنأتي اليه في الجزء القادم ، وقالت الجريدة : « كنا نظن الشعب العراقي شعباً عاقلاً مدركاً ولكننا بتنا نعتقد اليوم أنه قد عمي عن الحقائق أوجهلها بتاتاً فلم يعد يفرق بين الأخبار الباطلة والحقة ، ولم يبق لنا الا أن نفصح له عن الحقيقة الجارحة المؤلمة ••• »

وفي ١٠ حزيران نشرت الجريدة آخر مقالة تهديدية لها • ففي ذلك اليوم ينتهي أمد الانذار الذي قدمه المندوب السامي الى الملك • وكانت المقالة بعناوين مثيرة هي : « القرار العظيم ، أما أن يربح العراق حريته والعرب قوميتهم أو يخسروها في هذا اليوم » • وقد أكدت الجريدة في مقالتها دعواها السابقة بوجود علاقة بين المعارضين للمعاهدة وبين الاتراك

الذين يريدون احتلال العراق ، وتساءلت : لماذا لا يطرد الاتراك من بغداد ؟! ثم اشارت الى ان الشروط الثقيلة الموجودة في المعاهدة هى بمثابة الثمن الذي تناله بريطانيا جزاء صرفها المبالغ الطائلة من الأموال وبذلها الكثير من ارواح الجنود البريطانيين من أجل المحافظة على العراق ، فلبريطانيا الحق اذن في اصرارها على تلك الشروط مقابل هذه التضحيات.

ثم ختمت الجريدة المقالة بما يلي :

« اذا رفض المجلس ابرام المعاهدة اليوم فيكون العراقيون من عرب واكراد قد رفضوا تقدمة بريطانيا ، ويكونون قد نقضوا وعد الجنرال مود بأنفسهم . وتكون بريطانيا حرة وغير مجبرة في الدفاع عن الموصل ، فعلى النواب واجب محتم عليهم أداؤه عن الاهالي والبلاد ، ولهم أن ينتخبوا بين بناء مملكة العراق أو خرابها ، فكل فرد منهم يكون مسؤولاً أمام الشعب العراقي والأمم الأخرى للقرار النهائي الذي يصدرونه ، وذلك القرار يجب أن يكون اليوم لان بريطانيا تسحب تقدمتها حالما تدق الساعة الثانية عشرة من ليلة هذا اليوم ، وتحال مسألة ومستقبل العراق لقرار أوربا فأما أن يفوز المجلس التأسيسي بعمله اليوم ويخرج مظفراً لصالح البلاد أو يقضي على حياة شعب حديث ربما الى الابد » .

دوبس يغضب :

كان الملك في ورطة لا يحسد عليها . ففي منتصف الليل من يوم ١٠ حزيران ينتهي أمد الانذار الذي قدمه دوبس . وكان الملك يخشى أن يمتنع المجلس عن تصديق المعاهدة في ذلك اليوم ، وهو لا يدري ماذا سوف تكون العاقبة .

دعا الملك أعضاء المجلس للاجتماع به في قصره في الساعة الرابعة والنصف من عصر يوم ٩ حزيران ، وعندما اكتمل عددهم وقف يحدثهم حديثاً طويلاً بغية اقناعهم بتصديق المعاهدة . ننقل فيما يلي الجزء الأخير من حديثه لأهميته :

« لما قرأت المعاهدة وإتفاقياتها شعرت ما شعر به المجلس وشعرت به

الأمة الا اني لا أخفي عنكم شيئاً ولا أريد أن اكتم ما يكنه صدري • أرى ان موقف البلاد في خطر فلا يجب ان نسير وراء العواطف بل يجب أن نحكم العقل ••• وأنتم المسؤولون فانا أرفع عني المسؤولية وألقيهـــــا عليكم •• أنا لا اقول لكم اقبلوا المعاهدة أو ارفضوها ، انما اقول اعملوا ما ترونه الأنفع لمصلحة البلاد فان أردتم رفضها فلا تتركوا فيصلاً معلقـاً بين السماء والارض ، بل أوجدوا لنا طريقاً غير المعاهدة ، وأنتم تـرون اننا في حاجة الى مال ورجال لنحارب الاتراك ونقاوم الانتداب البريطانـي ونقف ازاء الايرانيين وغيرهم فانا أمامكم في ميدان الحرب والسياسية ، وماضيي معلوم ، فلا تضيعوا مافي يدكم • اني أشكر للمجلس وقفتـه وللجنة مساعيها ، فاننا بذلك حصلنا على تحفظات وايضاحات في مصلحـة العراق وعلى وعد صريح من المعتمد السامي بتعديل الاتفاقية المالية ودخولنا في المفاوضات حالاً بعد الابرام لتعديل بقية المواد وذلك اذا وافقتم عـلى ابرامها وحسم المعضلة »(٤٩) •

يبدو ان حديث الملك هذا لم يكن ذا تأثير كبير على النواب • فقد كان المفروض أن يعقد المجلس جلسته التالية في الساعة التاسعة صباحاً ، وحين حلت تلك الساعة لم يظهر على النواب أنهم مستعدون للحضور • ومضت ساعتان بلا جدوى اذ كان النواب يدخلون ويخرجون كأنهم مترددون في الحضور • وانطلقت اذ ذاك مجادلة عنيفة مـــع صراخ وضجة في البهـو المؤدي الى المجلس ، وشوهد سالم الخيون على رأس عدد من النواب وهم يهمون بالخروج من المجلس ، وجاء نواب آخرون يدعونهم للعودة ويلحون عليهم حتى استطاعوا ارجاعهم • وفي الساعة الحادية عشرة والنصف اكتمل النصاب في القاعة غير أن أحد النواب طلب تأجيل الجلسة قليلاً مـــن الوقت فوافق الرئيس على تأجيلها نصف ساعة •

وعندما بدأت الجلسة في الساعة الثانية عشرة والنصف حصلت مجادلة بين فريقين من النواب احدهما يؤيد اقتراح نواب الشمال في تأجيـــل

(٤٩) جريدة « العالم العربى » ــ في عددها الصادر في ١٠ حزيران ١٩٢٤•

تصديق المعاهدة الى ما بعد حسم قضية الموصل ، والآخـــر يؤيد اقتراح الهاشمي وجماعته في وجوب تعديل المعاهدة قبل تصديقها • وقد امتعض رئيس الوزراء من ذلك كل الامتعاض ، ذلك لانه كان يأمل من النــواب أن ينظروا في أمر تصديق المعاهدة بوضعها الحالي ولكنه وجدهم مختلفين حول اقتراحين لا يؤدي أي منهما الى المطلوب • وخرج رئيس الـوزراء من القاعة حيث اتصل بالملك تلفونياً وأخبره بأن الحالة سيئة ، ثم عاد الى القاعة طالبا من رئيس المجلـس تأجيل الجلسة الى الغد ، فوافق الرئيـس على ذلك حالاً • وانطلق النواب خارجين كما ينطلق الطير على حد تعبير الكابتن هولت الذي كان حاضراً آنذاك في شرفة المستمعين(٥٠) •

حين علم دوبس بما جرى في المجلس انفجر غاضباً بشكل غير مألوف في الخلق البريطاني • ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان دوبس معروف بشدة غضبه ، وتروى عنه في ذلك أقاصيص غريبة ، فقد شاع عنه انه اذا غضب على موظف لديه قذف بالمحبرة في وجهه • وقد قذف ذات مــرة أصيصاً للزهور على الأرض وحطمه لانه لم تعجبه الطريقة التي زرعـت الزهور فيها •(٥١)

وقد تحدثت المس بيل في رسالة لها عن غضب دوبس عند سماعـه بما جرى في المجلس فقالت : « أسرعت باخبار كورنواليس بالأمر تلفونيا فهتف قائلا : يا الهي ! • ثم ذهبت الى السر هنري لاخبره فكان على درجة من الغضب لم أشهد مثها في أحد غيره • وبينما كنا نتداول الحديث رن جرس التلفون وكان من الملك وهو يطلب مهلة يوم واحد • فأجابه السر هنري دوبس بالرفض وقال له انه سيزوره ليطلب منه حل المجلس فـي منتصف الليل اذا لم يكن في الامكان جمعه عصراً ••• » • وتضيف المس بيل الى ذلك قائلة : « ان السر هنري أخذ يزداد غضباً لحظة بعد أخرى ،

(50) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 345.

(51) Sinderson (Ten Thourand and One Nights) - London 1973 - p. 77.

معتبراً الأمر من تدبير الملك ، ولكن هذا غير صحيح • وصار يسب هذا ويسب ذاك ، الى أن اقترحت عليه أن نذهب لتناول طعام الغـداء • ان السر هنري المثير للشفقة أخذ يهدأ غضبه تحت تأثير كأس من البـيرة المثلجة »[٥٢]

ليلة ليلاء :

في الساعة الثالثة من عصر ذلك اليوم ذهب جعفر العسكري ومعـه ياسين الهاشمي الى دار الاعتماد البريطاني في الكرخ لمقابلة دوبس • وحين وصلا الى الدار وجدا دوبس يهم بالخروج منها ، وقد نظر اليهما شزراً وقال انه ذاهب الى الملك فيصل ليطلب منه حل المجلس التأسيسي فوراً اذ لا يرجى من وجود المجلس أي خير للعلاقات بين بريطانيا والعراق[٥٣] •

عاد العسكري الى مقره عاجلا وأخذ يسعى لجمع النواب أملاً بأن يجتمع المجلس مساءاً ويصادق على المعاهدة قبل انتهاء أمد الانذار • أما دوبس فقد وصل الى قصر الملك في الساعة الرابعة ، وحين دخل عليـه وجد كورنواليس جالساً عنده ، فقدم الى الملك ورقة تتضمن انذاراً يطلب فيه حل المجلس اعتباراً من منتصف تلك الليلة واصدار التعليمات الـى وزارة الداخلية لغلق بناية المجلس فوراً واحاطتها بقوة من الشرطة تكفي لتنفيذ هذا الامر • وقد أذعن الملك لهذا الانذار ، واستدعى مستشار وزارة العدلية البريطاني الى القصر لاعداد لائحة قانون لحل المجلس • .

كان جعفر العسكري في اثناء ذلك منهمكاً في محاولاته لجمع النواب، واستطاع أن يأتـي بعـدد منهـم الى بناية المجلـس ، ولكن سالم الخيون وجماعته وقفوا عند باب المجلس يحرضون النواب على عدم الدخـول • وفي الساعة الثامنة اتصل العسكري بالملك تلفونياً يخبره بأنه لم يتمكن من جمع العدد الكافي من النواب وهو يرجو منحه مهلة يوم واحد ، فرفض دوبس منحه هذه المهلة • وكانت لائحة قانون حل المجلس قد تم اعدادها

---

(52) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 344 - 345.

(٥٣) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ــ ج١ ص ١٨٥ •

حينئذٍ وضعت بين يدي الملك لتصديقها(٥٤) .

عاد جعفر العسكري الى السعي من جديد لجمع النواب ، وصار يبذل اقصى جهده في هذا السبيل كأنه أدرك بان مصيره السياسي معلق بنجاحه فيه . وقد عاونه في ذلك اخوه تحسين العسكري الذي كان يومذاك مديراً عاما للشرطة ، واستنفر هذا جهاز الشرطة كله للبحث عن النواب في كل مكان والاتيان بهم الى المجلس . وكان الملك قد أرسل مرافقه تحسين قدري لمعاونتهم .

استعملت شتى الوسائل من أجل جلب النواب الى المجلس ، حيث استعمل الرجاء والتضرع أحياناً ، والالحاح الشديد أحياناً أخرى ، وربما استعمل التهديد أو العنف مع البعض منهم . قال الحاج ناجي الكرادي في حديث له مع المس بيل عن تلك الليلة : « ان الشرطة سحبوه من فراشه ووضعوه في سيارة وكان لا يدري هل سيأخذونه الى المقصلة أم الى مكان آخر »(٥٥) .

وفي العاشرة والنصف من تلك الليلة أمكن جمع ثمانية وستين نائباً . فحشروا في قاعة المجلس وبدأت الجلسة يسودها التوتر الشديد .

لقد كانت تلك جلسة يندر أن يكون لها مثيل في تاريخ المجالس النيابية في العالم ، فقد كان كل نائب في القاعة يشعر كأن الدنيا كلها تراقبه وستحاسبه على ما يفعل في هذه الجلسة . وكانت شرفات المستمعين غاصة بالمحامين وغيرهم وقد شخصت أبصارهم نحو القاعة وألسنتهم مستعدة لصب اللعنات على آباء الذين سيوافقون على المعاهدة . أما الوزراء فقد تركوا مقاعدهم الخاصة بهم على يمين منصة الرئاسة واندسوا بين النواب يتوسلون اليهم ان يوافقوا على المعاهدة : « يا معودين ، البلاد في خطر ، حكموا العقل » . وكان ياسين الهاشمي يلعب لعبته المعروفة في اثناء ذلك اذ كان يعارض المعاهدة ظاهراً ويدعو الى تصديقها سراً ، كما كان

(٥٤) فيليب آيرلاند (المصدر السابق) — ص ٣١٦ .
(55) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, 348.

السعدون يلعب لعبته ايضاً في عرقلة تصديق المعاهدة تشفياً بالملك وبصاحبه جعفر العسكري •

كان هناك بين يدي السعدون تقريران هما تقرير المعارضة الذي يدعو الى تعديل المعاهدة قبل تصديقها ، والثاني تقرير الحكومة الذي يدعو الى تصديق المعاهدة أولاً ثم الدخول بعدئذ في المفاوضة لتعديلها • فقدم السعدون تقرير المعارضة أولاً ، وطلب من كل نائب أن يقف عند ابداء رأيه ، وكان قصد السعدون من ذلك تخويف المؤيدين للمعاهدة من ابداء آرائهم تحت أنظار الجالسين في شرفات المستمعين(٥٦) • ولكن خطته فشلت اذ لم يؤيد تقرير المعارضة سوى ثلاثة وعشرين نائبا فقط ، أما تقرير الحكومة فقد أيده ٣٧ نائباً • وقد استنكف عن التصويت ثمانية(٥٧) •

ومن طريف ما يروى في هذا الصدد ان أحد النواب كان قد وعد المس بيل باعطاء رأيه في تأييد المعاهدة ، ولكنه عند التصويت أخرج مسبحته من جيبه فاستخار الله بها وكانت نتيجة «الخيرة» سلبية ، وأصيبت المس بيل بخيبة أمل فيه أخيراً •

وكان الحاج ناجي الكرادي من جملة المستنكفين الثمانية • وقد جاء الى المس بيل بعدئذ وهو خجلان وأخذ يعتذر اليها عن عدم تأييده للمعاهدة ، وبرّر ذلك بما جرى له عندما سحبوه من فراشه ليلا • فقبلت المس بيل عذره وأخذت تسليه ووعدته بزيارته في بيته لتناول طعام العشاء معه فوق السطح تحت أشعة البدر(٥٨) •

عندما انتهت الجلسة على أثر تصديق المعاهدة أبدى بعض النواب المؤيدين لها تردداً في الخروج من المجلس مخافة أن يغتالهم أحد ، ولهذا وجب تجهيز كل منهم بشرطي واحد او اثنين لحمايته • ولكن الخوف لم يتطرق الى نوري السعيد ، فهو كان يحمل في جيبه قنبلة يدوية ، وحين

(56) Ibid, vol. 2, p. 346.

(٥٧) عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ـ ج١ ص ١٨٧ ـ ١٨٩ •

(58) Burgoyne (op. cit.) - vol. 2, p. 348.

خرج من المجلس استصحب معه بسيارته احد النواب المؤيدين للمعاهدة وهو مظهر الحاج صكب، وأخرج نوري القنبلة من جيبه وقال لمظهر: ان هذه في مقدورها أن تقتل مائتي شخص مرة واحدة • وتقول المس بيل في تعليقها على ذلك : ان وجود القنبلة كان ذا تأثير مهدىء على مظهر الحاج صكب ولكنها ليست كذلك معي حين أركب سيارة شديدة الاهتزاز(٥٩) •

خرجت جريدة « الاوقات البغدادية » في ١٢ حزيران تقـــول : « استقبل تصديق المعاهدة بصورة عامة بعدم المبالاة ، ولم يكن هناك مظهر من مظاهر التحبيب او الفرح التى كنا نتوقعها ، فلم نسمع شيئاً من هـذا بينما كنا نسير في الشوارع بعد ان تم انجاز الحادث الهـام في المجـلس التأسيسي ، كما لم نشاهد او نلاحظ أياً من زمر الشباب المسلحين بالعصي والسكاكين والمسدسات والذين جعلوا أنفسهم بارزين الى درجة كبيرة خلال فترة مناقشات المجلس » •

وفي ١٨ حزيران كتبت المس بيل تقول : « ان السر هنرى عندما أبرق بالمعاهدة الى لندن في ١١ حزيران طالبا اخباره هل هى مقبولة ، لم نحصل على جواب • ان من الصعب أن نتصور ذلك ولكننا لم نحصل على جواب الا في ١٧ منه • انه أمر غير لائق للغاية • فالجرائد المحلية بدأت تظهر شكوكها حول رفض الحكومة البريطانية للمعاهدة • وأخذ النواب الذين أيدوا المعاهدة يتوافدون علي قلقين ، ولم استطع الا أن أعطيهم جوابا غير قابل للتصديق تقريبا هو ان الحكومة البريطانية كلها ذهبت فى عطلة ولم تنظر في المعاهدة بعد • ولما وصل الجواب اخيرا لم يكن فيــــه سوى خبر مجرد هو أن الحكومة البريطانية قبلت القرار ــ دون أن تكون فيه كلمة واحدة لشكر السر هنري أو تهنئته وهو الذى كان عليه ان يتخذ القرارات الخطيرة والذي اتخذ فعلا القرارات الصحيحــــة التي أدت بالسياسة البريطانية الى هذه النتيجة السعيدة • أن السر هنري متـــألم جدا »(٦٠) •

---

(59) Ibid, vol. 2, p. 346.
(60) Ibid, vol. 2, p. 347 - 348.

الهاشمي من السلب الى الايجاب :

في ١٣ حزيران كتبت جريدة « المفيد » تهاجم الهاشمي وتندد بسلوكه المزدوج ، إذ قالت تخاطبه : « انكم كما علمنا من مصادر موثوقة يعول عليها قد صرحتم مرارا عديدة لبعض الساسة البريطانيين ولاصدقائكم من الوزراء الحاليين وغيرهم بأن الافيد للعراق هو ابرام المعاهدة وحرضتم الكثير من النواب بمثل هذه الاساليب على تصديقها ، وهذا شيء لايمكن نكرانه لاننا لانعجز عن اثباته بالبراهين الكثيرة ، فاذا كان الامر كذلك فما هو الذي حدا بكم الى المعارضة عند التصويت بعد أن زودتم كثيرا من زملائكم بالنصائح في تأييد المعاهدة »

وفي ١٨ حزيران كتبت المس بيل تقول : « اني اتوقع ان جعفر سوف يضطر الى ادخال ياسين في الوزارة ـ اذا اراد هو الدخول فيها . انه قوة وان قوته مستمدة من تأييد المتطرفين له ، ومع ذلك فهو أقل خطرا في الوزارة منه في خارجها . انه كان منذ اسبوع تقريبا ينوى تبديل موقفه وتأييد المعاهدة وأخذ يعمل في هذا الاتجاه ، ولكنه وجد أنه غير قادر على الاحتفاظ بحزبه ، وأنه سيفقد اعتباره بينهم ، وعلى الرغم من يقينه بان ذلك قد يؤدي الى كارثة فانه رفض المعاهدة . يجب أن نذكر انهم كانوا جميعا غير مصدقين بأننا سوف نخرج من البلاد ، ولهذا فان رفض المعاهدة لم يكن في نظرهم بهذه الخطورة »(٦١) .

وفي ٩ تموز كتبت المس بيل تقول : « ان وزارة جعفر العسكرى تترنح سائرة نحو قبرها ، وآخر عمل قام به السر هنرى هو الاستمداد لمولد وزارة جديدة . ان ياسين باشا هو الذى اختير لتشكيل الوزارة . انه اقدر انسان هنا من ناحية الذكاء ولكني انظر الى أمر تسنمه منصب رئاسة الوزارة بعين الريبة . غير أني أسلي نفسي بالتفكير بان السر هنري يعرف الامور أكثر مني وأنه قد اتخذ الحل الافضل »(٦٢) .

من الجدير بالذكر ان وزارة العسكرى لم تسقط في تلك الفترة

---

(61) Ibid, vol. 2, p. 347 - 348.

(62) Ibid, vol. 2, p. 248 - 249.

كما تنبأت المس بيل ، بل ظلت قائمة حتى أنهى المجلس التأسيسي تصديق الدستور وقانون انتخاب النواب • وفي ٢ آب انفض المجلس التأسيسي بعد أن اكمل عمله • وفي اليوم نفسه قدم العسكري استقالة وزارته ، فقبلها الملك واستدعى اليه ياسين الهاشمي لتشكيل وزارة جديدة •

تولى الهاشمي وزارة الدفاع وكالة بالاضافة الى رئاسة الوزراء ، وتولى السعدون وزارة الداخلية ، وساسون حسقيل وزارة المالية ، ورشيد عالي الكيلاني وزارة العدلية ، ومزاحم الباچچي وزارة الاشغال والمواصلات ، وابراهيم الحيدري وزارة الاوقاف ، ورضا الشبيبي وزارة المعارف •

كان الملك يريد اسناد وزارة الدفاع الى نوري السعيد ، ولكنه لم يوفق • انه كان يريد ابعاد الهاشمي عن أن يكون ذا اتصال مباشر بالجيش ، ولهذا طلب ايجاد منصب جديد في وزارة الدفاع هو منصب وكيل القائد العام ـ باعتبار ان الملك نفسه هو القائد العام ـ واسناد المنصب الى نوري لكي تذهب أمور الجيش عن طريقه الى الهاشمي • وقد أجيب الملك الى طلبه هذا •

وفي ٥ آب كتبت المس بيل تقول : « ان ياسين وساسون جاءا لزيارتي في يوم الاثنين • وعندما صافحني ياسين قال : اننا نريد مساعدتك ، مساعدتك انت بصفة خاصة • فقلت لهما ان كل وزارة تُعيّن من قبل الملك ويوافق عليها المندوب السامي لها الحق بأن تطلب مساعدتي • ولما أرادا الخروج كرر ياسين قوله الاول بجدية تامة • فكتبت اليه أقول إنه سوف يحصل طبعا على مساعدتي كاملة ، ولكني لم أضف الى ذلك شيئاً• فان لي ملاحظة دقيقة جدا هي ان جريدة « الاستقلال » التي كان جعفر قد اغلقها في وقت الاضطرابات اثناء مناقشة المعاهدة قفزت أمس الى عالم الوجود وهي تشتم وزارة جعفر متهمة اياها بالطغيان • ان محرر الجريدة وكاتبها الرئيسي كليهما الآن في جيب ياسين ، وأنا متأكدة الى حد كبير ان كل شيء يظهر في جريدة « الاستقلال » أما ان يكون من وحي ياسين أو يكون هو قد وافق عليه على أقل تقدير »[٦٣] •

(63) Ibid, vol. 2, p. 349 - 350.

خاتمـــة

نمو الوعي السياسي في العراق الحديث

قد يلاحظ القارىء من مطالعته هذا الجزء ظهور الوعي السياسي في العراق بشكل واضح قوى • ومن الجدير بالذكر ان هذا الوعي لم يكن موجودا في العراق في بداية هذا القرن ، اذ كان الوعي الديني حينذاك هو الذى يقوم مقامه في اذهان الناس • والواقع ان هذا التحول الذى يشـــبه الطفرة في الوعي السياسي ظاهرة اجتماعية جديرة بالدراسة ، ومن المؤسف أن نراها غير مدروسة من قبل كتابنا وباحثينا بالرغم من أهميتها لفهم حياتنا الحاضرة • واني أقدم فيما يلي دراسة موجزة لتلك الظاهرة عسى أن يكون في ذلك تشجيع لغيري للتوسع فيها •

المعروف عن العامة في العهد العثماني انهم كانوا لايحبون التدخل في السياسة وكانوا يعتبرونها أمرا خارجا عن مجال اهتمامهم ، لانها خطرة عليهم من جهة ، ولانها لاتعطيهم « خبزا » من الجهة الاخرى • فاذا تحدثت الى أحد منهم فى السياسة قال لك : « عمي هذا موشغلي ، أنا أريد شغل ينطيني خبز » • وتروى في ذلك قصة حدثت في الحرب الاولى ، خلاصتها : ان شابا من أهل الكاظمية كان مولعا بقراءة الجرائد وتتبع أخبار الحرب ، وكان أبوه ينصحه ويردعه دون جدوى ، وفي أحد الايام جاء هذا الشاب الى بيته وهو يهتف : « سقطت وارشو ! » • فقد قرأ ذلك في الجرائد وفرح به ، فاراد أبوه أن يلقنه درسا يردعه عن الاشتغال بمثل هذه الامور التى لافائدة منها ، فأخذ بيده وجاء به الى بائعة شوك في السوق حيث قال لها : « هل تبيعين باقة الشوك بسقوط وارشو ؟ » • فلم ترض المرأة بذلك طبعا وسخرت منه ، وعند هذا التفت الاب نحو ابنه قائلا « انظر الى هذا الخبر الذي جئت به فهو لايسوى باقة شوك !» •

وكان العامة بالاضافة الى ذلك يحرصون على احترام رجال الحكم والتزلف اليهم درءاً لشرهم • وقد اتضح هذا في امثالهم الدارجة : « كل من يأخذ أمي أسميه عمي » ، «انا عبد اللي يخلي بالسكلة ركَي » « أذا صارت حاجتك عند الكلب سميه حاج كليب » ، « جيب نقش وكل عوافي »، « اليد التى ماتقدر تقطعها بوسها » ، « أنا شعليه » ، « ياهي مالتي » ، « الحاكم حكيم » ، « لان ما كان الله ينصر السلطان » ، وغيرها •

تمثلت هذه العادة بوضوح لدى الرؤساء والوجهاء إذ هم اعتادوا على التزلف الى رجال الحكم ، ووضع اختامهم على كل « مضبطة » يطلبونها منهم ، والدعاء اليه تعالى ان ينصر الدين والدولة « آمين ! » • وقد اعتاد العامة ان يتزلفوا الى هؤلاء الوجهاء بمقدار ما يتزلف الوجهاء الى الحكام• فهي كانت حلقة متصلة الحلقات ، يتزلف الواطي فيها الى العالي درجة فوق درجة • والملاحظ ان كلاً منهم إذ يحترم الذى فوقه ظاهرا يبغضه باطنا ويدعو الله أن يهلكه « آمين ! »•

هذا هو ما كان الناس عليه حتى بداية القرن العشرين ، أو بعبارة أدق : حتى عام ١٩٠٦ • ومنذ هذا العام أخذت الاحداث تتوالى على العراق من النوع الذى يحرك الاذهان ويثير الجدل • وقد استطاعت تلك الاحداث في خلال بضع عشرة سنة ان تحول الشعب العراقي من طور اللاوعي في السياسة الى طور الوعي الشديد •

لقد تطرقنا في هذا الجزء وبعض الاجزاء السابقة الى ذكر تلك الاحداث بتفصيل • وسنحاول اعادة ذكرها باختصار مع بعض الاضافات اليها ، وقد جعلناها مرقمة حسب تسلسها الزمني لكي يستطيع القارىء أن يأخذ عنها صورة عامة موحدة •

اولا : ان اول حدث نبه أذهان العراقيين الى السياسة هو ما يسمى بحركة « المشروطة » أي حركة المطالبة بالدستور ، وذلك في عام ١٩٠٦

حين وصلت الى النجف أنباء النزاع الذى استفحل في ايران بين انصار المشروطة وانصار الاستبداد • وسرعان ما انتقلت عدوى النزاع الى النجف، فتبنى الملا كاظم الخراساني مبدأ المشروطة ، والسيد كاظم اليزدي مبدأ الاستبداد • وانقسم الناس الى فريقين متخاصمين ، وصار كل منهما يتهم الآخر بالكفر وبالمروق عن الاسلام •

يجب أن لاننسى ان النجف لها تراث جدلي قديم ، ولكن الجدل فيها كان فى الماضي يدور حول قضايا اعتقادية وكلامية لاصلة لها بالواقع الراهن ، كقضية الخلافة مثلا ومن هو أحق الناس بها بعد النبي : علي أم أبو بكر • فلما جاءت حركة المشروطة خرج الجدل بها من اطاره القديم وصار واقعيا له مساس بمصالح الناس ومشكلات حياتهم • وأخذ الوعاظ والروضخونية يتحدثون عن السياسة كمثل ماكانوا قبلئذ يتحدثون عن علي وأبي بكر ، وربما ربطوا بين الحاضر والماضي ليخرجوا من ذلك بالنتيجة التى يريدونها •

لقد كان اكثر العامة من انصار الاستبداد • أما انصار المشروطة فكانوا في الغالب من الفئة التى يطلق عليها اسم « المتنورين » ، وقد أخذ هؤلاء يدعون الى بعض المبادىء والمفاهيم الحديثة كفتح المدارس ومطالعة الجرائد وتعلم اللغات الافرنجية وتحرير المرأة وغيرها من الامور التىكان العامة يعدونها من الامور المستنكرة أو المحرمة • حدثني أحدهم: ان الجرائد كانت تأتي اليهم خلسة فيجتمعون في بيت أحدهم سرا لمطالعتها ، فاذا خرجوا من البيت أخفوها تحت عباءاتهم مخافة أن يراها أحد من العامة أو مؤيديهم من رجال الدين فيتهمهم بالتفرنج أو الماسونية •

لاحاجة بنا الى القول ان هذا الصراع الذى حدث في النجف لابد أن ينتقل أثره الى المدن الشيعية الاخرى ، ولا سيما العتبات المقدسة • وصار الكثير من الناس هنالك لاحديث لهم فى مجالسهم ومقاهيهم سوى حديث الاستبداد والمشروطة ، والنزاع بين الخراسانى واليزدي •

ثانيا : في عام ١٩٠٨ حدث حادث له صلة وثيقة بالحادث الآنف الذكر ، ففي ٢٤ تموز من ذلك العام وصل الى بغداد نبأ انتصار جمعية الاتحاد والترقي في اسطنبول ،وهي الجمعية التي كانت تدعو الى الدستور في البلاد العثمانية • وقد اهتز العراق لهذا النبأ وانتشرت معالم الزينة والفرح في كل مكان ، وظهر على الجدران شعار الجمعية المؤلف من أربع كلمات هي : « حريت عدالت مساوات اخوت » • وبدأت فروع الجمعية تفتح في بغداد والمدن الاخرى حيث انتمى اليها الافندية والوجهاء والرؤساء، وظهرت جرائد عديدة وهي تلعن العهد البائد وتبشر الناس بعهد زاهر جديد تسود فيه الحرية ويتساوى الناس أمام القانون بمختلف أديانهم وطبقاتهم •

ان هذه الموجة من الفرح والتفاؤل لابد ان تثير رد فعل لدى المحافظين، فهم اعتبروا العهد الجديد مخالفا للشريعة الاسلامية لانه يساوي بين المسلمين والنصارى واليهود ، ولانه يستمد دستوره من الافرنج بينما الواجب أن يستمده من كلام الله • وقد تأسست في بغداد جمعية باسم « المشور » للدفاع عن الشريعة المحمدية ومقاومة الافكار اللادينية • وفي ١٣ تشرين الثاني حدث حادث كان بمثابة الشرارة التي تشعل النار خلاصته: ان اثنين من الاتحاديين هما معروف الرصافي وعبداللطيف ثنيان ذهبا الى جامع الوزير المقابل للسراي ، وكان معهما بعض انصارهما • وصادف آنذاك ان كان أحد الوعاظ على المنبر يعظ الناس ، فأنزله الرصافي من على المنبر وصعد مكانه وأخذ يقرأ بيانا حزبيا ، ثم ألقى خطبة حماسية أشاد فيها بمبادىء جمعية الاتحاد والترقي من حيث منحها الحرية والمساواة للناس على مختلف أديانهم وطبقاتهم • ولم يكد الرصافي ينتهي من خطبته ويخرج من الجامع مع اصحابه حتى انطلقت اشاعة في الاسواق مفادها ان الاتحاديين أهانوا الدين الاسلامي • فاجتمع أعضاء جمعية « المشور » في احد الجوامع وأصدر احدهم فتوى باعدام الرصافي واصحابه شنقا ، ثم خرجت من الجامع مظاهرة وهي تهتف : « الدين يامحمدا »• واتجهت نحو دار الوالي القريبة

من الباب الشرقي ، وأغلقت الاسواق مخافة النهب . وعندما وصل المتظاهرون الى دار الوالي ارتفعت أصواتهم بشتم الكفرة المارقين ، وطالبوا بشنقهم ، واضطر الوالي أن يوعز الى الشرطة بالقاء القبض على معروف الرصافي وعبداللطيف ثنيان ، فقضى هذان الرجلان في الحبس بضعة أيام ثم أطلق سراحهما بعد أن هدأ الناس .

ثالثا : في أواخر ١٩١١ تأسس في اسطنبول حزب معارض لحزب « الاتحاد والترقي » هو « الحرية والائتلاف » . وبدأ منذ ذلك الحين صراع عنيف بين الحزبين انتقلت عدواه الى العراق ، وظهرت آثاره على صفحات الجرائد ، وفي دوائر الحكومة ، والانتخابات. وصار الافندية في بغداد فريقين متخاصمين : هذا اتحادى وذاك ائتلافي .

وقد لعب السيد طالب النقيب دورا مهما في هذه المرحلة . فهو فى أول الامر فتح فرعا لحزب الائتلاف في البصرة ، ولكنه في أوائل ١٩١٣ حوّل ذلك الفرع الى حزب قائم بذاته سماه « الجمعية الاصلاحية » ، وأخذ ينادى بالعروبة والقومية العربية ويوثق علاقاته مع دعاة العروبة في لبنان والجمعية اللامركزية فى مصر . وقد اشتد النزاع من جراء ذلك بين السيد طالب والاتحاديين ، وأخذ هؤلاء يكيدون له ، فأرسلوا الى البصرة قائدا صارما اسمه فريد بك للقضاء عليه ، ولكن السيد طالب أرسل اليه من اغتاله في ٢٠ حزيران ١٩١٣ . ولم يستطع الاتحاديون ان يفعلوا شيئا للانتقام من السيد طالب أو كبح جماحه .

كان السيد طالب يملك الشخصية التى تثير اعجاب العراقيين وهي الشخصية التى تستمد جذورها من قيم البداوة ، إذ كان « سبعا كريما » أو بعبارة أخرى : نهابا وهابا . وعندما تمكن من اغتيال القائد التركي فريد بك ارتفعت سمعته بين العراقيين الى القمة ، وأصبح اسمه على الافواه فى كل مكان ، وسمي بـ « عميد العراق » ، وقصده الشعراء ليلقوا بين يديه قصائد المديح على طريقة السلاطين القدامى ، وكان هو من جانبه يبذل لهم الجوائز .

إنه كان يفرض الاتاوات على الاغنياء من جهة ، ويغدق الامـــوال على الشعراء وغيرهم من الجهة الاخرى .

لم يكن لدى الاتحاديين من سلاح تجاه السيد طالب سوى ســلاح الدين ، فقد كانت الدعوة القومية تعتبر في تلك الايام دسيسة من الكفار للتفريق بين المسلمين وهدم كيان الدولة العثمانية . يقول سليمان فيضـــي الذي كان آنذاك سكرتير السيد طالب : انه عندما ذهب الى الموصل في عام ١٩١٣ لم يجد فيها من المؤمنين بالقضية العربية الا أفرادا قلائل جدا ، ذلك لان النزعة الدينية التي يتميز بها أهل الموصل وقفت حائلا بينهم وبين التمرد على الدولة العثمانية ذات الصبغة الاسلامية والخلافة المقدسة . ولهذا راجت في الموصل حول سليمان فيضي اشاعات واراجيف مؤادهـا انه يبشر بنبذ التقاليد الدينية وعصيان خليفة رسول‌الله(١) .

رابعا : في اوائل تشرين الثاني ١٩١٤ بدأ الانكليز هجومهم على العراق من ناحية الفاو ، وعند هذا انطلقت البرقيات المثيرة من البصرة موجهة الى سكان العراق قائلة : ان الكفار يهددون البصرة ، وان بلاد الاسلام في خطر ، ساعدونا ! فقرأت هذه البرقيات على الناس في المساجد ونادى المنادون بها في الاسواق ، وأخذ الوعاظ والخطباء يلهبون مشاعر الناس بخطبهم الحماسية يؤكدون فيها على ان الانكليز اذا احتلوا العراق فسيهدمون مساجده وعتباته المقدسة ويحرقون القرآن وينتهكون حرمات النساء ويذبحون الاطفال . وقد صدق الناس بهذه الاقوال ، وانتشر الرعب بينهم ، واصدر رجال الدين فتاويهم بوجوب الدفاع عن البلاد الاسلامية واعلان الجهاد على الكفار ، وأخذ الكثير منهم يستعدون للذهاب الى جهة الحرب للقيام بهذا الواجب الذي يحتمه الشرع عليهم .

الواقع ان العامة كانوا يبغضون الحكومة التركية بغضـا شـــديدا ويتمنون زوالها لما أنزلته بهم من ويلات التجنيد والنقود الورقية والمصادرات

---

(١) سليمان فيضي (في غمرة النضال) ـ بغداد ١٩٥٢ ـ ص ١٢١ .

وغيرها ، فلما أعلن الجهاد صاروا في حيرة من امرهم ، فان الدين يأمرهم بالدفاع عن الحكومة من جهة ، بينما ظروفهم الواقعية تدفعهم نحو عصيان الحكومة من الجهة الاخرى • وهذا هو الذى جعل الكثيرين منهم يتحولون من موقف الجهاد الى موقف العصيان خلال فترة قصيرة ، وقد اتضح هذا في النجف بشكل محسوس إذ رأيناها مركزا لحركة الجهاد في أول الامر ثم أصبحت بعد قليل مركزا لحركة العصيان • وكذلك رأينا العشائر تذهب الى جبهة الحرب اطاعة لامر رجال الدين ، غير أنها لم تكد ترى الجيش التركي مهزوما حتى انثالت عليه نهبا وتقتيلا •

خامسا : كان الانكليز قبيل الحرب وفي أثنائها قد اتخذوا مع العرب سياسة تشجيع المبادىء القومية والاستقلالية والتحررية وما أشبه ، وذلك لغرض اضعاف الدولة العثمانية وتفتيتها • ولما احتل الانكليز العراق صاروا يضربون على هذه الاوتار ، وكان مما أعلنوه في ذلك عبارتهم المشهورة : « اننا جئناكم محررين لا فاتحين » • ومن الجدير بالذكر ان العسكريين البريطانيين في العراق لم يكونوا راضين عن هذه السياسة اعتقادا منهم أنها تفتح عيون العراقيين وتجعلهم يتطلعون الى الحرية والاستقلال ويطالبون بهما مما يسبب لهم المشاكل في المستقبل • ولكن حكومة لندن أصرت على التمسك بهذه السياسة تحت تأثير بعض الدوافع السياسية والدولية •

كان يتولى حكم العراق في فترة الاحتلال ضابط شاب هو الكولونيل ويلسون ، وكان هذا الضابط معتقدا اعتقادا جازما بخطأ سياسة حكومته في اغداق الوعود للعراقيين ، ففي رأيه ان العراقيين جهلة لايصلحون للحكم الذاتي ، وان من مصلحتهم ان يظلوا تحت الحكم البريطاني المباشر الى ان يتعلموا فن الحكم • وقد اشتد الخلاف بين ويلسون وحكومته حول هذا الموضوع ، فكانت لندن تريد انشاء حكومة وطنية في العراق ذات مظهر عربي وباطن انكليزي بينما كان ويلسون يريد انشاء حكومة انكليزية قلباً وقالباً • وقد أدى هذا الاختلاف في السياسة الى ظهور وضع متوتر في

العراق أشار اليه السيد علوان الياسري ، وهو من قادة ثورة العشرين ، إذ قال مخاطباً أحد الحكام البريطانيين : « نحن عشنا قبل هذا مئات السنين في وضع بعيدا جدا عن الاستقلال ، ولكنكم جئتم الينا أخيرا فاعطيتمونا وعودا بالاستقلال . انكم عرضتم علينا فكرة الاستقلال في وقت نحن لم نطلبه منكم. ولم نكن نحلم به حتى جئتم فوضعتم الفكرة فى رؤسنا ، والآن في كل مرة نطالبكم بالاستقلال تسجنوننا »[٢] .

سادسا : في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ أبرقت حكومة لندن الى ويلسون تطلب منه القيام باستفتاء عام في العراق بغية التعرف على نوع الحكم الذى يرغب فيه السكان والشخص الذى يريدونه أميرا عليهم . وقد أكدت البرقية على ويلسون أن يكون تعبير السكان عن آرائهم حقيقيا ، ولكن ويلسون وجد فى هذا الأمر ما لاينسجم مع رأيه فلم يتبعه حرفيا وحاول المراوغة فيه . انه أصدر أوامره السرية الى الحكام السياسيين فى الالوية يؤكد عليهم أن يستحصلوا من السكان الآراء المؤيدة لاستمرار الحكم البريطانى وان لايسمحوا للآراء المخالفة بالظهور . وقد أطاع الحكام أمره، ولهذا كانت نتيجة الاستفتاء ان اكثر السكان طلبوا بقاء الحكم البريطانى في العراق ، ولم يشذ عنهم في ذلك سوى فئة قليلة ـ فى بغداد والكاظمية وكربلاء والنجف ـ إذ هي طلبت حكما عربيا برئاسة أحد أنجال الشريف حسين .

الواقع ان الاستفتاء كان مفاجأة غير مفهومة في نظر أكثر العراقيين ، اذ هو كان اول مرة في تاريخ العراق تسأل الحكومة رعاياها : ماهو نوع الحكم الذي يرغبون فيه . انهم لم يستطيعوا أن يصدقوا آذانهم عندما قيل لهم ان الدولة التي فتحت بلادهم بحد السيف ، وبذلت فيها الكثير من الاموال والارواح توجه اليهم مثل هذا السؤال حقا . فهذا أمر لم يكونوا يفهمونه أو أنه خطر

---

(2) Mann (An Administrator In The Making) - London 1921 P. 292.

بالهم • وعندما وجدوا الامر اصبح جديا وان الحكام استدعوهم ليسألوهم «ماذا تريدون» أخـذوا يتساءلون فيما بينهم : ما هـو الغرض من هـذا السؤال ، ولابد أن يكون وراءه سر لايفهمونه •

ان أحد الوجهاء أعلن ذلك بصراحة حين قال يخاطب الحاكم الذى وجه اليه السؤال : « ان سؤالكم لنا وانتم الحكومة ماهو نوع الحكم الذى نريده يدل على شيء غير اعتيادي، وهو أمر لم نسمع به من قبل • فما شأني أنا في هذا الموضوع • فانتم لو عينتم علينا حاكما نصرانياً أو يهوديا أو عبداً حبشياً كان ذلك بالنسبة لي حكومة على أي حال »[٣] • ويقول مهدي البصير الذى عاصر الاستفتاء وشهد بعض احداثـه : ان وقت الاستفتـاء كان وقت عجائب وغرائب واشاعات وأراجيف ، وقد أشيع في البداية ان غرض الحكومة من الاستفتاء هو أنها تريد ان تسبر غور الناس لكي تعلم من هم أصدقاؤها ومن هم أعداؤها فتثيب هؤلاء وتعاقب اولئك بما تقتضيـه مصلحتهـا[٤] •

وعلى أي حال فان ويلسون فرح بنتيجة الاستفتاء وأبرق الى حكومته يعلمها بالنبأ السار هو ان اكـثر العراقيين يرغبـون في استمرار الحـكم البريطاني المباشر • والملاحظ ان ويلسون في تقاريـره التي أرسلهـا الى حكومته بعد ذلك يؤكد على هذه النقطة ، فهو قد تجول في أنحاء العراق واجتمع بالوجهاء والرؤساء واستمع الى آرائهم ، فوجدهم جميعا يدعون الله أن يديم عليهم ظل الدولة البريطانية «العادلة» ـ «آمين !» • فصدق بما كانوا يقولون وكتب به التقارير الى حكومته ـ ثم نام مطمئناً !

سابعا : ان الفئة القليلة التى طالبت بالحكم العربي في اثناء الاستفتاء تعتبر البذرة التي انبثقت منها ثورة العشرين • فهى أخـذت تنمو بمـرور الايام وصار ينضم اليها كل متذمر من الانكليز •

---

(3) Atiyah (IRAQ) - Beirut 1973 - P. 272.

(٤) محمد البصير (تاريخ القضية العراقية) ـ بغداد ١٩٢٣ ـ ص ٨١ •

أطلق الناس على هذه الفئة اسم « الوطنيين » ، اما المخالفون لهـا فكانوا في نظر الناس حونة وموالين للكفـار • وصار الشـعراء ينظمـون القصائد الحماسية في الأمير عبدالله باعتباره مرشح الوطنيين لعرش العراق، فيهتف الناس عند سماع اسمه ويصفقون له طويلاً • والواقع انهم لـم يفعلوا ذلك الا نكاية بالانكليز وتحديا لهـم • فلو أن الانكليـز كانوا يرغبون فيه لكان هتافهم ضده طبعاً حسب المبدأ القائل « المرء حريص على ما منع » • وقد فطنت المس بيل الىذلك ، ولكن بعد فوات الاوان • فهـي كتبت في ١٢ حزيران ١٩٢١ ـ أي بعد مضي بضعة اشهر على الثورة ـ تقول : انهم عندما كانوا في السنة الماضية يهتفون باسم عبدالله ليس لانه كان الرجل الامثل في نظرهم بل لانهم كانوا يعدون الهتاف باسمه خلاف رغبة الانكليز[٥] •

يمكن اعتبار ثورة العشرين على أي حال من أهم الاحداث في تاريخ العراق الحديث من حيث أثرها في تنمية الوعي السياسي • انها كانت بمثابة مدرسة شعبية تعلم العامة فيها بعض المبادىء والمفاهيم التيكانوا يستهجنونها من قبل كـ « الحرية » و « الاستقلال » و « القومية » و « الوطنية » ومـا أشبه • فقد كانت هذه المفاهيم محصورة سابقاً في نطاق الافندية ومن لف لفهم ، بينما كان العامة يعدونها من الامور التي لا تعطي خبزاً • فلما قامت الثورة تغير الحال تغيراً مذهلاً حيث صارت تلك المفاهيم محور اهتمام العامة ، وأخذوا يلهجون بها ويهتفون لها يوماً بعد يوم •

ثامنا : كان تنصيب فيصل ملكا في عام ١٩٢١ قد اسـتبشر به الوطنيون والانكليز في آن واحد • فالوطنيون اعتبروه كأنه جاء تلبيـة لرغبتهم التي أعلنوها من قبل في اختيار أحد انجال الشريف حسين ملكاً• أما الانكليز فكانوا يحسبون أن فيصل سيكون آلة طيعة في أيديهم على نمط

---

(5) Burgoyne (Gertrude Bell) - London 1961 - vol. 2, P. 220.

الأمراء الذين نصبوهم في ممتلكاتهم الاخرى • ولكن هذا الاستبشار من الفريقين لم يدم طويلاً ، وسرعان ما تبين لكل منهما انه كان مخطئاً في ظنه وان فيصل ليس كما تخيلوه سابقاً •

ان فيصل قد حاول بكل جهده ان يكون عند حسن ظن الفريقين ، فأخذ يبدي لكل منهما أنه مخلص له ، ولكن هذا أمر صعب للغاية او لعله مستحيل ، فليس في مقدور انسان أن يوفق بين اتجاهين متعاكسين ، وان هو تمكن من ذلك فترة من الزمن فليس في مقدوره أن يستمر فيه الى النهاية • يقول آيرلاند : ان فيصل وجد نفسه نقطة التوازن بين البريطانيين والوطنيين ، فقد كان مديناً بعرشه للبريطانيين من جهة بينما كان من الجهة الاخرى يحتاج الى مؤازرة الوطنيين له لكي يتمكن من الحصول على الاستقلال الحقيقي من الحكومة البريطانية[٦] •

الى أي مدى استطاع فيصل أن يوفق بين هذين الاتجاهين المتعاكسين؟ ان هذا سؤال من الصعب الاجابة عليه ، وربما عدنا اليه في جزء قادم عند الحديث عن موت فيصل والمقارنة بينه وبين ابنه غازي • وقد يكفي هنا أن نقول ان فيصل حاول في السنة الأولى من حكمه أن يكون أقرب الى الوطنيين منه الى الانكليز ، وهذا هو الذى جعل الانكليز يضمرون له الحقد الشديد ويفكرون في عزله • فقد اعتبروه خائناً لهم كافرا بنعمتهم • وشاء القدر ان يصاب فيصل بالتهاب الزائدة الدودية في هذا الوقت بالذات ، فانتهز المندوب السامي الفرصة وتسلم الزمام بيده وأخذ يضرب الحركة الوطنية ضرباً شديداً حتى أسكتها وشرد رجالها • ولما شفي فيصل من مرضه وجد ان الحركة التي كان يعتمد عليها قد تفتتت • وجاء اليه أحد زعماء الحركة ليهنئه بالشفاء ، فسأله فيصل : « وماذا فعلتم بالانكليز ؟ هل عدلتم

---

(٦) فيليب آيرلاند (العراق) ــ ترجمة جعفر خياط ــ بيروت ١٩٤٩ ــ ص ٢٧٩ •

عن اخراجهم من البلاد ؟ » فأجابه الرجل فوراً : « قالوا لنا انكم انتم أخرجتم من البلاد ، فسكتنا »[٧] •

كان هذا بداية تبدل واضح في سلوك فيصل ، فقد أصبح منذ ذلك الحين أقرب الى الانكليز منه الى الوطنيين ، غير أنه لم يترك عادته القديمة تركا تاماً ، حيث وجدناه يعود الى الاتصال بالوطنيين حينا بعد حين كلما وجد في الانكليز تصلباً تجاهه •

تاسعا : عندما صار فيصل يتقرب للانكليز درءاً للمشكلة ظهرت أمامه من الجانب الآخر مشكلة ثانية ، هي مشكلة ارضاء الوطنيين وفي مقدمتهم المجتهدين • لقد كانت علاقته في السنة الاولى حسنة مع المجتهدين سيئة مع الانكليز ، فانقلبت الآن الى العكس من ذلك حيث اصبحت حسنة مع الانكليز سيئة مع المجتهدين • وقد بذل فيصل جهده لاقناع المجتهدين بأن يراعوا ظروفه ، ويرحموا حاله ، دون جدوى • وصار المجتهدون ، ولاسيما الشيخ مهدي الخالصي ، يعدونه ناكثا بعهده لهم وانه باع نفسه للشيطان واصبح العوبة بيد الانكليز • وقال الخالصي على ملأ من الناس « خلعت فيصل كما خلعت خاتمي هذا ! » •

وفي تلك الآونة عاد الى العراق من اسطنبول شخص يعد رجل دولة من الطراز الاول ــ هو عبدالمحسن السعدون • وسرعان ما اكتشف الانكليز فيه الرجل القوي الذي يستطيع أن يحل لهم مشكلة المجتهدين ومشكلة فيصل في آن واحد ، فسلموه زمام الأمور ، ودعموه ، وقالوا له : افعل ما شئت فنحن وراءك !

كان رأي السعدون ان معالجة مشكلة المجتهدين لا تتم الا على طريقة الاسكندر المقدوني ، أي بقطع العقدة بدلاً من حلها • انه صمم على نفي المجتهدين الى ايران للتخلص من معارضتهم الدائمة وفتاويهم

---

(٧) أمين الريحاني (فيصل الاول) ــ بيروت ١٩٥٨ ــ ص ١٢٣ •

تخلصا نهائيا • وقد ابدى فيصل تخوفه من هذا العمل الجريء ، كما تخوف منه الانكليز ، وظنوا ان ثورة أشد من ثورة العشرين ستحدث في العراق من جراء نفي المجتهدين • ولكن السعدون أصر على موقفه وأكد للمتخوفين أنه قادر على القيام بالعمل دون أن يقع أي محذور • وقد أظهرت الحوادث أنه كان في رأيه مصيبا •

كان العامة قد أيدوا المجتهدين في معارضتهم وأبدوا في تأييدهم كل حماس ، ولكنهم ما كادوا يرون المجتهدين قد أبعدوا خارج الحدود حتى عادوا هم الى شعارهم القديم : « أنا شعليه » • انهم قد تعلموا الوعـــي السياسي حديثاً ولكنهم لم يستطيعوا ان ينسوا عادتهم القديمة ، وهم لذلك يتحمسون تارة ويخمدون تارة أخرى • وتلك احدى ظواهر التناشـــر الاجتماعي فيهم •

* * *

خلاصة القول ان هذه الاحداث التي ذكرناها آنفا ــ والتي بدأت منذ عام ١٩٠٦ ــ أثارت في العراق تنازعا وجدلا لا عهد له بهما من قبل • انا لا ننكر ان العراق شهد قبل ذلك أحداثاً أعظم من هذه الاحداث وأدعى الى التنازع ، انما هي كانت من نوع آخر غير النوع الذى شهدناه في هذه الفترة •

كان تنازع العراقيين فيما مضى تقليدياً ينشأ الفرد عليه منذ طفولته الباكـرة ويظـل عليـه في كبره ، كالتنـازع الذي يقـع بين الطوائـــف الدينية أو بين القبائل والمدن والمحلات • فقد كان الفـرد آنذاك يتعصب لطائفته أو قبيلته أو بلدته او محلته ، وينصرها على أعدائها ، بحكم تراثه الاجتماعي الذى نشأ عليه في بيئته • وكان من العار عليه أن يخرج على هذا التراث او يخالفه • أما الاحداث الجديدة فقد صارت تثير في الناس تنازعا مبدأياً غير مرتبط بالانتماءات التقليدية المألوفة • وبهذا بدأنا نشهد نزاعاً وجدلاً شديداً بين أبناء الطائفة الواحدة ، او المحلة الواحدة ، وربما حدث النزاع بين الاخوة في البيت الواحد : هذا مشروطي وذاك استبدادى ، أو هذا قومي وذاك عثماني ، أو هذا جهادي وذاك فراري ، او هذا وطني وذاك حكومي ، الخ •••

فترة تدريب :

ان الفترة التي تحدثنا عنها ـ والتي امتدت مابين عام ١٩٠٦ وعام ١٩٢٣ ـ لها أهميتها في تطور الوعي السياسي في العراق • يجب أن لا ننسى ان الوعي السياسي حين بدأت بوادره في ١٩٠٦ كانت تحت حضانة الدين ورعايته ، أي انه نما من خلال الوعي الديني ولم يكن قائماً بذاته• فالناس حين كانوا يتجادلون في قضية من قضايا السياسة كالدستور مثلاً لم يكونوا يريدون أن يعرفوا هل الدستور نافع للشعب أو ضار به ، بل كانوا يريدون أن يعرفوا بالاحرى هل هو حلال أو حرام ، وهل هو موافق للشريعة الاسلامية أو مخالف لها • وقد ظلّ الناس كذلك طيلة الفترة التي كان فيها رجال الدين يشتغلون بالسياسة في العراق •

والواقع انها كانت فترة شاذة تميزت ببعض الظواهر الاجتماعية الخاصة بها ، ومن تلك الظواهر ان كثيرا من الكسبة وأصحاب الدكاكين الذين لم يكونوا قبل هذا يهتمون بالسياسة أصبحوا يهتمون بها ويتحمسون لها • خذ مثلاً حسون أبو الجبن الذي كان بقالاً في سوق السراي ببغداد ، فهو في صباه كان مثل أبيه يتجنب السياسة ويعتبرها لا تعطي خبزاً، ولكننا رأيناه ينقلب فجأة الى متحمس سياسي من الطراز الاول يلبس الكفن ويشترك في المظاهرات ويهتف بأعلا صوته : « لتسقط بريطانيا العظمى ! » • ولا حاجة بنا الى القول ان السبب في تبدل هذا الرجل وأمثاله هو الدين وفتاوي رجال الدين • ولولا ذلك لظل هذا الرجل باقياً على سنة الآباء والأجداد : « أنا شطيه » •

يبدو ان هذه الفترة كانت ضرورية لنمو الوعي السياسي في العراق ، ولعلها كانت بمثابة تدريب وتعويد للعامة على الاهتمام بالسياسة • فلما انتهت هذه الفترة بنفي المجتهدين كان العامة قد تم تدريبهم ولم يعودوا بحاجة الى فتاوى رجال الدين • ولهذا رأيناهم في عام ١٩٢٤ ، عندما جرى النقاش حول المعاهدة ، يتظاهرون ويتحمسون بالقرب من المجلس التأسيسي على نحو ما كانوا يفعلون في جامع الحيدرخانة في عام ١٩٢٠• انهم خرجوا من قوقعتهم القديمة ، ولن يعودوا اليها !

بين الافندية والملائية :

يمكن القول أن نفي المجتهدين الذى جرى في عام ١٩٢٣ هو أحد مظاهر الصراع بين الملائية والافندية ، أو بعبارة أخرى : بين رجال الدين ورجال الدولة • وهذا الصراع ليس جديدا اذ تمتد جذوره الى القرن الثامن عشر حينما بدأت بواكير الحضارة الحديثة تصل الى البلاد الاسلامية ، فقد قاوم رجال الدين تلك الحضارة واعتبروها مخالفةللشريعة الاسلامية ، بينما أولع بها رجال الدولة واعتبروها ضرورية لأمتهم لكي تتمكن بها من البقاء في معترك الحياة الحديثة •

من الجدير بالذكر ان الافندية والملائية في العراق كانوا متحالفين في أثناء ثورة العشرين وفي الفترة القصيرة التي تلتها ، ولكن هذا التحالف كان موقتا وليس من طبيعته أن يدوم طويلاً ، فان كلا من هاتين الفئتين لها اتجاه ذهني معاكس لاتجاه الاخرى • فالملائية يريدون تطبيق الشريعة الاسلامية على أمور السياسة بينما الافندية يريدون ابعاد الدين عن السياسة• وهم حين تحالفوا واتفقوا فترة قصيرة من الزمن كان ذلك من جراء وجود مصلحة مشتركة بينهم ، ولم تكد تلك المصلحة تتفاوت عندما نال الافندية المناصب التي يطلبونها حتى بدأ الاختلاف يظهر بين الفئتين وصار يشتد يوماً بعد يوم •

ان بعض الافندية من أولى النظر البعيد ادركوا منذ وقت مبكر سعة الفجوة التي تفصل بين تفكيرهم وتفكير الملائية • ذكرت المس بيل في رسالة لها في ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ رأياً أدلى به عبدالمجيد الشاوي في هذا الشأن ، حيث قالت ما يلي :

« ان مشكلة الشيعة ربما كانت أعظم المشاكل في هذه البلاد ، وقد تناقشنا حول هذه المشكلة ليلة أمس في اثناء مأدبة أقمتها في بيتي • فقد قال عبدالمجيد بك : ماذا سوف تصنعون اذا أصدر المجتهد الاكبر فتواه بأنه لا يجوز للفرد الشيعي أن يكون عضواً في المجلس التشريعي ما دامت

الحكومة تحت الانتداب البريطاني ، علماً ان المجتهد يعتبر كلامه من كلام الله . أو افرضوا أن المجلس أخذ يتناقش لسن أحد القوانين فينبري المجتهد لاصدار فتوى مفادها ان القانون مخالف للشريعة ويجب رفضه من غير اهتمام بأي اعتبار آخر ؟ تصوروا ان البابا يمارس في ايطاليا سلطة دنيوية ويعرقل الحكومة في كل عمل تقوم به فماذا يكون الوضع . ان العلاج يكون بمرور الزمان على النحو الذى حصل في ايطاليا ، حيث صاروا هناك ينظرون الى البابا كما ينظرون الى عجوز سخيف .ولكننا هنا لم نصل بعد الى هذه المرحلة ... »[8] .

قد يسأل سائل : لماذا انفرد رجال الدين الشيعة بمعارضة الحكومة في تلك الايام بينما سكت زملاؤهم السنيون ؟ للجواب على هذا نرجع الى ما ذكرناه في الجزء الثالث من هذا الكتاب حول نظام الاجتهاد الشيعي ، ذلك ان المجتهد الشيعي يعتمد في رزقه على ما يقدمه اليه مقلدوه من حقوق شرعية ، ولهذا فهو مضطر بدافع الحفاظ على رزقه ومكانته ان يكون وثيق الصلة بجماهير الشعب يتحسس بأحاسيسهم ويقف الى جانبهم ضد حكامهم. أما رجل الدين السني فهو يشبه أن يكون موظفا حكوميا يعتمد في رزقه على مرتبه الذى يتسلمه في رأس كل شهر ، ولهذا فهو مضطر في الغالب أن يكون مؤيدا للحكومة في أعمالها .

نقطة تحول :

كان نفي المجتهدين في عام ١٩٢٣ بمثابة نقطة تحول في الوعي السياسي في العراق . فان اعتزال المجهتدين للسياسة جعل الميدان خالياً للافندية يصولون فيه ويجولون ، حيث تولى فريق منهم زمام الحكم ، بينما تولى الفريق الآخر زمام المعارضة ، وأخذوا يتداولون الأمر بينهم على طريقة دولاب الهواء الذى يلعب به الاطفال في العيد ـ صاعداً نازلاً .

(8) Burgoyne (op. cit) - vol. 2, p. 168 - 169

هناك فرق كبير بين معارضة المجتهدين ومعارضة الافندية • فالافندي انما يسلك سبيل المعارضة لكي يصل بها الى الحكم • أما الملائي فانه لا يفكر في الوصول الىالحكم ولا يريده ، وهو انما يسلك سبيل المعارضة لكي يرفع بها مكانته الدينية بين الجماهير ، وهو يعلم انه اذا تولى منصباً من مناصب الحكم فقد تلك المكانة حالاً وأخذ الناس يذمونه ويقولون عنه : « انه باع دينه بدنياه » • انه يصبح في نظر الناس عندئذٍ افندياً على الرغم من احتفاظه بعمامته السوداء أو البيضاء !

معنى هذا ان الملائية كانوا يتخذون المعارضة غاية لذاتها لانها ترفع من مكانتهم الاجتماعية في نظر الناس ، أما الافندية فكانوا يتخذونها وسيلة لغاية أخرى هي الوصول الى الحكم • ان الافندي يدرك انه اذا بقي خارج الحكم مدة طويلة من الزمن خسر مكانته الاجتماعية وأصبح من رواد مقهى المتقاعدين •

الملاحظ ان الافندية في العهد الملكي كانوا يتقلبون في مواقفهم السياسية مرة بعد مرة • فاذا كانوا خارج الحكم صاروا معارضين متحمسين ينادون بالحرية والاستقلال التام ويتهمون الحكام بالظلم وخيانة الوطن، غير أنهم لا يكادون يتسنمون كراسي الحكم حتى ينسوا ما قالوه ويسيروا سيرة من كانوا ينتقدونهم بالأمس •

وكان بعض الافندية لا يترددون عند المعارضة ان يستخدموا أية وسيلة توصلهم الى هدفهم بغض النظر عما قد ينجم عنها من عواقب وخيمة • ظهر هذا للعيان واضحاً بعد موت فيصل حين تولى العرش ابنه الغر الضعيف ، فقد رأينا فريقاً منهم يلجأ الى اثارة العشائر ، وفريقاً آخر يلجأ الى اثارة الجيش ، وفريقاً ثالثاً يلجأ الى المكايدات والدسائس • وكانوا في كل ذلك يدعون انهم يريدون انقاذ البلاد من الظلم والتفسخ ، حتى اذا وصلوا الى الحكم لم يجد الناس في عهدهم اختلافاً عن عهد من كان قبلهم •

ان هذا أدى الى كثرة تبدل الوزارات في العهد الملكي في العراق ، وتلك بدورها أدت الى تضخم الوعي السياسي فيه • فان كل انقلاب او تبدل وزاري عنيف لابد أن يثير الاهتمام في اوساط العامة ويفتح عيونهم الى قضايا السياسة ويبعث فيهم الجدال والتنازع حولها •

اعتراض وجيه :

نقف عند هذا الحد في الدراسة على أن نحاول تكملتها في جزء قادم من هذا الكتاب • وهنا لا بد من الاشارة الى اعتراض وجيه أظن ان بعض القراء قد يوجهونه على هذه الدراسة •

فالقارىء ربما يعجب ويتساءل حين يراني أتحدث عن صراع الافندية والملائية مثلا بينما المفكرون اليوم مشغولون بموضوع الصراع بين البرجوازية والبروليتارية ، أو بين الرجعية والتقدمية ، أو غير ذلك من مظاهر الصراع التي يكثر الحديث حولها على صفحات الجرائد والكتب في هذه الايام •

الواقع اني لا أختلف في الرأي مع هؤلاء الذين يتحدثون في مثل هذه المواضيع ، ولكني أرى اننا لا يجوز أن ننسى في الوقت نفسه طبيعة مجتمعنا وظروفه وتركيبه الطبقي • أذكر اني كنت ذات يوم في مجلس يضم بعض الاساتذة ، وكان النقاش يدور حول المجتمع العراقي وتركيبه الطبقي ، فأشرت في معرض حديثي عنه الى « الافندية » باعتبار انهم كانوا يؤلفون في بداية هذا القرن طبقة متميزة تتعالى على العامة ولها تقاليدها وعصبيتها الخاصة بها • فاعترض احد الحاضرين منكرا اطلاق مصطلح الطبقة على الافندية • وقد لاحظت ان سبب إعتراضه ناشىء من أنه لم يجد في المؤلفات الاجنبية التي اطلع عليها ما يشير الى ذلك أو يبحث فيه •

قد يصح القول ان كثيرا من كتابنا ومفكرينا هم من هذا الطراز ، فهم يملكون في اذهانهم « مساطر » جاهزة استمدوها من المصادر الاجنبية ،

فاتخذوها قوالب فكرية جامدة ، وصاروا يطبقونها على مجتمعهم وتاريخه بغض النظر عن الفروق الكثيرة بين هذا المجتمع والمجتمعات الاخرى .

نلاحظ هذا واضحا في بعض الدراسات التى ظهرت حول ثورة العشرين ، ولا سيما تلك التى قام بها الباحث الروسي كوتلوف مؤخرا[٩]. فهذا المؤلف لديه في ذهنه « مسطرة » يريد تطبيقها على المجتمع العراقي بوجه عام ، وثورة العشرين بوجه خاص . وصار يسعى جاهدا للتنقيب عن المعلومات التى توافق مسطرته ، مع غض النظر عن المعلومات المخالفة لها . وقد استطاع أخيرا أن يأتي لنا بدراسة عن مجتمعنا جعلته كأنه ليس كهذا المجتمع الذى نعيش فيه .

يريد كوتلوف في دراسته ان يثبت اولا ان المجتمع العراقي كان قبل ثورة العشرين يسيطر عليه النظام الاقطاعي ، وان الذين قاموا بالثورة هم جماهير الفلاحين والبدو والعمال والحرفيين ، ثم يستدرك فيقول ان قيادة الثورة كانت في يد شيوخ العشائر ورجال الدين والبرجوازية الوطنية .

لو ان ثورة العشرين قامت في بلاد بعيدة عنا لربما جاز لنا ان نؤمن بصحة ماقاله كوتلوف ، لاننا لانعرف عن تلك البلاد شيئا . ولكن الثورة قامت في بلادنا ، وقد ادركنا الكثيرين ممن شاركوا فيها ، وعرفنا بعضهم وخالطناهم . ولست أدري كيف يمكن أن تكون الثورة قامت ضد الاقطاع بينما شيوخ العشائر ورجال الدين هم الذين تولوا قيادتها .

ليس هنا مجال التبسط في هذا الموضوع ، فقد اشبعناه بحثا في الجزء الخامس من هذا الكتاب الذي نأمل ان يصدر قريبا . وعلى أي حال فان الذى ندعو اليه هو أن تكون دراستنا الاجتماعية نابعة من واقع حياتنا ، ولكن هذا لايعني أن نغلق اذهاننا عما يجري في العالم من دراسات مختلفة . فالمفروض اننا نستنير بتلك الدراسات لا أن نتقيد بها .

---

(٩) انظر كتابه (ثورة العشرين) ــ ترجمة عبدالواحد كرم .

الفهرس

حول الاخطاء المطبعية

وقعت في هذا الجزء أخطاء مطبعية كثيرة على الرغم من شدة العناية بالتصحيح • وهي أخطاء تأمل إن يفطن لها القارىء ويصححها بنفسه •

حول الجزء الخامس

ان الجزء الخامس يبحث في ثورة العشرين ، وهو قد تأجل طبعه لحاجته الى مزيد من البحث عن الوثائق والمراجع الخاصة به •

والآن بعد ان تم الحصول على معظم تلك الوثائق والمراجع تقرر أن يباشر بطبعه في أقرب فرصة ممكنة • فمعذرة الى القراء •

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ١٣١ لسنة ١٩٧٦

SOCIAL ASPECTS
Of
IRAQI MODERN HISTORY

by

Dr. **ALI WARDI**

EMERITUS PROFESSOR OF SOCIOLOGY
IN THE UNIVERSITY OF BAGHDAD

VOLUME SIX

SECOND EDITION

1992

كتب المؤلف المطبوعة

(١) شخصية الفرد العراقي ١٩٥١
(٢) خوارق اللاشعور ١٩٥٢
(٣) وعاظ السلاطين ١٩٥٤
(٤) مهزلة العقل البشري ١٩٥٥
(٥) اسطورة الادب الرفيع ١٩٥٧
(٦) الاحلام بين العلم والعقيدة ١٩٥٩
(٧) منطق ابن خلدون ... ١٩٦٢
(٨) طبيعة المجتمع العراقي ١٩٦٥
(٩) لمحات اجتماعية ...
(الجزء الاول) ١٩٦٩
(الجزء الثاني) ١٩٧١
(الجزء الثالث) ١٩٧٢
(الجزء الرابع) ١٩٧٤
(الجزء السادس) ١٩٧٦